

NYU BOBST LIBRARY



3 1142 04175595 3



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

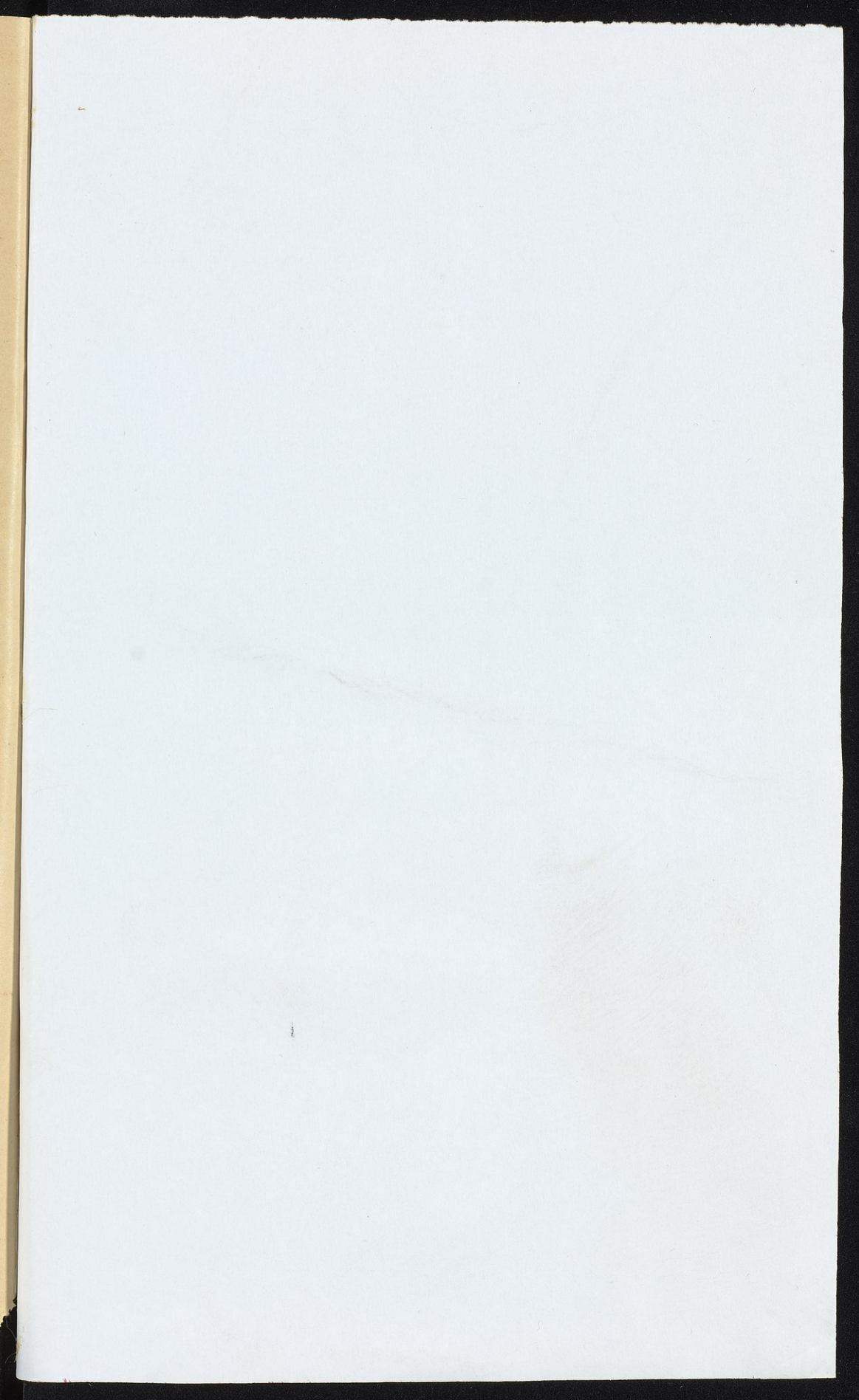
DUE DATE

DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *

108386

LB06/04/253-50



مِصْرُ عَمَلِهَا فِي الأَسْوَاقِ

خَوَاطِرُ فِي نَارِهَا وَنُبْذِ عَنْ آثَارِهَا

تأليف

محمود عكوش

سكرتير بلجنة حفظ الآثار العربية وأستاذ معيد بالمعهد العلمي الفرنسي لآثار الشرق بالقاهرة، سابقاً

فتح مِصْرُ وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٤١

كتاب الفقه

DT
95
.5
.A4
1941

جميع الحقوق محفوظة للأولف

مكتبة

1941
1941

فهرس الكتاب

صفحة	
٩	تصدير بقلم الأستاذ الجليل محمد رمزي بك
١١	خطبة الكتاب
١٩	وقائع الفتح كما يراها المؤلف
	فتح مصر :
٢٥	سير عمرو بن العاص لفتح مصر
٢٨	وصول عمرو الى العريش
٢٩	حال مصر قبيل مسير عمرو اليها
٣٠	وصول عمرو الى القرما — موقف القبط بها — بنيامين
٣٨	السير الى بليس
٣٨	قصة أرماتوسة
٤٠	أم دزين
٤١	وصول عمرو الى بابلون
٤٥	وصول المدد
	اجتماع عمرو والزبير ببابلون — المكاملة مع أبي مرهم وأبي مريام — مفاجأة
٤٧	المسلمين بالبيات
٥٢	عين شمس (هليو بوليس)
٥٥	بدء حصار بابلون (عين شمس)
٥٥	القتال بين عمرو والروم في أثناء الحصار (وقعة هليو بوليس في قول بتلر)
٥٧	مغار بنى وائل
٥٧	موضع انهزام الروم (مسجد الفتح)
٦٠	مدينة بابلون
٦٢	حصن بابلون — قصر الشمع
٧٩	مقياس النيل الذى تخلف بقصر الشمع من زمن الروم — مسجد النصر أو مسجد الفتح
٨٠	ما جرى في حصار الحصن بعد انهزام الروم
٨٤	المفاوضة الأولى في الحصن

صفحة

٨٥ بوادر اقتحام الحصن
٨٦ المفاوضات مع المقوقس
٨٧ استئنف القتال — انتصار المسلمين
٨٧ قبول الصلح
٨٨ المعاهدة
٩١ نقض قول الدكتور بتلران المعاهدة لم تشمل عامة أهل مصر من القبط
٩٤ خلاصة ما ورد عن الجزية والخراج
٩٧ تنفيذ بعض مزاعم الدكتور بتلر
١٠١ اشتراط اختيار للروم في الصلح حتى يخاطب المقوقس هرقل
١٠٢ سعى أبي مریم وأبی مریام فی السبی — حکم أمير المؤمنين عمر رضی الله عنه
١٠٢ نفى ما قيل من أن المقوقس إنما صالح عمرا لما فتح الإسكندرية
 بعض تفاصيل عن الجزية في عهد أمير المؤمنين عمر رضی الله عنه — المكاتبات
١٠٦ المنسوبة الى عمر وعمرو بخصوص الإبطاء في توريد الجزية
١١٠ المكان الذي دفن فيه قتلى المسلمين
١١٦ وقف قصر الشمع
١١٦ تاريخ الفتح
١١٦ القول في فتح مصر هل كان عن صلح أم عنوة
١١٧ إرسال البعوث الى الصعيد وبلاد مصر السفلى
١١٩ خبر السير الى الفيوم وعودة عمرو ولم يفتحها
١٢٠ رواية ابن عبد الحكم عن وقت فتحها وكيفية وقوعه
١٢١ رواية بتلر عن فتح الفيوم
١٢١ نفى تهمة مكذوبة على المسلمين
١٢٤ الاستيلاء على أتریب ومنوف — إقامة قنطرة عند قلوب
١٢٥ رفض هرقل الصلح

فتح الإسكندرية :

١٢٧ زحف عمرو على الإسكندرية
١٣١ الجامع الذي أسسه المسلمون بدمياط
١٣٢ حديث الصلح من رواية الطبرى
١٣٤ تاريخ الفتح

١٤٤ بحث في تواريخ الفتح ومراجعة أقوال الدكتور بتلر عنها :
استعراض أقوال كبار المؤرخين عن تواريخ الفتح ووقائمه :

محمد بن اسحاق - حديث مداهمة جيش عمرو في صلاة الجمعة ١٤٩ - محمد بن عمر
الواقدي ١٥١ - عبدالرحمن بن عبدالحكم ١٥٢ - ابن قتيبة الدينوري ١٥٣ -
البلاذري ١٥٣ - الطبري ١٥٥ - الكندي ١٥٦ - الأنبا ساويرس
أسقف الأشمونين (ابن المقفع) - تصحيح قوله عن تاريخ هبوط جيش المسلمين
الى مصر وبيان تأييده للرواية العربية ١٥٧ - ابن زولاق ١٦٠ -
أبو صالح الأرمي ١٦٠ - ياقوت ١٦٠ - نفي الخطأ والتناقض عن
أقواله ١٦١ - أبو الفدا ١٦٣ - الذهبي ١٦٣ - المقرئ ١٦٤ -
أبو المحاسن بن تغري بردى ١٦٥ - السيوطي ١٦٥ - تصحيح روايته عن
تاريخ عودة عمرو الى القسطنطينية واستدراك على الدكتور بتلر ١٦٥ - نفي الخلاف
بين المراجع الكبرى العربية ١٦٨ - آب حنا النقيوسي ١٦٨

المقوقس - قيرس :

مراجعة أقوال كبار المؤرخين عن المقوقس ١٧٣ - حنا الأسقف القبطي
لمدينة نقيوس ١٧٣ - محمد بن اسحاق ١٧٣ - الواقدي ١٧٣ -
ابن هشام ١٧٣ - ابن سعد ١٧٤ - ابن عبدالحكم ١٧٤ - ابن قتيبة
الدينوري ١٧٥ - البلاذري ١٧٥ - الطبري ١٧٥ - سعيد
ابن بطريق (أوثيكيوس) ١٧٦ - الكندي ١٧٧ - الأنبا ساويرس ١٧٧ -
القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي السبتي ١٧٧ - ابن الأثير ١٧٧ -
أبو صالح الأرمي ١٧٨ - ياقوت ١٧٨ - أبو الفدا ١٧٩ -
المكيني ١٧٩ - ابن خلدون ١٧٩ - ابن دقاق ١٧٩ - المقرئ ١٨٠ -
أبو المحاسن - نفي ما نسب اليه من الخلط في اسم المقوقس واسم أبيه - بيان
عن التحريف الذي أصبح به لفظ «مرب» اسما لأبي المقوقس وجدته ١٨٠ -
السيوطي ١٨٤ - ابن ياس ١٨٤ - الأعيرج ١٨٥ - أبو مريم ١٨٦

١٨٧ البرهنة على أن المقوقس غير قيرس بطرك الإسكندرية

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس :

٢٠٢ عدم الاتفاق على النص
٢٠٣ الجزم بأن إرسال كتاب الى المقوقس صحيح

صفحة

٢٠٦	الكلام على المخطوط الذي عثر عليه وقيل انه الكتاب الشريف
	محاضرة عن المخطوط الذي عثر عليه — أقوال بعض العلماء والمستشرقين عنه —
٢٠٨	الشبهات الدالة على بطلانه
٢٢٢	تعليقات أوردتها الأستاذ فييت على المقوقس ومارية
٢٣٠	ملاحظة المؤلف على تعليقات الأستاذ فييت
٢٣٨	اعتراض جروهمان
٢٣٩	ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم
٢٤١	مارية القبطية
٢٤٤	اعتراض كياتاني والرد عليه
٢٤٧	رأى آخردكتور محمد حميد الله
٢٥٠	الخلاصة

الفسطاط :

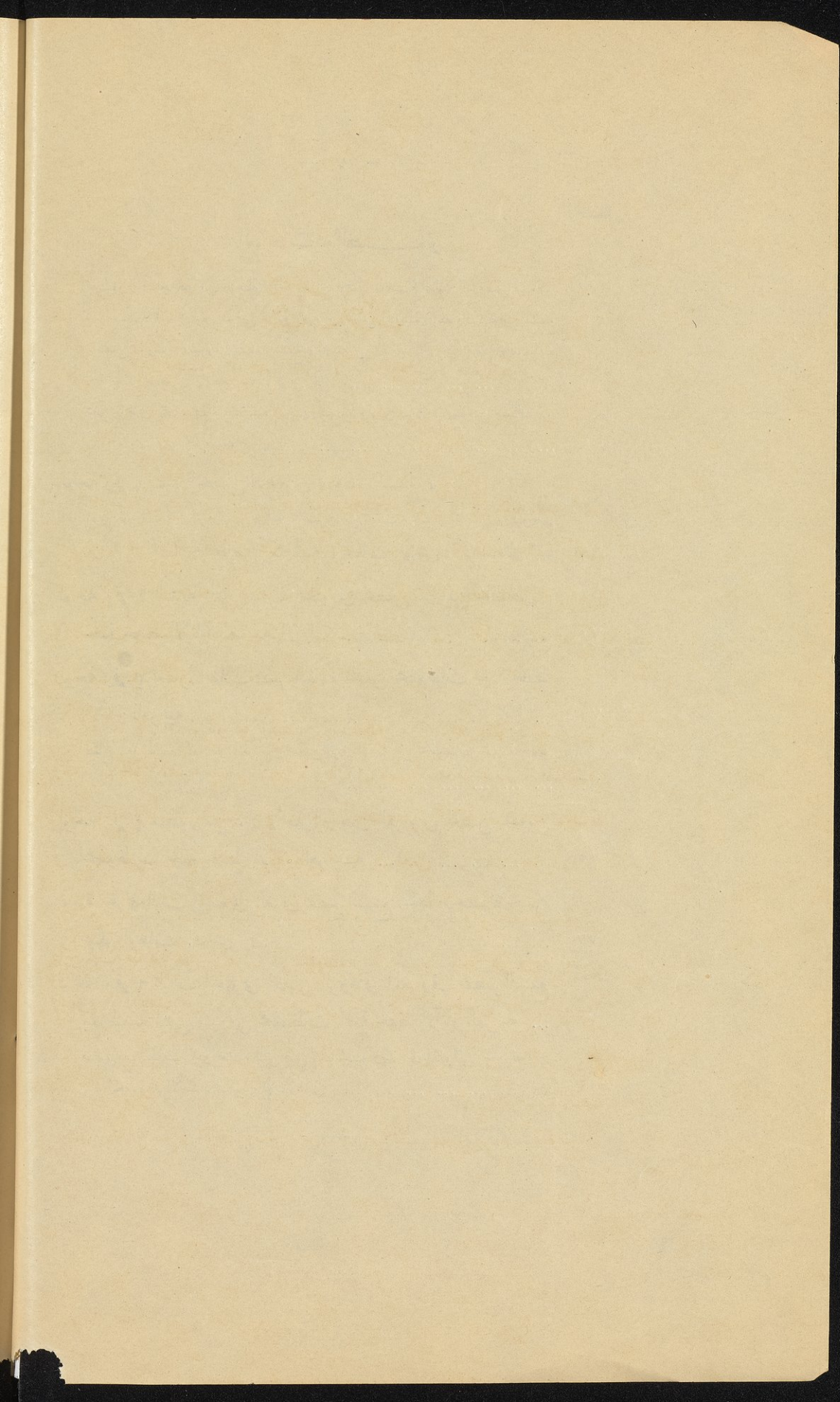
٢٥٢	تخطيط المسجد فالمدينة
٢٥٤	الحمامات بالفسطاط
٢٥٥	مدينة الجيزة — المسجد الأعظم بها
٢٥٦	تجديد الخليج
٢٦٠	عزل عمرو بن العاص عن مصر وعودته والبا على الإسكندرية — واقعة منويل الخصى
٢٦١	مسجد الرحمة بالإسكندرية

ولاية عبد الله بن سعد على مصر كلها :

٢٦٢	غزوة ذى الصواري
٣٦٣	قسطنطين الثالث وابنه قسطنطين الثاني
٢٦٥	ولاية عمرو بن العاص الثانية — ملخص ما سبقها من حوادث — وفاته
٢٦٧	خاتمة

اللوحات والصور

- صورة مستخرجة من خريطة القاهرة التي رسمتها البعثة العلمية الفرنسية الى مصر
سنة ١٧٩٨ تبين موقعي جامع عمرو والحصن الروماني المعروف بقصر الشمع ٣١
الحصن الروماني المعروف بقصر الشمع وما فيه من الآثار التاريخية ؛ من محفوظات
لجنة حفظ الآثار العربية... .. ٦١
نسر روماني كان منقوشا بقاعدة وجهة الباب الجنوبي بقصر الشمع من كتاب
أرتور رونيه ، رسم موس... .. ٦٨
لوحة رقم ١ بقايا الحصن الروماني « قصر الشمع » :
(وفي ظل البدنة الكبرى منها : الجزء العلوي من الباب الجنوبي للحصن و يليه قسم
من البرج الثاني) — طابع (كليشييه) جناب الأستاذ كريبول ... ٦٩
لوحة رقم ٢ البدنة اليمنى للباب الجنوبي للحصن — من محفوظات
لجنة حفظ الآثار العربية ٧٠
لوحة رقم ٣ بعض أطلال قصر الشمع — من محفوظات لجنة حفظ
الآثار العربية ٧١
قطاع أفق لأحد البرجين الغربيين للحصن الروماني ؛ من محفوظات لجنة حفظ
الآثار العربية... .. ٧٣
لوحة رقم ٤ منظور من عال لأحد البرجين الغربيين للحصن — من
م محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية ٧٥
لوحة رقم ٥ الباب الجنوبي الغربي لقصر الشمع — طابع حضرة حسن
عبد الوهاب افندي ٧٧
لوحة رقم ٦ الباب الجنوبي للحصن الروماني المعروف بقصر الشمع
مع البدنة اليمنى — من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية ... ٧٨
صورة الكتاب الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس — تصوير
المغفور له الأستاذ الكبير سليمان زهدى ٢٠٧



تصانيف

بقلم حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل والعالم الكبير

محمد رمزى بك

طلب الى صديق الأستاذ محمود عكوش رأيى فى كتابه الذى ضمنه
خواطره فى تاريخ مصر فى عهد الإسلام، ونبذا عن آثارها . ولقد اطلعت
على ما كتبه ، فوجدته كما لا بد أن يجده غيرى دليلا على سعة اطلاعه وتعمقه
فى البحث وتلمسه الحقيقة، شأن الكاتب المخلص الذى يقدر كرامة العلم،
ويعرف حق الخلف والسلف معا .

وإذا كان قد ثار على المبطلين والمضللين من المؤلفين ثورة العربى،
وغضب للحق غضبة المسلم الأبى، وكان فى هذا شديدا عليهم، فذلك فيما
أرى نصح وطنيته العالية، وتألمه من اتخاذ بعض كتاب الغرب ما يؤلفونه^(١)
فى تاريخ العرب والإسلام وسيلة لمس كرامة المسلمين باسم النقد والتأليف .

من يقرأ للأستاذ عكوش كتاب الجامع الطولونى، والرسالة القيمة التى
عالج بها طائفة من الأقوال التى بقيت زمنا طويلا تؤول على وجه مغاير
لفهوم من النصوص الأصلية، بين من كتبوا عن المسجد الأعظم بالمدينة

(١) والمقصود به طائفة من المؤلفين دأبوا على النقد والتجريح . وقد ذكرهم الدكتور
ستانلى لين هول وسماه « جماعة النقاد الهدامين » وقال : ان و يلهوزن يترجمهم ، وتبعهم
كايتانى . تاريخ مصر فى القرون الوسطى ، ص ٧ (١) ونضيف اليهما لامنس و بتر و بوتشر .

المنقورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يتبين له سعة علم الأستاذ بالآثار العربية وغزارة مادته من التاريخ الإسلامى، وإلمامه بنجايها المصادر، ومزيد عنايته بتمحيص ما ورد فيها من مختلف الروايات .

ولا شك أن الجهد الذى بذله الأستاذ عكوش فى وضع هذا الكتاب القيم الذى نحن فى أشد الحاجة الى مثله، لجدير بالإعجاب والثناء، بالنظر لما استلزمه وضعه من التعب والصبر فى استيعاب البحث بجمية، ومضاء عزيمية، وبتوفيق الله له؛ ليستبين الحق على يديه، ولينتفع به طلاب التاريخ والآثار العربية التى يعد الأستاذ عكوش، بفضل دراسته الواسعة، وقضاء أنفس أيام حياته فى العمل لها فى مصلحة الآثار الإسلامية، من خدامها المخلصين . وله منى جزيل الشكر وعظيم التقدير .

محمد رمزى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد فإنى لما تخليت عن عملى بلجنة حفظ الآثار العربية ، خطر لى أن أدون مذكرات بما وقعت عليه العين من الاختلاف بين كتب السلف ، وبين البحوث الحديثة التى خدم بها علماء أوروبا ومن هذا حذوهم من أبناء مصر ، علم الآثار العربية والتاريخ ؛ وأن أثبت ما يقتضيه المقام من تعليق واستدراك .

وقد كنت أشعر بميل غريب يحفزنى الى تحقيق فكرتى ، بالرغم مما يقتضيه العمل من جهد ومشقة . ولكن إخلاصى للغاية التى تمثلت أمامى ، كان يدفعنى الى النهوض قدر جهدى ، والتغاضى عن وعورة المسلك ؛ فاستخرت الله فى العمل آملا أن يوفقنى لبيان الوقائع على الوجه الصحيح بعد مراجعة المآخذ ومقارنة الروايات بعضها ببعض .

ولما كان الكتاب خاصا بالآثار العربية الشهيرة فى مصر ، فمن حق القارئ أن يعرف تاريخ الفتح العربى الذى بسبب تمكنه من البلاد ، نشأت هذه الآثار . ومن حقه على ، وقد صادفتنى أخطاء كثيرة وعثرات فى المواضيع التى عالجتها وقع فيها من تصدوا للكلام عن الفتح ، أن أدون ما ظهر لى منها فيما كتبوا من تاريخ هذا الفتح ، منذ مسير عمرو بن العاص الى مصر ، الى أن استقر الأمر فيها للعرب ، جامعا بين ما كتبه مؤرخوهم

وغيرهم ، ذاكر ما تبين لى رجحانه ، من حكاية وقائع عمرو مع الروم ، وما قيل عن موقف أهل مصر يومئذ ، وهم القبط . وذكرت خبر المفاوضة مع المقوقس ، وغيره ، والزحف الى الإسكندرية وفتحها ، وما قيل عن شخص المقوقس ، وتعيين تاريخ الفتح .

وقد استعنت بتحقيقات صديق الأستاذ الكبير محمد رمزي بك ، المفتش السابق بوزارة المالية والعضو بالمجلس الأعلى للآثار العربية ، في تعريف المدن والقرى المذكورة في حديث الفتح . وقد وجه الصديق نظري الى ما تضمنه كتاب فتح العرب لمصر الذى وضعه الدكتور بتلر ، ونقله الى العربية الأستاذ الفاضل محمد فريد أبو حديد من كبار موظفي وزارة المعارف ، فطالعت هذا المؤلف فوجدته من حيث التأويل والنقل والرواية ، يخالف الحقيقة فى كثير من المواضع .

وإذ كان هذا الكتاب قد شاع فى مصر على أثر ترجمته ، فقد وجهت اليه جهدى ، رغبة فى أن أرد الحق الى نصابه ، أملا أن أمحو من الأذهان ما حاوله الكاتب بتلك الروح الجائرة .

وقد ظهر لى عند مطالعتى مقدمة الكتاب ، أن الدكتور بتلر لخص كل ما كتبه العرب عن خبر الفتح فى بضعة أسطر ، وعلق عليها بقوله :
ان هؤلاء المؤرخين إنما يثبتون قصة للاحقيقة لها من بدئها الى ختامها وان شئت قلت هى خرافة ؛ واتجه بعد ذلك الى مؤلفات أهل الغرب فقال عنها :
” انه لا يجوز الاعتماد عليها وحدها ، فهى إما يونانية مخيبة للظن ، وإما أرمنية لا تفيد فى تاريخ الفتح ، وإما مخلقة عن الكتاب المصريين “ . فلما وصل به القول الى ذكر حنا النقيوسى ، المعزوف اليه الكتاب المعروف باسمه

قال : ان أخباره ذات قيمة عظمى ، لو لم يتطرق الى صفحاته التلف وتختلط في كتابه أخبار آخر مدة الفتح اختلاطا عظيما حتى انقلبت رأسا على عقب ! ومع ذلك فهى فى نظره تحسوى بعض حقائق يعتمدها وثائق قيمة ؛ ولو أنها كما قال ، تخالف ما جاء فى الروايات العربية المتأخرة عنها .

وذكر الدكتور بتلربعض مخطوطات قبطية كالأسيية ، لاءلاقة لها بالموضوع وجعلها من مصادره ، ثم تكلم عن مؤرخى العرب ، فذكر البلاذرى ، وقال : إن كتابه « فتوح البلدان » وإن لم يكن أغزر مادة من غيره ، يعد حجة من أعظم المراجع قيمة ، وقال عن ابن عبد الحكم : ان كتابه يختلط فيه كثير من قصص الخيال ، بأخبار التاريخ ، ولو نشرت منه نسخة منقودة لكانت ذات شأن عظيم . وذكر من جاء بعد هؤلاء من الإصطخرى الى ابن قتيبة ؛ ثم الطبرى فقال : إنه علم من أشهر الكتاب ، ومن أجلهم قدرا . وإن من أكبر ما يدعو إلى الأسف أن مارواه عن فتح مصر قليل أو ناقص ، وقد دخله خلط كثير ؛ فقد جاء فيه ما يؤخذ منه أن فتح الإسكندرية حدث قبل فتح منفيس أو مصر . وقال عن ساويرس الأسقف القبطى للأشمونين : إنه عظيم القيمة فى تاريخ الكنيسة ، ولكنه لايشفى الغليل من جهة أخبار العالم الدينوى . وذكر من خلفه من المؤرخين مع أمهات الكتب الشرقية وقال : إن أخبار الفتح غير واضحة فيها ولا دقيقة ، بل متقطعة وغير متصلة ، وبها خلط فى التواريخ والحوادث والأشخاص كالخلط بين قيرس وبنيامين ، وبين فتح القطر المصرى وفتح مدينة مصر وفتح الإسكندرية ، والجمع خطأ بين معاهدة بابلون ومعاهدة الإسكندرية ، وعدم التمييز بين فتح الإسكندرية الأول الذى كان صلحا وبين فتحها الثانى الذى كان عنوة فى ثورة منوبل .

واسترعى نظرى كذلك ثناء الأستاذ المعرب فى مقدمته وقوله : " إنه لو ظهر هذا الكتاب من نحو عشرين سنة لما قدره أهل مصر قدره ولما تبينوا روح مؤلفه العادل وما فى صدره من سعة وفى عقله من رجحان ؛ وأما اليوم فانهم لا شك يقدرّون ذلك ويدركون ما فيه من العدالة ؛ وانه معجب بالعربى ومعجب بالقبطى ؛ وان له فضل نفى بعض مفتريات التاريخ التى طالما استعان بها من أراد البغى على المصريين ، واتهامهم بأنهم كانوا يرحبون بالغزاة الأجانب ؛ فرحبوا أولا بالفرس ، ورحبوا ثانيا بالعرب ؛ يريدون أن يتخلصوا من نير ليضعوا نيرا آخر على رقابهم ؛ فكذب الدكتور بتلر ما ادّعاه المغرضون من المؤرّخين ؛ وانه كان عادلا فى وصف الأفراد والمجموع ، فأعجب بعمر و بن العاص ، ونفى عن العرب إحراق مكتبة الإسكندرية ، وبحث فى شخصية المقوقس وانتهى بأنه لم يكن سوى قيرس البطرك الملكانى " . وعدّ الأستاذ المعرب ذلك فضلا كبيرا !

وقرأت المتن الى أن وصلت الى أخبار الفتح وأنا أمنى النفس بأن أجد فيها ما يزيد على روايات العرب ، ولكنى لم أمض طويلا حتى رأيت المؤلف يعد من الخسارة أن كتاب حنا النقيوسى الذى جعله عمدته الأعظم لا يذكر شيئا عن أول غزو العرب ويغفل جزءا كبيرا حاويا تاريخ حكم هرقل كله من وقت توليته الى أن قال : وان ما بقى بعد ذلك من كتاب النقيوسى مختلط مشوّه الترتيب ؛ وقد نقلت بعض فصول الكتاب والجل من مواضعها عدا التكرار والحذف فى عدة مواضع ^(١) .

ولما كان ماورد فى كتاب الدكتور بتلر من الروايات والوقائع يختلف عما مر على فى مطالعاتى التاريخية ، ورأيت المؤلف يتهم العرب بالخلط ثم يقول

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٤ (١)

انه مضطر للاعتماد عليهم وحدهم ؛ واذا نقل عنهم يصف ما ينقله بأنه مضطرب وأن مؤرخي العرب مخطئون، ويتبع طريقة مجردة للرواة مع جرأة على التحوير والتحريف والإتيان بالتفسير الغريب الذي قوامه التكذيب والمسوخ، فقد حزنت أن يبلغ الهوى بالدكتور بتلر هذا المدى .

ولم ينزه الدكتور بتلر قلمه، في الكلام على الأشخاص حتى نقول بعدله ؛ بل اشتط وتطاول في مواضع، على ما عرف عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الخصال الحميدة والأخلاق الجميلة فقال : انه ما كان يستشعر رحمة في جباية الأموال، وانه اتهم عمرو بن العاص بالخيانة والتفريط، وان عمر بن الخطاب نفسه أولى بأن يتهم بالحرص، وانه كان إذا قال : " المسامين "، لم يقصد إلا نفسه ، أو تلك الفئة القليلة التي كانت معه في مكة ؛ وقد كان ذلك وبالاً عليه ^(١) .

وقال : وقد حذق خلفه ذلك الدرس، وهو لعمري درس وبيل .
وقال أيضا عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه : ولكن هذه المكارم كانت نقائص في عين الخليفة ، اذ كان بها مرض من سخطه ^(٢) ؛ فكانت كتابته بعيدة جدا عن دائرة الإنصاف . ومن ذا الذى يقرّ هذه الأقوال من أبناء مصر اليوم وقبل اليوم بعشرين سنة ^(٣) ؟

(١) فتح العرب لمصر ص ٣٩٦ — ٣٩٩ و ٤٠٠

(٢) يقصد أمير المؤمنين عثمان ؛ فتح العرب لمصر ص ٤٠٠

(٣) فتح العرب لمصر ص ٤٢٣

(٤) ولا يفوتني هنا أن أتوه أن حضرة الفاضل معرب كتاب الدكتور بتلر سبق له أن علق بذيل الصفحة رقم ٣٩٩ على رأى الدكتور بتلر بقوله : " إننا ننقل هنا ما ذهب اليه المؤلف من رأيه في عمر؛ ولنا رأى يخالفه كل المخالفة ؛ اذ أن عمرو سائر الصحابة كانوا في كل أقوالهم وأفعالهم صادقين عن رغبة في الخير، لم يوفق المؤلف الى تفهمها واكتناهاها " .

ومن مميزات كتاب الدكتور بتلر أن نقده مبني على فهم معكوس أحيانا ،
ومراجع ناقصة أو مبتورة مشوهة الترتيب بالتقديم والتأخير ؛ فروايات
مجهولة المصدر وحشو يغير المعنى جيء به قسرا لنفى أقوال مأثورة صحيحة ؛
تُخلل ذلك أوهام وتخيلات قد تنتهى بتراجع يدل على تصرف غريب .

وقد وصل الأمر بالدكتور بتلر الى أنه لا يعتمد على المصادر العربية ،
وإن اعترف بصحتها ووافق عليها ، ويفضل الروايات الأخرى ؛ ولو لم يقيم
عليها الدليل المناقض للروايات الصحيحة . مثال ذلك : أنه لما بحث رواية
الطبرى سماها موقعة عين شمس ، وتصرف فيها بما يخالف قول الطبرى
وقال : "إنه من الإسراف أن نكذب خبرا مثل هذا الخبر المفصل ؛ ثم قال :
ولكنا فوق مانشر به عن ضرورة الأخذ بما جاء في كتاب حنا الذى كان قريبا
من ذلك العهد ، يظهر لنا أن الطبرى قد أخطأ فى وصف البلاد ، فإن
وصفه للوقعة صحيح ولكنها لم تكن عين شمس " .

ومن يطالع على التفصيل الذى دونه فى وصف الوقعة يتبين له أنه من
شرحه وأنه ينتقد الشرح الذى وضعه ونسبه ظلما الى الطبرى .

ومن الغريب أن يؤخذ الطبرى على هفوات بسيطة فى أسماء أطلقت
على بعض المواقع ؛ وقد تكون هى الأسماء التى كانت تلك المواقع تعرف بها
فى ذلك الوقت .

وقد وقع له هو نفسه من الأغلط فى أسماء البلاد والأشخاص ما هو
أحق بالانتقاد .

وكانت النية متجهة إلى ادراج تصحيحاتى فى سياق البحث التاريخى ،
ولكن صديق الأستاذ رمزى بك أشار على بأن أفرد لهذه التصحيحات بحثا

قائما بذاته ؛ فعملت برأيه وجعلت هذا الكتاب الأول من هذه البحوث .
واخترت له العنوان المصدر به وهو «فتح مصر والإسكندرية» . واتخذت
العنوان الجامع للسلسلة كلها « مصر في عهد الإسلام » . أما موضوعها
فيتكون من خواطر في تاريخ مصر ونبذ عن آثارها .

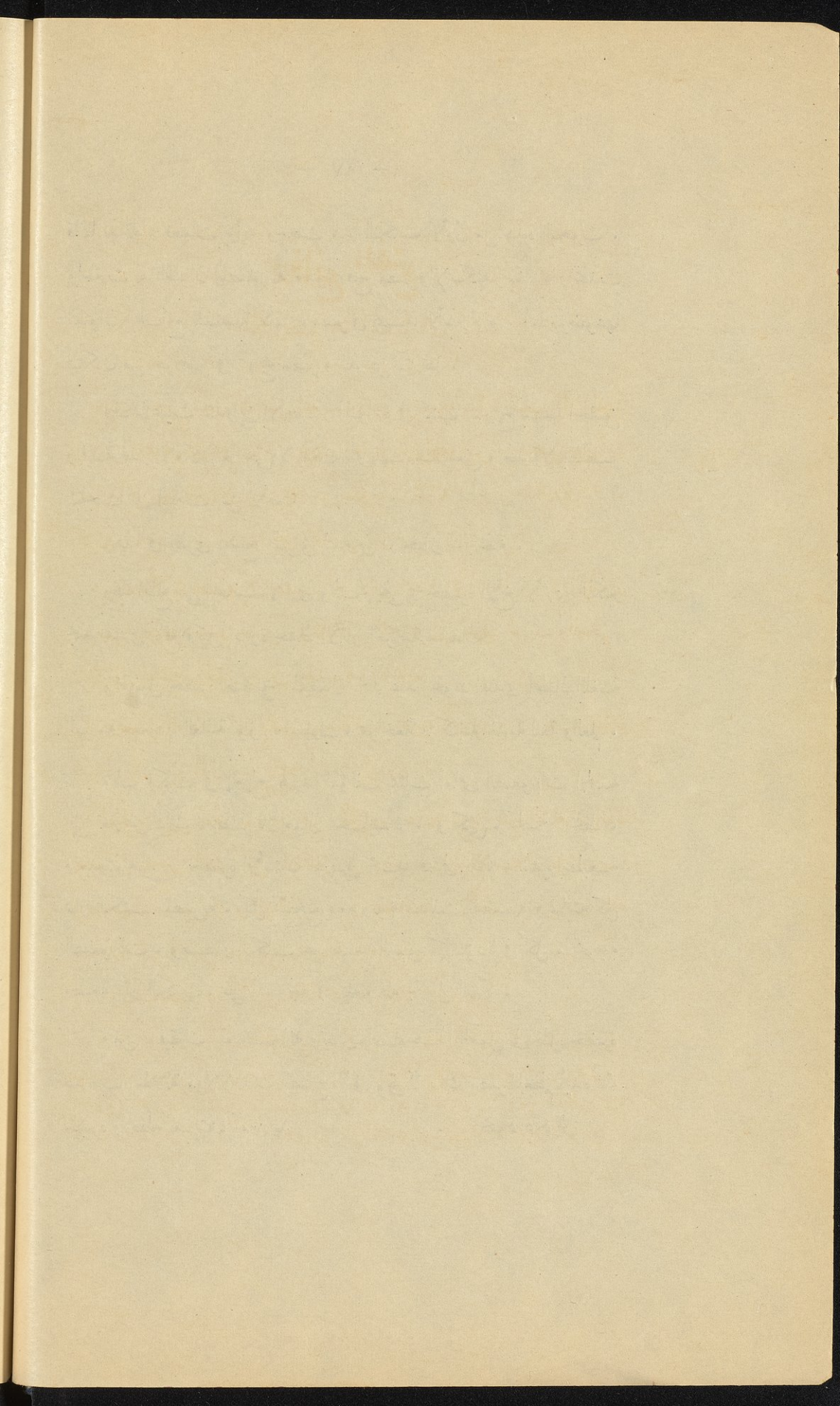
وقد عنيت بتدوين الأخبار المتواترة في كتب التاريخ بنصها الحقيقي
وافية قدر الإمكان ، حتى لا يقف تأويلها عند معنى واحد ولا يضطر
الباحث الى البحث عن الأصل .

وهذا في نظري أصلح طريق لتدوين الأخبار التاريخية .

وقد اطلع على الجانب الأثرى والتاريخي ، حضرة الأخ الأثرى الكبير
محمد افندى نافع وكيل ادارة حفظ الآثار العربية سابقا .

وتفضل حضرة صديق المفضل محمد عبد الجواد افندى أستاذ اللغة
العربية بالمعاهد العالية بوزارة المعارف ، بمراجعة ما كتبتة خدمة للغة والعلم .
ولما فكرت في إنحراج هذا المؤلف تمثالت أمامي الصعوبات الجمية
التي تعترض ذلك بالنظر للأحوال الحاضرة . ولكنني ، لحسن الحظ ،
وجدت من حضرة الأستاذ الفاضل محمد افندى نديم ، مدير مطبعة
دار الكتب المصرية ، كل تشجيع ومعاونة ؛ فتذلت بفضله وعنايته كل
الصعوبات ، وصدر الكتاب على هذا النسق كما عودنا في كل ما تخرجه
مطبعة دار الكتب ، على أتم وجه وأكمله ، فله جزيل الشكر .

ومن توفيقات الله سبحانه وتعالى أن تم هذا العمل في ظل حضرة
صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح "فاروق" ملك مصر المعظم أيده الله
بنصره ولحظه بعنايته ، آمين ما
محمود عكوش



وقائع الفتح كما يراها المؤلف

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحُدَيْبِيَّةِ ، كتب الى الملوك وغيرهم يدعوهم الى الإسلام . وكان رسوله الى المقوقس ، حاطب بن أبي بلتعة وآخرين ؛ بعثهم في ذى الحجة من سنة ست هجرية (أبريل سنة ٦٢٨ م) ، كما رواه الطبري في تاريخه عن محمد بن عمر .^(٢)

وقد ذكر الطبري في حديث آخر لابن اسحاق ، أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاه الى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته .^(٣)

وصل حاطب الى مصر في سنة سبع هجرية (٦٢٨ م) ، بعد جلاء الفرس عنها منذ أول سنة ٦٢٧ م .^(٥)

ولما انتهى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، من فتح الشام ، أنفذ عمرو بن العاص بجيش من المسلمين الى مصر يعرض الإسلام على أهلها ويفتحها . ووصل عمرو الى العريش ، في يوم النحر ، الأحد ١٠ من ذى الحجة سنة ١٨ هجرية (١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٩ م) .^(٦)
وكانت مصر وقتئذ ، في طاعة هرقل ملك الروم .

(١) القسطلاني ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٢ (٢) تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة الحسينية ، ج ٣ ص ٨٤ (٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥ (٤) محمد مختار باشا اللواء المصرى ، التوفيقات الإلهامية ص ٤ (٥) الدكتور بتلر ، فتح العرب لمصر ص ١٥٤ (٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر (ليدن) ص ٥٨

ووقع القتال بالفرما وبلبيس بين المسلمين وجند هرقل، وبقى القبط أهل مصر بعيدين عن القتال . وقد ورد أنهم كانوا يعملون بمشورة أحد أكابر رجال الدين . والمتبادر أنه بنيامين بطركهم ، وكان مختفيا فرارا من قيرس بطرك الإسكندرية الملكاني الذي جعل له هرقل ولاية الدين في مصر وأمره أن يعمل على توحيد مذهبي اليعاقبة أهل مصر والملاكيين رجال الدولة ، والجمع بينهما في مذهب واحد ، ابتدعته حكمة المجلس الإمبراطوري ؛ فلما أخفق حمل الناس على ما أراد بالاضطهاد، وتولى قيرس تنفيذ إرادته^(٢) .

وكان من أثر ذلك أن تلقى القبط عمرا بالمسالمة^(٣)، وهو أمر طبيعي، حيال ذلك الاضطهاد الذي بلغ أشده، وعجز القبط عن الخلاص منه ، كما يتبين ذلك في قول أبي الفرج بن العبري : ”ولما شكوا الناس الى هرقل لم يجب ، ولهذا أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب ، فعظمت نعمته لدينا أن أخرجنا من ظلم الروم وخلصنا من كراهمهم الشديدة وعداوتهم المرة^(٤)“ ؛ ولم يكن ذلك لتواطؤ بين المسلمين والقبط ، لأن المسلمين قدموا لتنفيذ الدعوة الى الإسلام، فكانوا أرفع من أن يتواطؤوا، وكان القبط من جانبهم لا يفكرون في غير النجاة من الباغين عليهم وعلى عقيدتهم .

ولما انتهى عمرو من بلبيس مضى في طريقه الى بابليون فر بأطلال عين شمس حتى أتى أم دينين . وهناك اشتد القتال ، وأبطأ عليه الفتح ، فكتب الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يستمده^(٥)، ثم ضاعف هجومه حتى فتحها .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٢٢ (٢) فتح العرب لمصر ص ١٣٩

(٣) ابن عبد الحكم (ليدن) ص ٥٨ و ٥٩ (٤) فتح العرب لمصر ص ١٤١ عن مختصر تاريخ الدول لأبي الفرج بن العبري طبعة سنة ١٦٦٣ ص ٢٧٤ (٥) ابن عبد الحكم ص ٦١

وتقدم بجنده الى حصن بابليون، وكانت به جموع الروم ، ونزل بجيشه في الشمال الشرقي منه بموضع كان يعرف بجنان الريحان ، حوالى منتصف شهر جمادى الأولى في سنة ١٩ هجرية (منتصف مايو سنة ٦٤٠ ميلادية) ؛ وهو نهاية المدة التي استغرقها مسير عمرو من العريش الى جنان الريحان ، كما ورد في الروايات العربية .

وقد كان المقوقس الذي وصله كتاب النبي عليه الصلاة والسلام يقيم بالإسكندرية ، فلما علم بزحف المسلمين انتقل منها الى مصر وأقام بالحصن يجهز على عمرو والجيوش . وكان معه رجل من الروم تحت يده ، يقال له الأعيرج واليا على الحصن ، وبعض قواد الروم ، ومن بينهم قائد يسمى أرطوبون كان بالشام واضطر لمغادرتها لما ظفر المسلمون بها ، وآخرون .

وبين منتصف جمادى الأولى من سنة ١٩ هجرية ، وحوالى ٩ من جمادى الثانية من السنة نفسها (٦ يونية سنة ٦٤٠ م) ، وصل المدد ومعه الزبير بن العوام وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي كتاب ساويرس الأشمونيني أن يوم ١٢ بؤونة (أوباني) وهو يوافق ٦ يونية ، هو اليوم الذي هبط فيه جيش المسلمين الى مصر في قوة عظيمة ^(١) .

وأعقب اجتماع الزبير بعمرو ، حصول مفاوضات بين المسلمين والمقوقس ، فاجتمع في المفاوضات الأولى منها مع عمرو راهبان انتدبهما المقوقس للاتفاق وحصولا من عمرو على مهلة ؛ وقبل انتهائها ، باغت أرطوبون المسلمين بالقتال ^(٢) .

(١) فتح العرب لمصر ، ص ٦٨

(٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ص ٢٢٨

وفي المفاوضة الثانية ، قيل أن عمرا دخل الحصن للمفاوضة بدعوة من المقوقس ثم شعر بغدر أهل الحصن به ، فاحتال على الخروج ؛ واستمرت^(١) المناوشات والقتال بين الفريقين .

وانهزم الروم في قتال على مقربة من الحصن ، وكانوا قد بوغتوا من ورأئهم بكمين من جنود المسلمين عليه خارجة بن حذافة كان وصل الى مغارب بنى وأئله^(٢) . واشتهر موضع انهزام الروم بمسجد عرف بمسجد الفتح بالقرافة الكبرى^(٣) .

واستمرت حصار الحصن والقتال ؛ فلما رأى المقوقس ومن معه صبر العرب وشدة عزيمتهم خافوا وخرجوا من باب الحصن الجنوبي ، ولحقوا بالجزيرة الروضة ، وأمروا بقطع الجسر ؛ وذلك في جرى النيل^(٤) . وتخلف الأعرج بالحصن ثم لحق بالجزيرة .

وأرسل المقوقس الى عمرو يطلب انتداب من يفاضه . فأرسل اليه عمرو وشروطه وهي ثلاثة : الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو استمرار القتال . ولكن المقوقس طلب أن يبعث اليهم عمرو رسلا فبعث اليه بعشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحصلت بينه وبين المقوقس مفاوضة طويلة ، ظهر فيها ميل المقوقس الى وقف القتال والتسليم ؛ ولكن أصحابه أبوا وقالوا : " الموت أهون علينا " .^(٥)

وكانت هذه المفاوضة في آخر شعبان في سنة ١٩ (أغسطس سنة ٦٤٠) وعاد القتال الى أن ظفر المسلمون بالحصن ومن فيه ؛ وقتل خلق كثير ، وانتهى الأمر بأن اجتمع الفريقان على عهد بينهما واصطليحا^(٦) .

(١) الخطط للقريزي ج ١ ص ٢٩٠ (٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن) ص ٥٩

(٣) الخطط للقريزي ج ٢ ص ٤٤٧ (٤) الخطط للقريزي ج ١ ص ٢٩٠

(٥) الخطط للقريزي ج ١ ص ٢٩٢ (٦) ابن عبد الحكم (ليدن) فتوح مصر، ص ٦٩ و ٧٠

ويؤخذ من رواية للطبري ان الزبير نزل على أهل الحصن عنوة، ولما تعاهد الفريقان أجرى المسلمون ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه المقوقس عمرا، وهو دفع الجزية والخراج .

واشترط المقوقس أن له الخيار في الروم خاصة حتى يكتب الى هرقل فان أجاز الصلح قبلوه، والا كانوا على ما كانوا عليه . وهكذا بقى الروم خارج الصلح .

وكان الفتح في يوم الجمعة ٢ من المحرم سنة ٢٠ هجرية (٢٢ من ديسمبر سنة ٦٤٠ م) ^(١)؛ ثم أرسل عمرو البعوث الى الصعيد وبلاد مصر السفلى، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل ما تمت عليه المعاهدة، فاستجمع فتح البلاد كلها تدريجا، وصارت أرضها أرض خراج .

وأقامت الفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها ثم افتتحت ^(٢) .

وجاء كتاب هرقل الى المقوقس برفض الصلح والأمر بقتال عمرو .
وبقى القبط على الصلح الذي تعاقدوا عليه .

وعزم عمرو على الزحف على الإسكندرية، فطلب من القبط أن يضموا له الجسرين ويقيموا الأتزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين مصر والإسكندرية؛ ومن ثم صاروا له أعوانا .

وسار عمرو الى الإسكندرية في ربيع الأول من سنة ٢٠ هجرية (١٨ من فبراير — ١٩ من مارس سنة ٦٤١) .

(١) مختار باشا المصري، التوفيقات الإلهامية، ص ١٠

(٢) الخطط للقرينى ج ١ ص ٢٤٩

وتجمع الروم في طريقه وحصلت بين المسلمين وبينهم وقائع عدة^(١) .
ومات هرقل في ٢٣ من صفر سنة ٢٠ هجرية ؛ (١١ من فبراير سنة ٦٤١ م)^(٢) .

وكتب عمرو أمانا لبنيامين بطرك الأقباط فعاد من فراره في سنة عشرين
هجريه . وحصلت مفاوضة بين عمرو وحاكم الإسكندرية ببلهيب ؛ ثم
فتحت الإسكندرية في يوم الجمعة أول جمادى الآخرة من سنة عشرين هجرية^(٣) .
(١٨ من مايو سنة ٦٤١ م) وهو فتحها الأول عند البعض .

وخرج عمرو في طلب فريق من الروم كان هاربا في البر والبحر ؛
وفي أثناء غيابه رجع من نخرج ؛ وأوقعوا بالمسلمين في الإسكندرية . وبقى
المقوقس على عهده ، فلم ينكث ولم يتحرك .

ورجع عمرو وأعاد فتح الإسكندرية ، في يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة
إحدى وعشرين (ديسمبر سنة ٦٤١ م)^(٤) ؛ وهو فتحها الثاني .

وفي ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ أبحر الروم من الإسكندرية بعد مهلة
اشترطت في الصلح .

هذا السياق من الوقائع هو ما اتفقت عليه الروايات العربية ؛ وقد
أثيرت في صدده اعتراضات ومناقضات ، تبين من الرجوع الى المصادر
الإسلامية انها لم تكن عادلة .

(١) الخطة للقريزي ج ١ ص ١٦٣

(٢) الخطة للقريزي ج ١ ص ١٦٤ ؛ فتح العرب لمصر ص ٤٧٤ و ٤٨٢

(٣) التوقيعات الإلهامية ص ١٠

(٤) الخطة للقريزي ج ١ ص ١٦٥

فتح مصر

سير عمرو بن العاص لفتح مصر :

اختلف أهل السير في كيفية خروج عمرو بن العاص الى مصر . فقال ابن اسحاق : إن عمر رضى الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر في جنده ؛ وكان عمرو تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهي الأدم والعطر .^(١)

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : لما قدم عمر الجابية خلا به عمرو ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لى أن أسير الى مصر وحرصه عليها وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ؛ وهي أكثر الأرض أموالا وأعجزها عن القتال والحرب ، فتخوف عمر على المسلمين ؛ ولكن عمرا هون عليه فتحها حتى ركن اليه وقال : سر وأنا أستخير الله . ثم كاتبه وأمره بالرجوع إذا وصله الكتاب ، ولم يكن دخل

(١) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية ج ٤ ص ٢٢٦ . وفي ابن اسحاق والواقدي : ” لما فتح الله على المسلمين ساحل الشام سنة سبعة عشر (وفي الواقدي تسعة عشر) كتب عمر رضى الله عنه الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ، بأن يأمر عمرو بن العاص أن يتوجه بعسكره الى مصر ؛ فتوح مصر للأول ، ص ٥٤ ؛ وفتوح الشام للثاني ، ج ٢ ص ٥٧ “ .

(٢) الكندى ، ولاة مصر ص ٧ . وكان العرب يعدون الأدم من المتاع النفيس . فقد ورد في حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن الهجرة الى أرض الحبشة ان قريشا إئتمروا على أن يبعثوا الى النجاشى هدايا ، مما يستطرف من متاع مكة . وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدم كثيرا . (ابن القيم الجوزى ، هداية الحيارى ؛ على هامش الفارق بين المخلوق والخالق ، طبع الموسوعات ، ص ٣٠٥) .

أرض مصر . ودافع عمرو الرسول ، حتى نزل فيما بين رفح والعريش ، وقيل له : إنها من أرض مصر ؛ فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين وأخبرهم بأمر عمر وقال : دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله . قال ابن عبد الحكم : وقيل غير ذلك ؛ وهو أن عمر أمره بالرجوع وخشن عليه في القول^(١) .

وروى البلاذري أن عمرا حاصر قيسارية ثم استخلف عليها ابنه ومضى الى مصر من تلقاء نفسه . فغضب عمر لذلك وكتب اليه يعنفه ويأمره بالرجوع الى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر ، فورد الكتاب اليه وهو بالعريش^(٢) .

وقال الكندي : إن أمير المؤمنين عمر كره الإقدام على من في مصر من جموع الروم وجعل عمرو يهون أمرها ؛ وقد أمر أصحابه أن يتسللوا بالليل ثم أتبعهم^(٣) .

ويطابق هذا القول ما جاء في روايتي ابن عبد الحكم ، إلا ما ذكر فيه عن التسلل ليلا . ومن الغريب أن هذه الروايات رغم ما بينها من التباين والشذوذ ، بقيت تتداول كما هي لا تنقد ولا ترجح منها رواية على رواية . والمتبادر أن قول ابن إسحاق صحيح لأنه يناسب ما عرف عن عمر من الحزم والتقوى^١ وصدق العزيمة . أما الروايات الأخرى فإن فيها من ظواهر

(١) فتوح مصر ، طبع القاهرة ، ص ٥١ ؛ فتوح مصر (ليدن) ص ٥٦ ، وما رواه ابن عبد الحكم هو عن ابن طبيعة ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، وعياش بن عباس القتيبي ، وغيرهما ، قال : "ويزيد بعضهم عن بعض" . وقيل عن ابن طبيعة ضعيف .

(٢) فتوح البلدان (المطبعة المصرية) ص ٢١٤ ؛ فتوح مصر (ليدن) ص ٥٧ .

(٣) تاب ولاية مصر ص ٧ ؛ ويطرد العرب دائما بقولهم «البيزنطيين» .

التردد والإحجام ما يخالف ذلك . ولا يعقل أن عمر الذى أخضع بلاد
الفرس والروم وفر من جيوشه أعظم ملوك الأرض ، يأذن للجند بالمسير الى
الغزو والجهاد ثم يتراجع ويقف السير وهو يعلم ما يترتب على ذلك من
الوهن فى عزيمة الجند وطمع العدو .

ولم يسبق لأحد من أمراء الأجناد على عهد عمر من افتات عليه
برأيه حتى نصدق ما نسب الى عمرو . وسنرى أن عمرا ما كان يبت
فى أمر ذى شأن إلا بإذن عمر ، كما استأذن قبل زحفه الى الإسكندرية ثم
فى غزو إفريقية مثلا^(١) .

ولا مرء فى أن هذه النصوص التى تتوقلت سماعا لم تسلم من الحشو
والتصرف ؛ ويدل عليهما اختلاف العبارة فى الرواية الواحدة أحيانا .

وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه ، اختلاف أهل
السير فى خبر المسير الى فتح مصر والإسكندرية ؛ ولكنه لم يثبت غير
قول ابن إسحاق^(٢) .

وقد مال الدكتور بتلر فى صدد التوفيق بين هذه النصوص الى نص
متقح قال عنه : إنه يراه خير رواية تقال ؛ فذهب الى أن عمر رضى الله عنه
وافق عمرا وهو متردد . ولما أفضى الى عثمان رضى الله عنه ، بين له عثمان أن
غزوه مصر عظيم الخطر وفيه جرأة وتهور ؛ فخشى عمر وندم ، فكتب الى عمرو
بأمره بالرجوع إذا كان ممكنا قبل دخول مصر وأن يستمر إذا كان دخلها ،
حتى لا تكون عودته خذلانا وسبة للمسلمين . ووصف ما ذكره المؤرخون

(١) البلاذرى ص ٢٢١ و ٢٢٧ ؛ فتوح مصر لابن عبد الحكيم (لیدن) ص ١٧٢

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٦

العرب بأنه خلط، وأنه إذا صح كان منهجا من مناهج الحقق ؛ وليس عمر ممن يوصفون بمثل هذا الوصف^(١) .

وهو دفاع لا يمكننا التسليم به ولسنا بحاجة اليه ؛ طالما كان من المستحيل أن يقع الأمر على تلك الصورة .

وصول عمرو الى العريش :

وأقبل عمرو بن العاص حتى اذا كان بجبل الحلال ، نفرت معه راشدة وقبائل من لحم . قال ياقوت : والحلال جبل في طريق مصر من الشام دون العريش الى الشام ؛ وكان من منازل بني راشدة^(٢) . وتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه «يوم النحر» فيكون وصوله اليها ؛ في يوم الأحد ١٠ من ذى الحجة سنة ١٨ هجرية (١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٩) .

وهذا التاريخ ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . قال الدكتور بتلر : "وهو يتفق مع التواريخ الأخرى فيمكن أن نعتبره ثابتاً"^(٣) .

وكانت مدينة العريش قبل الفتح تسمى رينوكورورا ثم سماها العرب^(٤) العريش .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٧٤ (١)

(٢) معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٠٩ : والحلال بالحاء المهملة بلفظ ضد الحرام .

(٣) فنوح مصر (ليدن) ص ٥٨ ، وقد سقطت جملة "أدركه النحر" من خبر الفتح ، في النجوم الزاهرة الجزء الأول ص ٥٧ ، مع وروده في فنوح مصر ، لابن عبد الحكم ، كما بيناه في المتن ، وفي الخطط للقريري ج ١ ص ٢٨٩ ، وحبذا لو أمكن تدارك ذلك ، إذا طبعت النجوم الزاهرة مرة أخرى ؛ لأنه من أهم البيانات التاريخية في خبر فتح مصر ؛ فتح العرب لمصر ص ١٧٥

(٤) بتلر ، فتح العرب لمصر ص ٦١ ؛ استدرارك : (Rhinocorura) ورد في ترجمة

فتح العرب رينوقولورا (Rhinocolura) وليس بخطأ لأنه صورة أخرى من هذا اللفظ .

حال مصر قبيل مسير عمرو اليها :

كانت مصر وقتئذ في طاعة هرقل بعد جلاء الفرس عنها ، وعامة أهلها من القبط اليعاقبة . وكانت الروم أهل الدولة من جنس هرقل ، يخالفون القبط في العقيدة ، ومذهبهم الملكية . وكانت لهم السلطة على القبط . وبلغ العداء بين الفريقين الى حد منع الزواج فيما بينهما ، وقتل بعضهم بعضا .^(١) وكانت الروم تسيء معاملة القبط حتى اضطرت بطركهم اليعقوبي ، واسمه بنيامين للفرار ؛ فانتقم الروم منه في أخيه مينا وأحرق بالنار .^(٢)

وكان هرقل مارونيا « ملكيا » فلما عاد سلطانه الى مصر ، أقام قيرس الملكي بطرك الإسكندرية . قال الدكتور بتلر : قدم قيرس الإسكندرية في خريف سنة ٦٣١ ؛ وقد ورد في تاريخ حياة البطاركة ، أنه جعل له ولاية الدين والحكم في الإسكندرية .^(٣) أما الروايات العربية فقد نصت على أن هرقل وجه المقوقس أميرا على مصر وجعل اليه حربها وجباية خراجها . وقد سماه الكندي : « المقوقس بن قرقب اليوناني » . وكان يقيم بالإسكندرية . فلما علم بزحف المسلمين انتقل الى مدينة مصر « بابلون » ؛ وكان بها

(١) كتاب الخطط للمقرزي (بولاق) ج ٢ ص ٩٢

(٢) جاء في كتاب ساويرس وصف تعذيبه ، قال : أوقدت المشاعل ، وسلطت نارها على جسمه ؛ فأخذ يحترق حتى سال دهنه من جانبه الى الأرض . بتلر ، فتح العرب لمصر ص ١٦٣ عن ساويرس من النسخة المخطوطة بالمتحف البريطاني ص ١٠٤ ، الكتاب العاشر . وتتفق نسخة القاهرة معها في هذا الخبر .

(٣) المقرزي الخطط ج ٢ ص ٤٩١ ، وقد ورد فيه اسم البطرك « فيرش » بالفاء وهو تحريف . وفي المنجد : البطرك والبطريك والبطريك ، رئيس رؤساء الأساقفة ، على أقطار معينة ، أو في طائفة من الطوائف المسيحية . وقد أبقينا الأثرل لأنه هو الوارد في الروايات الأصلية .

(٤) فتح العرب لمصر ص ٥٣

بظاهر الموضع الذى اختطت فيه فيما بعد مدينة الفسطاط ، الحصن الذى يعرف بقصر الشمع ؛ وما زالت آثاره قائمة الى اليوم . وكان عليه رجل من الروم يقال له : الأعيرج ، واليا عليه وكان تحت يد المقوقس ؛ فأقام هناك المقوقس^(٢) ، وصار يجهز الجيوش على عمرو .

وصول عمرو الى الفرما — موقف القبط بها — بنيامين :

و غادر المسلمون العريش مخترقين الصحراء فى طريق القوافل حتى اقتربوا من الفرما . وهى بلدة قديمة بالرمل بالقرب من قطة والطينة . وذكر ابن حوقل أن بها قبر جالينوس الحكيم . وقال الحسن بن محمد المهلبى : إنها حصن على ضفة البحر . وكانت عامرة الى أن أغار عليها الفرنج فى رجب سنة ٥٤٥ هـ . وقد ورد فى خريطة مصر الأثرية التى وضعها ماسپرو فى سنة ١٨٧٦ ، اسمها اليونانى « پيلوز » (Péluse) .

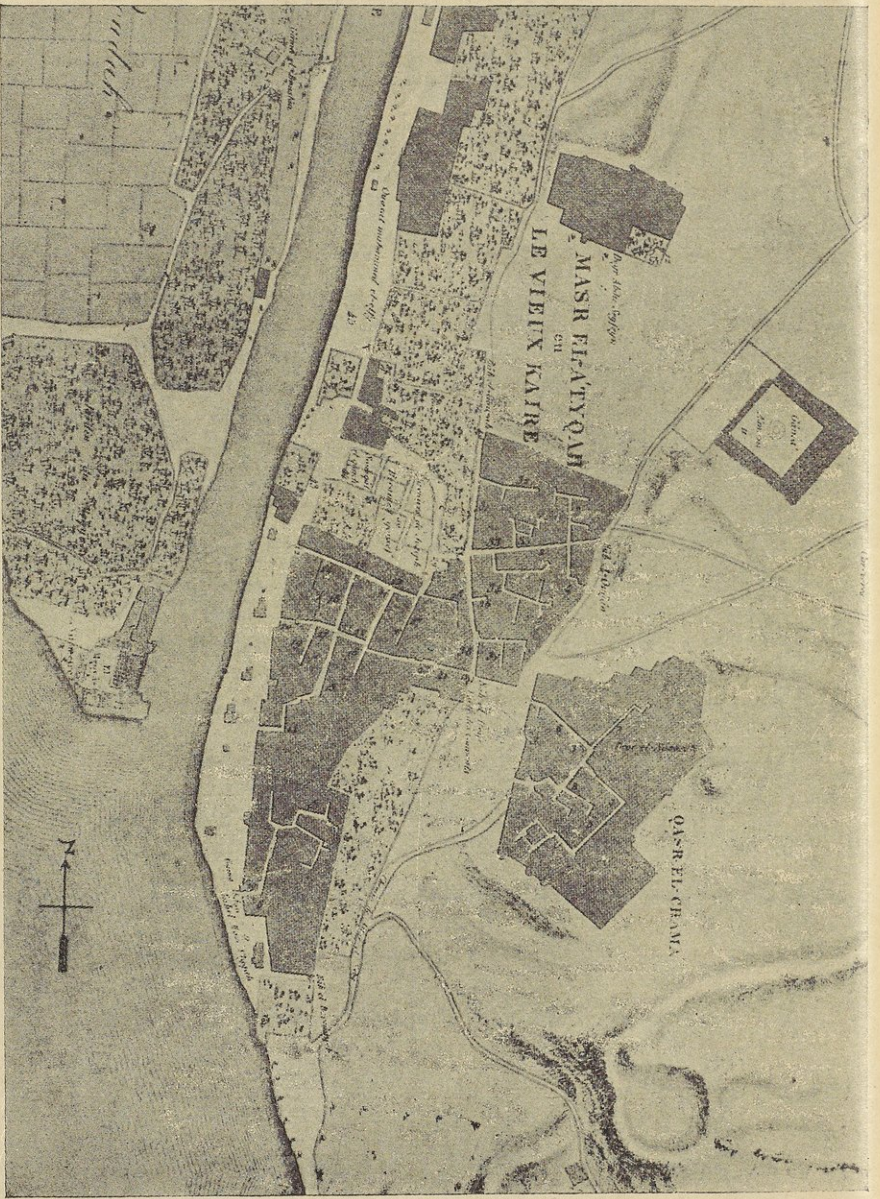
وكانت الفرما أول موضع قوتل فيه عمرو ؛ قاتلته الروم قتالا شديدا نحو شهر . ثم اقتحم حصنها وفتح الله على المسلمين حوالى ١٢ من المحرم^(٤)

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن) ص ٣٧ و ٥٨ ؛ الكندى ، كتاب ولاة مصر ص ٨ ؛ المقرئى الخطط ، ج ١ ص ٢٨٦ و ٢٨٩

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٥٨ و ٦٤ ، وقيل بديل هذه الصفحة ، انه وارد فى نسخة أخرى « الأعرج » . أما باقوت والقضاعى والمقرئى فقد ذكروا « الأعيرج » . وكلهم ينقلون عن ابن عبد الحكم . وقال الكندى فى كتاب ولاة مصر ص ٨ : « الأعرج » . وفى ذيل ص ٦٤ تحت رقم ٩ من كتاب ابن عبد الحكم (ليدن) ما نصه : على هامش النسخة الخطية المحفوظة بلندن من هذا الكتاب : يقال ان المقوقس اسمه جريج بن مينا بن قرقت وهو عامل هرقل على مصر وكان مقامه الإسكندرية . والظاهر أنه تعليق للناسخ أو لأحد القراء .

(٣) الانتصار لابن دقاق ج ٥ ص ٥٣

(٤) فى معجم البلدان نحو شهرين .



صورة مستخرجة من خريطة القاهرة التي رسمتها البعثة العلمية الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ بين موقع جامع عمرو والحسين الروافق المعروف بقصر الشمع

سنة تسعة عشر (١٣ يناير سنة ٦٤٠ م) . وكان عبد الله بن سعد ، على ممينة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه ^(١) .

وقد ذكر القضاعي عن الكندي : أن أول من اقتحم باب الحصن بالفرما السميقيع بن وعة السبائي وأتبعه المسلمون وكان الفتح . ولم يرو هذا الخبر في تاريخ مصر للكندي ، ولعل السيوطي نقله عن كتاب آخر له ^(٢) .

وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له « أبو ميامين » ؛ فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم : " انه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو ؛ فيقال : ان القبط الذين كانوا بالفرما صاروا يومئذ لعمرو أعواناً " ^(٣) .

ومعنى ذلك أنهم بادروا بتلقي العرب ، وعدم الانحياز الى الروم الذين اغتصبوا بلادهم ، واتهكوا حرمتهم في الأهل والدين . ولم يكن عملهم عن تواطؤ سابق مع العرب أو تفریط في حقوق الوطن ، لأن العرب لم يجيئوا مصر إلا للغرض الذي دعاهم الى الخروج الى غيرها من البلاد ، وهو نشر الدعوة الى الإسلام علانية ، والجهاد بعد الإنذار .

ومن قول بنيامين : " إن ملك الروم قد انقطع " يفهم أنه كان على علم بسقوط دولة الروم بالشام وفلسطين ، وتوقعه خذلانهم بمصر وقرب مغادرتهم لها وخلاص القبط من بغيهم وشركهم .

(١) فتوح مصر (ليدن) ص ٥٨ (٢) السيوطي ، حسن المحاضرة (مطبعة الموسوعات) ج ١ ص ٧٠ (٣) هكذا في الخطط للقرنيزي ، وفي النسخ الخطيعة لابن عبد الحكم ؛ وفي طبعة ليدين ص ٥٨ ، « أبو بنيامين » . (٤) فتوح مصر (ليدن) ص ٥٨ و ٥٩ الخطط ، ج ١ ص ٢٨٩

وإني لا أشك في أن أبو ميامين هو بنيامين بطرك اليعاقبة الذي فر؛
وإنما وقع تحريف في اسمه لأننا إذا حذفنا من « أبو ميامين » الألف
كما في بوسرجة وأبدلنا الميم نونا قرأنا بونيامين أو بنيامين .

ولم يكن بين الأقباط من هو أحب إليهم من بنيامين ، حتى يعملوا
بأمره . وهو ما اعترف به بتلر في قوله : " وقد وافق اختيار بنيامين لولاية
الدين هوى في قلوب الناس ، فإننا إن شككنا في حكمته وحسن رأيه في آخر
أمره ، لا يمكن أن ننكر أنه كان حبيبا الى الناس عزيزا عليهم . وأنه قد بقي
على محبة الناس له وإجلالهم إياه لم ينقص من ذلك شيء على تغير الأحوال
وتقلب الصروف " . « وفي قوله : وكان الناس يتلقونه أفواجا أينما سار لينالوا
من بركته ^(١) » .

ولا يخفى ما يرمى اليه بتلر من ذكر الشك في حكمة بنيامين ، وما هو
إلا نصحه لقومه بتلقى عمرو .

ولا عبرة بوصف بنيامين بأنه أسقف للقبط ، لأنه قد يكون اتخذ هذا
اللقب وهو مختلف من الظلم والاضطهاد .

وقد ورد في أخبار الفتح أن عمرو بن العاص أعاده الى كرسي
بطركيته وكتب له أمانا في سنة ٢٠ هجرية فسر ذلك . وذكر المقرئ
أنه غاب عن كرسي بطركيته ١٣ سنة . وقد مات في الإسكندرية في سنة ٣٩
هجريه (٦٥٩ - ٦٠ م) ، في رواية المقرئ ^(٢) . وفي ٣ من شهر يناير
سنة ٦٦٢ م في قول بتلر ^(٣) .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٥٣ و ١٥٤ . (٢) الخطط ج ٢ ص ٤٩٢ .
(٣) فتح العرب لمصر ص ٤٩٥ .

وقد أنكر هذا الأخير ترحيب القبط بالمسلمين ومساعدتهم ، ونفى الخبر وقال : انه اتهم من مفتريات التاريخ ظلم به القبط ظلما فاحشا ، ونسب اليهم أنهم كانوا دائما يرحبون بالغزاة الأجانب ؛ فرحبوا أولا بالفرس ورحبوا ثانيا بالعرب ؛ يريدون بذلك أن يتخلصوا من نير ليضعوا نيرا آخر على رقابهم .^(١)

وهو قول غريب عن اتهام لم يخطر لأحد . ولا يفهم كيف يكون في موقف القبط مذلة وخيانة للشرف والعزة القومية ، وقد عسف بهم حكم الروم وظلمهم عشر سنين ؛ حتى أن بطركهم ، باقرار بتلر نفسه — غادر مركزه ، بعد أن جمع القسوس والرعية — وألقى فيهم خطابا "يخصمهم فيه على أن يثبتوا على عقيدتهم حتى يوافيهم الموت . وكتب الى أساقفته جميعا يأمرهم بالهجرة الى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه ."^(٢)

ولا يمكن تعليل ذلك إلا بأن بتلر كان مضطرا لأن يقوله لنفى حسن ظن القبط بالعرب وتفضيل جوارهم على جوار الروم وهو عكس ما وقع .

ومن رأيه أن القبط رغم ما كانوا يعانون من الروم ، قد ارتكبوا خطأ كبيرا برفضهم ما عرض عليهم من أمر توحيد المذاهب وأن خطاهم هذا كان سببا في مصائب عظيمة تحل بهم .^(٣)

وتظهر فكرته واضحة في قوله : " ان مدة غياب بنيامين كانت ثلاثة عشر عاما ، منها ثلاث في مدة حكم المسلمين ؛ وانه لمن الجدير بالالتفات أن هذا البطريق الطريد لم يجمله على الخروج من اختفائه فتح المسلمين لمصر واستقرار أمرهم في البلاد ولا خروج جيوش الروم

(١) فتح العرب لمصر ، مقدمة المؤلف ، ص ٢٠ ومقدمة المعرب ، ص ١٤ .

(٢) فتح العرب لمصر ص ١٥٦ (٣) فتح العرب لمصر ص ١٦٠

عنها، وليس أدل من هذا على افتراء التاريخ على القبط واتهامهم كذبا بأنهم ساعدوا العرب ورأوا فيهم الخلاص مع أنهم أعداء بلادهم...^(١) .
ومن يتأمل قليلا يتبين له انه هو الذي بهذا القول ظلم التاريخ ، لأن مدة اختفاء البطرك بنيامين ثلاث عشرة سنة انتهت في سنة ٢٠ هجرية ، وهي سنة الفتح كما تقدم .

ويلاحظ أنه وقع خطأ في عبارة المقریزی ، ولا أشك في أنه زلة قلم ، قاب المعنى الذي يقصده بجاءت هكذا : ”وقدم على عمرو (يعنى بنيامين) ، وجلس على كرسي بطركيته بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة ، منها في ملك فارس لمصر عشر سنين ، وبقاها بعد قدوم هرقل الى مصر“^(٢) . وصواب هذه العبارة أن تكون بالنص الآتي : ”بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة ، منها في ملك فارس لمصر ثلاث سنين وبقاها بعد قدوم جنود هرقل الى مصر“ .

وفي التاريخ : إن حكم الروم عاد الى مصر في الفترة التي بين خروج الجيش الفارسي الأكبر من مصر في أول سنة ٦٢٧ وبين الوقت الذي ولى فيه قيرس ، وان قسما من الجيش بقى في مساح متفرقة الى ما بعد سنة ٦٢٨ ، ثم أرسل هرقل جيشا ليحتل مصر ويعيد أمر الدولة الرومانية من فلسطين الى بلاد بنطا پوليس «برقة» ، وقد سافر في البحر في شتاء (سنة ٦٢٨ — ٢٩ م)^(٣) . ولا شك في أن هذا هو السبب الذي جعل المقریزی يعتبر السنوات الثلاث السابقة لمحجىء قيرس داخلة في احتلال فارس لمصر .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٤٩٢

(١) فتح العرب لمصر ص ٣٨٣ و ٣٨٤

(٣) فتح العرب لمصر ص ١٥٢ — ١٥٤

ويبعد جدا أن يكون بنيامين بق محتفيا مدة ثلاث سنوات بعد الفتح الإسلامي بدليل النص على "أن قيرس لما استعمله هرقل اضطهد القبط مدة عشر سنوات"^(١) .

وقد عرفنا أن هذه المدة تنتهى فى سنة الفتح . ويتفق ذلك مع قول حنا النقيوسى إنه عاد بعد "ثلاثة عشر عاما من هروبه تخلصا من الروم"^(٢) . وكذلك يتفق مع قول المكين : إن عودة بنيامين "كانت فى سنة ٢٠ للهجرة" ومع قول ساويرس : إنه رجع قبل فتح العرب للإسكندرية^(٣) .

وهى كلها أقوال تؤيد عودة بنيامين فى سنة ٢٠ كما ذكره المقرئى ؛ وتنافى بعض خواطر ضعيفة يستند إليها بتلر . وقد تجنب أن يبين أيها الأرجح ، بحجة أن هناك فروقا وخلافات بين المؤرخين فى المدة التى قضها بنيامين بعيدا عن بطركيته ، ولا جدوى من محاولة التوفيق بينها^(٤) .

وزعم بتلر أن مما يدل على أن الخبر المروى عن المساعدة غير صحيح ، عدم وروده فيما كتب قبل القرن الرابع عشر . وأنه قد يكون تكرار القصة القديمة التى تعزوا إلى القبط مساعدتهم للفرس ؛ مع أن الخبر رواه ابن عبد الحكم ، وقد أسنده إليه المقرئى ، والسيوطى ، وأبو المحاسن ، وترجع روايته إلى القرن التاسع الميلادى .

ومن أدلة النسفى عنده قوله : "لو ساعد القبط العرب ، لما أحرقت هؤلاء السفن وهدموا الحصن"^(٥) . وهو استدلال ضعيف ، لأن هدم

-
- (١) فتح العرب لمصر ص ١٥٥ (٢) كتاب حنا الفصل CXXI صفحة ٥٨٤
(٣) فتح العرب لمصر ص ٣٨٣ (٤) فتح العرب لمصر ص ٣٨٣ (١) بديل الصفحة .
(٥) فتح العرب لمصر ص ١٨٧

الحصن وحرقت السفن لو صح، والذي ذكره ساويرس الأشمونيني (أوائل القرن العاشر^(١)) لم يكن في قتال مع القبط وإنما كان في قتال مع الروم .

واعتمد على قول ليوحنا النقيوسى جاء فيه : أن القبط لم يساعدوا المسلمين إلا بعد أن استولوا على الفيوم وإقليمها^(٢) ؛ ولكن هذا القول لا يدل على شيء . نعم ان مساعدة القبط للعرب عمليا من إصلاح الطرق وإقامة الجسور والأسواق ومعاونتهم على قتال الروم ، كانت بعد فتح مصر وقييل زحف عمرو الى الإسكندرية في الروايات العربية^(٣) . ولكن هذا لا يمنع أن القبط كانوا بالفرما في جانب المسلمين ، لأن «أبا ميامين» يعنى بنيامين البطرك لم يطالب منهم إلا تالقي عمرو ؛ أى أن يحسنوا استقباله ويرحبوا به ؛ فلا يكونوا مع عدوه وعدوهم . ولم يرو في خبر الفرما أن عمرا حارب القبط ، أو أن الحصن والسفن كانت لهم وإنما كانت للروم .

ومما ذكره بتلر عن وقعة الفرما : ان العرب لما ملكوها صارت في أيديهم معقلا يؤمن لهم الطرق المؤدية الى بلادهم ، وأن عمرا فطن الى أن الأمداد لن تستطيع أن تخلص اليه إلا عن طريق هذه المدينة ، ولما لم يكن له من الجند من يتركه لحراستها ، فقد اضطر لأن يهدم أسوارها وحصونها حتى لا ينتفع بها العدو اذا عاد اليها^(٤) .

(١) النسخة المخطوطة بالمتحف البريطانى من كتاب ساويرس صفحة ١٠٥ ، كما ذكره بتلر في ذيل الصفحة ١٨٧ تحت رقم (١) من فتح العرب لمصر .

(٢) فتح العرب لمصر ص ١٨٧

(٣) فتوح مصر لابن عبد الحكيم (ليدن) ص ٧٢ و ٧٣

(٤) فتح العرب لمصر ص ١٨٧ و ١٨٨ باختصار .

وقال أيضا: وكانت الفرما قوية الحصون، وبها كثير من آثار المصريين القدماء كما كان بها كُنائس وأديرة .

وفي كتاب الانتصار: "كان بها أبواب كثيرة من حجارة شرقي حصنها"^(١).

السير الى بلبليس :

وقال الدكتور بتلر: "وسار عمرو من الفرما حتى بلغ مدينة مجدول القديمة في الجنوب الغربي منها؛ ثم سار الى موضع على قناة السويس مكانه الآن القنطرة . ولعله قصد الى المكان الذي به مدينة الصالحية ومنها اجتاز تلال وادي الطميلات (وادي السدير سابقا) على مقربة من التل الكبير، وهو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبليس"^(٢).

ولم يرد هذا التفصيل في أحاديث الفتح العربية . وإنما ذكر فيها مجملًا : أن عمرا بعد أن انتهى من الفرما توجه لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر ثم بلبليس ، فقاتلوه بها نحوًا من الشهر حتى فتح الله عليه .^(٣)

قصة أرمانوسة :

ولما ذكر الواقدي وقعة بلبليس في كتابه « فتوح مصر » وصل الحديث عنها بقصة طريفة عن أرمانوسة ابنة المقوقس . وقد لخص هذه القصة المقرئ في خطه ، فقال : "إن المقوقس زوج ابنته أرمانوسة

(١) فتح العرب لمصر ص ١٨٦ ؛ ابن دقاق ، خامس ، ص ٥٣

(٢) فتح العرب لمصر ص ١٨٩ و ١٩٠ باختصار .

(٣) هذه القرية تعرف اليوم باسم الجعافرة بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . وقال ياقوت

عن « القواصر » : كأنه جمع قوصرة التمر موضع بين الفرما والقسطاط ؛ معجم البلدان ج ٧

ص ١٧٩ (٤) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن) ص ٧٩

من قسطنطين بن هرقل ، وجهازها بأموالها وجواريا وغلمانها وحشمها لتسير
إليه ، حتى يبنى عليها في مدينة قيسارية ، وهم محاصرون لها ، فخرجت إلى بلبس
وأقامت بها ، وبعثت بحاجبها الكبير في ألفي فارس إلى الفرما ليحفظ الطريق
ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يسير إلى مصر . وبعث المقوقس رسله
إلى أطراف بلاده مما يلي الشام ألا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر ، مخافة أن
يتحدوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب في قلوب عساكره . فلما قدم
عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص إلى مصر ، نزل على بلبس
وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها ، وقتل منهم زهاء ألف فارس
وأسر ثلاثة آلاف وانهمز من بقي إلى المقوقس . وأخذت أرمانوسة وجميع
مالها وسائر ما كان للقبض في بلبس ، فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير
إليه ابنته أرمانوسة مكربة في جميع مالها ، مع قيس بن أبي العاص السهمي ،
فسر بقدمها ، ثم سار عمرو إلى القصر^(١) .

وقد ذكر الدكتور بتل خلاصة هذه القصة وألحقها بقوله : ” ولا حاجة
إلى إضاعة الوقت في تنفيذ هذه القصة فإن مجرد العلم بأن المقوقس كان بطريق
الإسكندرية كاف لدحضها “ . وقال : ” وقد بنى عليها القس المحترم
(ش . هـ . بوتشر) روايته التاريخية «أرمانوسة المصرية» . وإنه لما يؤسف له
أن هذه القصة التي يماها خيال ألف ليلة وليلة مما يجب علينا إبعاده عن التاريخ .
ولما اطلمت على الرواية وجدتها مصدرة بكلمة افتتاحية من المؤلف
يعرب فيها أنه مدين للدكتور بتل بالمساعدة التي استمدتها من كتابه النفيس عن
الكنايس القبطية بمصر ، وبالخواطر البديعة التي تلقاها منه وهو يكتب

(١) ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٤ (٢) فتح العرب لمصر ص ١٩١ (٣) بذيل الصفحة .

هذه الرواية“ . وفي الواقع كنت أشعر أثناء قراءتي لها بأن نفحات من تلك الفكرة الثائرة في كتاب فتح العرب تتخلل بين سطورها . وقد قوبلت تلك المحاولة بمثلها ؛ فكتب الدكتور بتلر في مقدمته ، بعد الشكر الذي وجهه الى من ساعده ، ما يأتي : ” وفوق كل ذلك أبادر بأحر الاعتراف بفضل صديقي المبجل المفضل ، العميد بوتشر بالقاهرة ، إذ أتاح لي فرصة زيارة القاهرة مرة ثانية من أجل هذا الكتاب . وقد كان لا يقترعن أن يغمرنى بعطفه وتشجيعه وهو يتابع خطواتي في هذا العمل ، ويضئ لي السبيل فيه“ .
وإذا أراد القارئ أن يحظى بنموذج من تلك النفحات ، فما عليه إلا أن يراجع مثلاً الصحف رقم X و ١٠٠ و ١٤٣ من رواية أرمانوسة ، طبع ويليم بلاك وود وأولاده بإدنبره ولندن . ولا محل هنا لنقل شيء منها^(١) ، لأنه مما لا يصح نقله .

أم دنين :

ومضى عمرو في طريقه بمدينة عين شمس «هليو پوليس» سائراً على جانب الصحراء ، لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين (Tendunyas) ، الى الشمال من حصن بابليون وهي قرية وقيل مدينة ذكرت في أخبار الفتوح ؛ وكانت قديماً بين القاهرة والنيل وقد عرفت باسم المقس^(٢) .

C. H. Butcher, Armenosa of Egypt, W. Blackwood Edin- (١)
burgh and London.

(٢) الخطط للقرنيزي ، ج ١ ص ٢٨٩ وأم دنين مكانها اليوم المنطقة الموجود بها جامع المقس ، وهو المعروف بمسجد أولاد عنان وما يجاوره الى قنطرة الدكة والدرب الإبراهيمي . وكانت في ذلك الوقت على النيل .

قيل : وكان الروم تنهبوا الى خطر العرب عليهم وتبينوا الفرق بينهم وبين البسود في غاراتهم فأخذوا في التعبئة . وكانت في أم دين مسلحة قوية . وقوتل عمرو قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح ؛ فكتب الى أمير المؤمنين عمر يستمده ؛ ثم ضاعف هجومه على أم دين حتى فتح الله عليه .

وصول عمرو الى بابلون :

قال البلاذري : ومضى عمرو قُدماً (أى لم يرج ولم ينثن) الى الفسطاط (يريد بابلون) فنزل جنان الريحان ، وقد خندق أهل الفسطاط (١) . (في رواية نزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصحبهم ويمسيهم) . وقيل أيضا : ان عمرا لما قدم من الشام كان في عدّة قليلة ، فكان يفترق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم ، فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت ، وانما معك من أصحابك كذا وكذا ؛ فلم يخطئوا برجل واحد . فأقام عمرو على ذلك أياما يغدو في السحر فيصف أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح . واذن يكون وصول عمرو الى الحصن سابقا على مجيء المدد . ويوافق ذلك حوالى منتصف شهر جمادى الأولى سنة ١٩ هجرية اذا راعينا عدّة الشهور التي قضها عمرو في مسيره من العريش الى الفرما فيلبليس فأم دين ، وقاتله في هذه المدن ، الى أن نزل بجنان الريحان .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٢ ؛ فتوح مصر لابن عبد الحكم (لیدن) ص ٥٩

(٢) نحو شهرين ، في قول ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٨

(٣) فتوح البلدان ص ٢١٤ ؛ ويغلب على الظن أن جنان الريحان كانت مكان المسجد الجامع وقد كان جنانا ؛ وما زال للآن في الطرف الشمالى الشرقى من الحصن كنيسة تعرف بقصرية الريحان مشرفة على الفضاء المقام عليه المسجد . قال البلاذري : ” وكان اسم المدينة (يعنى بابلون) اليونة“ . وهو تحريف ظاهر . (٤) الخطط للقريزي ج ١ ص ٢٨٩

وقد جعلنا الأساس في عدد الشهور قول ياقوت ، ولا يمكننا ترجيحه ، لأن خبر الفتح في كتاب ياقوت وغيره يرجع الى مصدر واحد . ولا نشك في أن الاختلاف واقع من الناسخ .

ولكن الدكتور بتلر زعم أن عمراً ، وقد ملك بالاستيلاء على أم دنين منزلاً على النيل ، استطاع أن يجتاز النهر بالسفن ، وأن يترك بأم دنين مسلحة من الجند ، ثم سار بمن معه الى الجنوب بجوار المزارع حتى بلغوا منفيس . وكان ذلك في أول شهر مايو سنة ٦٤٠ (٣ من جمادى الأولى سنة ١٩ هجرية^(١)) وغرضه غزو الفيوم ، وقد قضى في سبيل ذلك بضعة أسابيع . وكان يريد بهذه الغزوة أن يتجنب خطراً يشعر به ، لأنه ما كان يستطيع فتح بابلون بمن معه ، فرأى أن يسير الى وجه آخر وهو غزو إقليم الفيوم . وقد نالته بأم دنين هو ومن معه مشقة كبرى .^(٢)

ولكى يبرهن على أن عمراً كان بأم دنين في مركز حرج ، استغل حكاية ذكرها الطبري مسندة الى عمرو بن شعيب ، قيل فيها : انه لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس واقتتلت خيلاهما ، جعل المسلمون يجولون بعد البعد فذمرهم عمرو ، فقال رجل من أهل اليمن : ” انا لم نخلق من حجارة ولا حديد “ ، فقال : اسكت ، فانما أنت كلب ، قال : فأنت أمير الكلاب . قال : فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو : أين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحضر من شهداها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين ، فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٩ (٢) فتح العرب لمصر ص ١٩٣

(٣) ذمرهم أى حضمهم على القتال ولا مهم ليجدوا فيه .

وأبو برزة . وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ، ففتح الله على المسلمين وظفروا
أحسن الظفر وافتتحت مصر .^(١)

وقد أخل هنا بالنقل الصحيح لأنه حوّر الخبر تحويرا مسيخا وجعله
أضحوكة لإخفاء الحقيقة بالتصويه ، فبتر ما يزيد عن نصف الخبر ، واقتصر
على قول : ان عمرا رأى جماعة يخيمون في القتال فجعل يذمرهم ويحتمهم ؛
فقال له رجل منهم : ”انا لم نخلق من حجارة ولا حديد“ ، فقال : اسكت ،
فانما أنت كلب . قال : فانت ، أمير الكلاب . وأضاف اليه عبارة لم ترد
في الأصل وهي : فكان جوابه هذا باعنا على ضحك من حوله . وأعرض
عنه عمرو فلم يجازه على ذلك .^(٢)

ومن مقابلة النص الأصلي بهذه الصيغة الجديدة يتبين أن المصدر
المنقول عنه الخبر لم يذكر ليبقى تحويره بعيدا عن النقد . فأسقط جوهره
وهو : ان الظفر كان للمسلمين وافتتحت مصر ، ”وقام فيها ملك الإسلام على
رجل ، وجعل يفيض على الأمم والملوك ؛ فكان أهل مصر يتدفقون على
الأجل ، وأهل مكران على راسل وداهر ، وأهل سجستان على الشاه وذويه ،
وأهل خراسان والباب على خاقان ومن دونهما من الأمم ، فكفكفهم عمرو
ابقاءً على أهل الاسلام ، ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل“ .

ولقد كان بتل حريصا في ترك قول صاحب الحديث : ”لما التقى عمرو
والمقوقس بعين شمس واقتلت خيلاهما“ ، لأن مكان الواقعة تعين فيه
وإثباته يبعد عن روع القارئ أن هذا الحديث له علاقة بفتح أم دنين وسير
عمرو الى الفيوم ؛ وهو الأمر الذي كان يحاول إثباته .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٣٠ (٢) فتح العرب لمصر ص ١٩٣

وقال : ان غزوة الفيوم حدثت في ذلك الوقت على الصورة التي شرحها في كتابه ، وهي لا توجد في أى كتاب عربى . وهذا يخالف قول البلاذرى : ان عمرا مضى قُدماً الى الفسطاط على ما تقدم ذكره .

ويخالف أيضاً رواية سعيد بن عفير التي أوردها ابن عبد الحكم تحت عنوان : « ذكر فتح الفيوم »^(٢) .

وقال بتلر أيضاً : ” يقول السيوطى نقلا عن ابن عبد الحكم على ما يظهر : ان عمرا بعد فتح مصر أرسل جرائد الخيل الى القرى التي حولها ؛ وبقيت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون شيئا عنها ” ثم قال : ” وهذا ينقض ما جاء في كتاب حنا النقيوسى الذى كتب في القرن السابع الميلادى ، وانه لا يتردد أن يأخذ عن الكتاب المصرى ” ؛ يريد به حنا^(٣) .

لهذا السبب وحده صار كتاب حنا النقيوسى مفضلا عنده على روايات العرب المسندة الى فريق ممن حضر الفتح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجند المسلمين وغيرهم ؛ المنقولة بالتواتر عن بعض الأئمة المجتهدين و كبار المحدثين والمؤرخين . ولم يراع قوله هو نفسه بعد الكلام على ما فى كتاب حنا من نقص فى بعض فصوله : ” وهذا مثل من مائة مثل مما يدل على نقص الكتاب وتغيير مواضعه ” ، وقوله بمناسبة واقعة الفيوم بالذات : ” وقد وقع نقل وتشويه فى عبارة الفصل الثانى والستين من كتاب حنا فجعله غير ممكن الفهم (صفحة ٥٥٦) ، وقوله : وقد جاءت فيه عبارة تشير الى السير لفتح الفيوم وهى : فتركوا المدن الحصينة واتجهوا الى موضع

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٢ — ١٩٩

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ١٦٩

(٣) فتح العرب لمصر ص ١٩٤

اسمه «تنونديس» ، وساروا في النهر ، وبعدها عبارة تشير الى فتح مصر ، ثم عبارة أخرى تشير الى الرجوع من الفيوم ، وقال : «وانا في أشد الحاجة الى ترتيب جمل النص على يد ناقد بصير»^(١) .

وهي أقوال تشهد رغم تجريجه لها بصحة الروايات . ويكفيها لكي نرد الحقيقة الى أصلها أن نستبعد الآن خبر هذا الزحف في تلك الآونة التي كانت فيها جموع الروم ، أو على تعبيره : «الجيش الرومي الأكبر» ، قد اتخذت حصن بابليون مجعاً لها ، تقيم فيه آمنة وراء أسواره العظيمة وتهدد اتصال عمرو بالمدد الذي كان ينتظر وصوله .

لا يعقل أن عمراً يخلف وراءه بأمر دينين مسلحة تكون معرضة للخطر أمام قوة الروم المجتمعة بالحصن ؛ وأن يعتمد إلى تجزئة قوته وتعريض جيشه لقطع الطريق عليه .

ويدهشني أن يلبث أهل الحصن وراء أسواره منتظرين عودة عمرو من هذه التزهة ثم محيى المدد أسابيع ولا يفكرون على الأقل في مهاجمة المسلحة الصغيرة التي خلفها عمرو بأمر دينين أو في اتخاذ احتياطات أو عمل مايتلافون به ماقد يأتي به المستقبل . وفي هذا دليل على عجز الروم عن الدفاع عن مصر . ومن طبعنا ألا نكتفى بتغليب الظن على المدونات الثابتة .

وصول المدد :

قيل لما أبطأ الفتح على عمرو ، كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمدّه ويعلمه بذلك ، فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل . وقيل : بل أمدّه باثني عشر ألفاً . وكان عمرو قد قدم الى مصر ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة .

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٠ (٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن) ص ٦١

ووصل المدد على وجه التقريب بين منتصف جمادى الأولى سنة ١٩ هـ (منتصف شهر مايو سنة ٦٤٠) ، وهو نهاية المدّة التي استغرقها سير عمرو من العريش الى جنان الريحان ، ويكاد يكون متفقا مع التاريخ الذى قيل فى خبر الزحف المزعوم أن عمرا بلغ فيه منفيس فى سيره الى الفيوم أى أول مايو، وبين حوالى الثلث الأخير من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة (حوالى الثلث الأخير من شهر يونية سنة ٦٤٠ م). وعلى وجه التعمين يوم ٦ يونية (٩ من جمادى الآخرة) اذا اعتمدنا يوم ١٢ يؤونة . وسنرى أن ساويرس يقول فى كتابه : انه اليوم الذى هبط فيه جيش المسلمين الى مصر فى قوّة عظيمة .

وكان على المدد أربعة : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو «الأسود» ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد — فى قول — وقيل خارجة بن حذافة العدوى الرابع ، لا يعدون مسلمة^(١) .

قال البلاذرى : وكان الزبير قد هم بالغزو وأراد إتيان أنطاكية فقال له عمر : يا أبا عبد الله ، هل لك فى ولاية مصر؟ فقال : لا حاجة لى فيها . ولكنى أنخرج مجاهدا وللمسلمين معاونا ، فان وجدت عمرا قد فتحها لم أعرض لعمله ، وقصدت الى بعض السواحل فرابطت به ؛ وان وجدته فى جهاد كنت معه ، فسار على ذلك . وقيل له : ان بمصر الطعن والطاعون . فقال : إنما جئنا للطعن والطاعون . وقال البلاذرى أيضا : ولم يلبث عمرو أن ورد عليه الزبير بن العوام^(٢) .

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٦١ ؛ المخطوط للقرئى ج ١ ص ٢٨٩

(٢) فتوح البلدان ص ٢١٤ و ٢١٥

اجتماع عمرو والزبير بباليون — المكلمة مع أبي مرثد وأبي
مريام — مفاجأة المسلمين بالبيات :

وقد ذكر الطبرى اجتماع عمرو والزبير قال : ” ولما وصل عمرو
الى باب اليون (يريد لما صار على باب مصر كما جاء فى قول ابن كثير) ،
واتبعه الزبير فاجتمعا فلقبهم هنالك أبو مرثد جائلق مصر ، ومعهم
الأسقف « أبو مريام » فى أهل البيعات^(١) ، بعثه المقوقس لمنع بلادهم ؛ فلما
نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل اليهم : لا تعجلونا لتعذر اليكم وترون رأيكم
بعد ؛ فكفوا أصحابهم . وأرسل اليهم عمرو : انى بارز فليبرز الى أبو مرثد
وأبو مريام . فأجابوه الى ذلك وأمن بعضهم بعضا ؛ فقال لهم عمرو : أنتم
راهبنا هذه البلدة فاسمعا : ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدى الينا كل الذى
أمر به ، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذى عليه ، وتركنا
على الواضحة . وكان مما أمرنا به الإعتذار الى الناس ، فنحن ندعوكم الى
الإسلام ، فمن أجابنا اليه فمثلنا ، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية وبتنا
له المنعة ؛ وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظا لرحمتنا فيكم ، وان لكم
ان اجبتمونا بذلك ذمة الى ذمة . ومما عهد الينا أميرنا ، أن استوصوا بالقبطيين
خيرا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا ، لأن لهم رحما
وذمة . فقالوا قرابة بعيدة ، لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة ، كانت
ابنة ملكنا ... مرحبا به وأهلا ، أمنا حتى نرجع اليك ... فرجعا الى المقوقس “ .

(١) فى الأصل البيات وهو خطأ تواتر فى الطبرى وغيره فكتب مرة البيات ومرة البيات
(راجع تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨ ؛ النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٣) . ويلاحظ أن
هناك اختلافا فى النص الوارد بهذا الكتاب عن النص الأصلى الوارد فى الطبرى الذى نقلنا عنه .
ويرجع ذلك الى ما أدخل عليه من التنقيح دون تغيير فى المعنى .

وقد أمهلها عمرو وخمسة أيام . قال الطبري : فهم (أى عزم المقوقس على الصلح) . فأبى أرطبون^(١) (وعند بتلر أرطبون^(٢)) أن يجيها وأمر بمنازعتهم فقالا (الراهبان) لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نزع اليهم ، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلا رجونا أن يكون له أمان^(٣) . فلم يفجأ عمراً والزبير إلا البيات من مَرَقَب (لا فرق الوارد في الأصل)^(٤) ،

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨ ؛ وفي رواية أخرى للطبري ج ٤ ص ١٦١ أن أرطبون بقي بعد ذلك ، فكان يتولى صوائف الروم ثم قتله صاحب صانفة المسلمين ، واسمه جريس القيسى . وقد سقط اسم أرطبون في رواية الطبري ولكن ذكره ابن الأثير في الكامل وقال إن أرطبون قتل وكثير ممن معه (ج ٢ ص ٢٧٨ «المطبعة الأزهرية») .

(٢) فتح العرب لمصر ، ص ١٩١ . وفي ذيل الصفحة تحت رقم (١) قال الدكتور بتلر أن أبا الحسن ذكر الاسم الصحيح لأرطبون ؛ وبمراجعة ذلك تبين أنه كغيره من المؤرخين سماه «أرطبون» .

(٣) ومعنى ذلك : أنهما سيتخلفان عن الخروج مع أرطبون بأمل أن يحصلوا على الأمان من عمرو ولأهل مصر ، إذا أصابهم ضرر من عمل أرطبون .

(٤) قال ياقوت : «المرقب الذى يرقب فيه» ؛ وفي المنجد : «الموضع المرتفع يعلوه الرقب» . وقد سميت به بعض القلاع الحصينة . ومن ذلك حصن عمره المسلمون بساحل جبله كما ذكره ياقوت أيضا ، وقال : وكان بمصر في قرنة المقطم موضع يسمى «المرقب» . وقد بنى ابن طولون عنده مسجدا كان يعرف به ؛ وقد ذكره المقرئى باسم مسجد التنور ، وقال انه بأعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرقها . (معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٢٧ و ١٨٢ ؛ الخطط ج ٢ ، ص ٤٥٥ ؛ المنجد ص ٢٧٦ .

ومن ثم يتبين بالقياس ، أن الطبري قال : «من مرقب» لا من فرق ، وكان يريد بعض الحصون أو الأبراج أو المواقع المرتفعة التي كان يرقب منها الروم ، جيش المسلمين ولم يقصد شخصا معينا اسمه فرق وأن هذا اللفظ ورد فيه محرفا .

ومن اللطائف أن يعمد الدكتور بتلر ، في بحثه عن شخصية المقوقس واسم أبيه ، لمناقشة كراباشك Karabacek ، عن فرق وابن فرق ويقول : ان لفظ «قرقب» لم يذكر في الكتب العربية إلا في عصر متأخر جدا ، فأحر به أن يكون أكثر من تحريف أو سلسلة من التحريف عند النسخ ؛ ثم يستدرك عليه حضرة الأستاذ معرب كتابه مؤكدا ورود اسم «قرقب» في الطبري (فتح العرب ص ٤٦٠) .

وعمرو على عدة فلقوه ، فقتل (أرطبون) ومن معه ثم ركبوا أكساءهم^(١) —
أى سقطوا على قفاهم كما في «القاموس المحيط» .

واعتبر بتلر ما ذكره الطبري ، أنه لم يكن سوى قصة أملاها الوهم^(٢) .
وزعم أن جاثليق لا معنى له إلا البطرك الذي هو رئيس الأساقفة ، وأنه
لم يكن بين الأساقفة من يسمى أبو مريم ولا أبو مريام ، قال : وقد يكون
بنيامين ، لسهولة تحريف اسم «أبو بنيامين» الى «أبو ميامين» . ثم الى
«أبو مريم» . وأسهب في ذلك ثم قال : ومن المحال أن يكون بنيامين اشترك
مع عمرو أى اشترك فيما نسب اليه من المفاوضة والمحاربة ، مع اعتباره في حكم
القائد الحربى . يرمى بذلك الى ما رواه الطبري من أنه بعث لمنع البلاد .

== وقال الدكتور بتلر : وقد قال أبو صالح ، صفحة ١٥٦ : ان اسم "قرقر" مشتق من
(جريجور يوس) ، فاذا ذهبنا الى أن لفظ "قرقر" قد حرف فصار (قرب) ، وهو احتمال
قريب كل القرب — بدا لنا تفسير سهل قريب ، وهو أن (ابن قرب) ليس إلا تحريف (ابن قرقر)
وأن معناه (ابن جريجور يوس) ، ولنلاحظ كذلك أن (جريجور يوس) ، تكتب في لغة الأرمن ،
(جريجور) وأنه من الأسماء الشائعة في تلك البلاد ، والصورة المعتادة بين القبط والأرمن ، اليوم ،
من اسم (جريجور يوس) ، هي (كركور) . وعلى ذلك فانه من أقرب الأمور ، أن قيرس كان
(ابن جريجور يوس) وأن جورج كان (ابن مينا) . (فتح العرب ، ص ٤٦٠ و ٤٦١) .
قال : وقد نهنا مسيو كازانوفا الى أن (ابن قرب) ان هو إلا تحريف بسيط لاسم (أبو قرص)
وفي الواقع نرى اسم (قيرس) مختلفاً تحت لفظ (ابن قرب) .
ثم قال الدكتور بتلر معرباً عن تقديره لقول مسيو كازانوفا : "وهذا الاقتراح وجيه كما أنه
ينم عن ذكاء" . فتأمل ! (راجع فتح العرب ، ص ٤٦١) .

أقول : ومسيو كازانوفا المنسوب اليه هذا القول ، هو المستشرق المشهور ؛ ومن خلفاته
كتاب «مجد والساعة» Mahomet et la fin du monde . وهو مثال آخر يتطلب النظر
من البحوث العلمية العصرية . ويلاحظ أن جملة «فلم يفجأ عمرو الا الليات من مرقب» ، لم ترد
في النجوم الزاهرة ، وأبدلت بعارة أخرى ، يظهر أنها تلخيص للنص الأصلي (ج ١ ص ٢٤) .

وهو تأويل محرف عن قول الطبرى ، لأن الطبرى لم يذكر «أبا مريم» إلا كراهب موفد للمفاوضة ومعه أهل البيعات وهى متعبدات النصرارى ؛ وقد جاء فى حديث عمرو معه ، « منع البلاد » ولم يكن المقصود به القتال بل المفاوضة ، لأن قيادة الحرب كان موجودا لها أرطبون ، وكانت له الكلمة النافذة كما يفهم من تغلبه على اقتراح المصالحة ورفضه .

وليس هناك ارتباط بين بنيامين وبين «أبى مريم» فقد ذكر الطبرى أبا مريم ، بأنه جاثليق مصر أى متقدم الأساقفة بمصر «بابليون» ولم يقل أنه رئيس رؤسائهم حتى يظن أنه بنيامين ، بطرك اليعاقبة .

ولا نعلم من أين جاء لبتلر أن الطبرى سماه «ابن مريم» وقد جئنا بنص كلامه وليس فيه هذا الاسم . ولا معنى اذن للتفسير الذى جاء به بتلر ، ولا الرجوعه بعد ذلك الى القول بأنه قد يكون تحريفا لاسم مارينوس القائد .

ويؤيد الطبرى فى حديثه عن «أبى مريم» ، وأنه لم يأت فى كلامه بالأوهام ، ورود ذكر أبى مريم فى حديث زياد بن جزء الزبيدى . وقد كان فى جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية . وقد قال عنه انه أسلم وعرف باسم أبى مريم عبد الله بن عبد الرحمن ، وصار عريف بنى زبيد^(١) .

ولم يقل أحد أن بنيامين البطرك زايل المكان الذى اعتكف فيه بعد فراره واشترك فى وقائع الفتح أثناء زحف عمرو على مصر ؛ ليقال انه هو وأبو مريم شخص واحد .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٧

والقول بأن خبر المفاوضة مع أبي مرثد كان قبل وصول عمرو وجنده الى بلييس باطل ؛ لأن الطبرى ذكر أن اجتماع عمرو بالزبير كان ببابلون وأن المفاوضة كانت معهما . ولا صحة كذلك لما قيل عن عمرو انه طلب الى القبط أن يساعدوا المسلمين لما كان بينهم وبين العرب من قرابة في النسب تجمعهم هاجر ، ولكن القبط قالوا : ان هذه قرابة ما بعدها ؛ وانه قول ما كان قائد الروم لينظر في مثله ^(١) !

ولا يخفى ما بين العبارة التي أوردها الطبرى وبين هذا القول من فرق . وهو دليل على أن بتلم يكن مدققا في نقله ؛ ففي المحادثة التي تمت بين عمرو وبين الراهبين ، بدأ عمرو بالإعذار الذي أمر به الله ورسوله ؛ ثم الإنذار بأن مصر ستفتح ، ثم بتبليغ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبط . وقد أجاب أبو مرثد وصاحبه جوابا مرضيا يتفق مع آداب الرهبان وحنكتهم ، ويترك باب الاتفاق مفتوحا . والتمس من عمرو أن يمهلهم بضعة أيام لينظرا في الأمر مع قومهما ويرجعا . وقد أجاز عمرو ذلك ، ثم رفض الاقتراح غيرهما . وقد بينا معنى أقوال الطبرى وقلنا : ان الراهبين قالوا : ” قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، معروفة ^(٢) “ ، وهذا يفند أنهما قالوا : ان هذه قرابة ما بعدها ! ويظهر بطلان الادعاء . ولعل ذلك عن التباس في فهم قول عمرو . أو أن من استعين بهم في الترجمة من المراجع العربية ، لم يعنوا بالنقل على الوجه الصحيح .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩١ (٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨

عين شمس (هليو پوليس) :

قال أرتور رونييه : كانت هليو پوليس قديماً قصبية إقليم هليو پوليت nome Héliopolite . وكان اسمها المقدس باللغة المصرية آن وعثر عليه في اللغتين القبطية والعربية أون On . وكانت تسمى باللغة الدارجة Per - Ra « مدينة الشمس » . وما لفظ هليو پوليس إلا ترجمة هذا الاسم العامي . وكان في جوار هليو پوليس عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها عليها ، وفيه ذكرى الشمس ، التي كانت معبود أهلها^(١) .

ووصف بتلر ما كانت عليه عند مجيء العرب فقال : لم يكن باقيا من مجدها القديم لما أتى العرب إلا أسوار مهتمة وتماثيل لأبي الهول نصفها مدفون في الأرض ، والمسلة الشهيرة الباقية الى اليوم .

وكان مرجعه في ذلك كتب شامبوليون الأصغر . وقد لاحظ أن الخريطة الحديثة الحربية تجعل أون في موضع تل اليهودية على مرتفع من الأرض ، وهليو پوليس في موضع تل الحصن على اثني عشر ميلا الى الشمال بعد ذلك^(٢) .

وقد تفضل حضرة العالم الأثرى ، الدكتور حسن كمال نجمل المرحوم العلامة الأثرى الكبير أحمد كمال باشا ، بأن خص هذا المؤلف بالبيان الآتي ، عن أصل مدينة عين شمس (أون) ، ونصه :

(١) L'Égypte à petites Journées سنة ١٨٧٦ ، ص ٢٦٧ و ٢٦٨

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٠٠ و ٢٠١ . وقد ورد في هذه الصفحة الأخيرة في التعريب

تحت رقم (٢) تل الحسن وصحته تل الحصن ، ووقعه في الجنوب من تل اليهودية لا في شماله .

”هى قاعدة القسم الثالث عشر من أقسام (مديريات) مصر القديمة .
اسمها المقدس (بيرع Per-Ra) أى معبد أو مدينة أو بيت الشمس .
وبالقبطية (قرى) بمعنى بيت الشمس وهو الأصل فى تسميتها باليونانية
(هليو پوليس) . وسميت فى التوراة والقبطية (أون) . كانت منبع الديانة
المصرية ومركزا لدراسة علم اللاهوت والفلسفة . واختط بجانبها مدينتان
شهيرتان هما (أحو) و (حابنن) أى بابل مصر . وكان لهما شأن عظيم
فى حروب (أوزيريس) .

”ان مدن الوجه البحرى هى التى نشرت الحضارة المصرية ووسعت
نطاقها لأن الصلوات والقصائد التى مدحت بها المعبودات وصارت بعد
ذلك أصولا للكتب المقدسة كان انشاؤها فى مدينة (أون) ، كما يقال لها
أيضا (آن) . ولما انقسمت مصر الى أعمال ادارية انتهى بها الأمر الى
قسمين مستقلين . فكانت (آن) فى الجهة البحرية مركزا للحكومة ومنها
انبثق نور المدنية على سكان الأراضى الخصبية واهتدى به أيضا أهل الأباطح
وأنشأ فيها الكهنة مدارس جمعت اصول الديانات المحلية فاعتنت بها الكهنة
ورتبها ، وأوجدت التسع فنجح وانتشر بهمة أمراء الوجه البحرى ؛ وعلى
ذلك تم نظام الملك حول مدينة الشمس . فتقدمت المعارف وظهر نسب
الفراعنة حتى ألحق بالمعبود (رع) (أى الشمس) . وسنت ديانة هذا المعبود
الشمسى المألوفة لهم .

”وكانت مدينة الشمس فى الجهة البحرية من المعبد حيث تشاهد الآن
أطلالها عالية ولم يبق من آثارها ما يستحق الذكر غير أنه أقيم فى مكانها قرية
تعرف (بتل الحصن) وربما سرى اليها هذا الاسم لمجاورتها لسور المدينة .

وكان هذا السور مبنيًا باللبن وفي وسطه المعبد الآنف الذكر . وكان للسور أبواب على أبعاد متساوية لكل باب برجان من الحجر الأبيض الجيري مشحونان بالكتابة كما رواه (مكسيم ديكان) صفحة ٦٢ من كتابه المسمى النيل . إلى هنا انتهى بيان الدكتور حسن كمال .

ونقل ابن سعيد، عن كتاب «لذة اللس في حلى كورة عين شمس» أنها كانت في قديم الزمان عظمة الطول والعرض، متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة القسطنطينية^(١) . ومعنى ذلك أنهم كانوا يطلقون اسم عين شمس على موقعها الحقيقي وما يليه من الأماكن إلى بابلون وحصنها .

قال الطبري : وقصد عمرو والزبير لعين شمس ، وبها جمعهم (أى معسكر الروم)^(٢) . وفي الخطط للقريري : نازل عين شمس . وكان جمع القوم حتى فتحها^(٣) .

ويؤخذ من هذين القولين أن كلا من الطبري والمقريري ، يريد بقول «عين شمس» هنا حصن بابلون «قصر الشمع» ؛ لأنه هو الذى كان به وقتئذ جمع القوم ؛ أى الروم .

وقد التبس الأمر على الدكتور بتلفظ أن المراد بعين شمس التى نزل عليها عمرو والزبير كما جاء فى رواية الطبري ، مدينة عين شمس الأصلية التى عرفت فيما بعد بالمطرية^(٤) ، فقال : ان عمراً عند مجيئه اتخذ هذه المدينة مقراً لعسكره وجعل يتجهز منها لما هو مقبل عليه من القتال .

(١) الانتصار ج ٥ ص ٤٤ (٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨ و ٢٢٩

(٣) ج ١ ص ٢٣٠ ، وهو من قول ابن سعيد فى كتاب المغرب .

(٤) الانتصار ج ٥ ص ٤٣

بدء حصار حصن بابليون (عين شمس) :

قال ابن كثير : وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع^(١) .
وفي الرواية التالية لحديث خالد وعبادة السابق ، يقول الطبري عن أبي حارثة
وأبي عثمان ما نصه : ولما نزل عمرو على القوم بعين شمس ، ونزل معه
الزبير عليها ، قال أهل مصر للملكهم : ما تريد الى قوم فلوا كسرى وقيصر
وغلبيهم على بلادهم ؟ . صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تعترضنا
لهم ؛ وذلك في اليوم الرابع . فأبى وناهدوهم فقاتلوهم^(٢) . والمفهوم من هذا
القول أنه تريد ما رواه خالد وعبادة عن حكاية الراهبين والمقوقس
وأرطوبون وما تبع ذلك من قتال فالحصار .

القتال بين عمرو والروم في أثناء الحصار (وقعة هليو پوليس
في قول بتلر) :

في الباب الذي أفردته الدكتور بتلر، بعنوان «وقعة هليو پوليس» يقول:
” كانت خطة عمرو أن يجعل الروم يخرجون اليه فيقاتلونه في السهل
وهم بعيدون عن حصن بابليون . وكانت ربيعة العرب قد أسرع وحملت
الى عمرو ما عزم عليه الروم ، فاستطاع أن يوجه جنوده الى مواضعها
ويعبئهم للقتال ، فسار هو من هليو پوليس مع أكثر الجمع من العرب للقاء
الروم . ولكنه أرسل تحت الليل كتيبتين : إحداهما الى (أم دنين) والأخرى
وعليها خارجة بن حذافة الى مكان واقع الى الشرق . ولعله كان في ثنية

(١) أى اليوم الرابع من الهدنة؛ النجوم الزاهرة، ج ١ ص ٢٤

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩

الجبل بقرب الموضع الذى فيه اليوم قلعة القاهرة . فكان سير الروم على ذلك بين هذين الكمينين من العرب . وكان عمرو قد أمرهما أن يهبطا على جانب جيش الروم ومؤخرته اذا ما سنحت لهم الفرصة . وخرج الروم من بين البساتين والأديرة التى كانت الى الشمال الشرقى من الحصن ، وانتشروا فى السهل وكان ذلك فى الصباح الباكر . ولم يكن عندهم علم بمكيدة عمرو ، بل رأوا أنه كان يسير اليهم فى جمعه آتيا من هليو بوليس ، ثم التقى الجيشان . ولعله فى مكان وسط بين معسكرى الروم والعرب عند العباسية . فلما اشتد القتال أقبلت كتيبة من مكنتها فى الجبل تتجتاح مؤخرة الروم . وأخذ الروم بين جيشين فوق الفشل فى صفوفهم واتجهوا نحو أم دنين ؛ فلقبهم السكين الآخر ، وظنوه جيشا ثالثا ، فحلت بهم الهزيمة وفروا^(١) .

وقد بنى الدكتور بتلر هذا التفصيل على الظن والتخمين . وقد قدر عدد جيوش الروم التى كانت على قدم القتال ، بأنها لم تكن بأقل من عشرين ألفا . أما ما جاء فى الروايات العربية عما وقع بين المسلمين والروم فهو ما ذكره ابن عبد الحكم وقد جاء صريحا منافيا لهذا القول ونصه :

جاء رجل الى عمرو ، فقال : انذب معى خيلا حتى آتى من ورائهم عند القتال ؛ فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حدافة^(٢) ، فى قول ؛ فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغار بنى وائل قبل الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبشوا فى أفنيئتها حسك الحديد ي

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٤ (٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٥٩

(٣) فى فتوح مصر « وخرج الخمي » بدلا من خارجة والذى أثبتناه فى المتن من الخطط

للقرينى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ؛ الأول ج ١ ص ٢٨٩ والثانى ج ١ ص ٨

فالتقاهم القوم حين أصبحوا وخرج خارجه من وراءهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن .

مغار بنى وائل :

جاء في الخطط للمقريزي عن خطة بنى وائل أنها « كانت من سفح الشرف، المعروف بالرصد، الى خطة خولان^(١)؛ فهي لا تخرج عن المنطقة الواقعة في الجنوب من قصر الشمع، بين الشرف ويسمى الآن « جبل الطواحين » ونهر النيل الى دير الطين . والمتبادر أن مغار بنى وائل، هو الذي ذكره المرحوم على بهجت بك في استدرأكه على قول الأستاذ كازانوفا بخصوص اسطبل عنتر بأنه المغار الواقع في جانب الشرف المطل على بركة الحبش، يعني الرصد .

موضع انهزام الروم (مسجد الفتح) :

وقد اشتهر موضع انهزام الروم بمسجد سمي « مسجد الفتح » بناه فيما بعد، (يانس الرومي) وزير مصر . وقد ذكره المقريزي في خططه ضمن المساجد الشهيرة بالقرافة الكبرى^(٢)، وقال : واستشهد يومئذ جماعة دفنوا في مجرى الحصا^(٣) .

وقال ابن الزيات : ذكرهم القرشي في طبقات الشهداء وقال : وقبورهم في مكان واحد وتعرف بمقبرة الشهداء . وهي مقبرة ظاهرة مقابلة لتربة الشيخ عز الدين بن عبد السلام (وموقعها في الجنوب الشرقى من مشهد عقبة بن عامر) . والخطة معروفة بمجرى الحصا . وقال : بينه وبين

(١) ج ١ ص ٢٩٨ (٢) ج ٢ ص ٤٤٧ (٣) الخطط ج ٢ ص ٤٤٧

الجبيل نصف ميل . ومن بحريه تربة الصاحب نحر الدين . وهى قرية
من رباط الأمير سعود .^(١)

وقد ذكر ابن اسحاق حديث قتلهم^(٢) فى فتوح مصر ، ونقله عنه الواقدى
فى كتابه « فتوح الشام » . وقال ابن الزيات : ” وقال ابن الجباس : وهم
اربعمائة وثلاثون رجلا ، قتلوا فى شهر رمضان المبارك يوم الجمعة ، وهم مع
عمرو بن العاص قتلوا وهم ساجدون ، ذكروهم الشيخ سراج الدين البلقنى . قال
ابن اسحاق : وصلى عليهم عمرو بن العاص رضى الله عنه بجماعة المسلمين . ودفنهم
هناك فى مواضعهم قبلة مجرى الحصا وشرقا منه وقبورهم معروفة هناك “ .
وقد ذكر أسماء الأعيان منهم^(٣) . وأوردها ابن الزيات أيضا مع اختلاف
فى الأسماء يرجع الى تحريف فى النقل^(٤) .

ولم يذكرهم ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ولا غيره ممن نقل عنه ما خلا
المقرئى . ومع أن الواقدى روى حديث قتلهم كابن اسحاق إلا أنه لم
يذكر أسماءهم .

وفى وصف الدكتور بتلر لا نتصار العرب ، قال : وقد قتل فى الموقعة
كل ما كان بها من الجنود (الروم) إلا ثلاثمائة . ولاذ كل من نجا بحصن
باليون وأغلقوا عليهم الأبواب . ولكنهم منذ هلموا بما أصاب إخوانهم
الروم من القتل حملهم الخوف على أن يتركوا الحصن . فساروا فى النهر الى
نقيوس ... ثم قال : على أنه قد بقى من الروم فئة لا بأس بها ، اجتمع إليها

(١) الكواكب السيارة ص ٢٧٢ و ٢٧٣ (٢) ص ٣٥ (٣) ص ٣٥

(٤) ص ٢٧٣ . هذا الخبر تناقله من ذكرناهم على هذا الوجه عن ابن اسحاق ؛ وحكاية مقتلهم
وهم ساجدون يتعذر تصديقها . ولا يخفى أنه فى عهد الجهاد كان المصلون يحرس بعضهم بعضا .

من كان في الحصن في أثناء القتال فصارت منهم جميعا مساحة قوية تستطيع الدفاع عنه . ولكن النصر أفاد العرب فوائدا جملة ؛ فقد أصبحت مدينة مصر في قبضة يدهم بغير قتال . وكانت من قبل يحميها الجيش الذي في الحصن وأصبحوا يملكون ناصية شاطئ النهر من ناحيتي الحصن من أعلاه ومن أسفله . ونقلوا عسكرهم بعد من هليوبوليس ؛ فضر به في شمال الحصن وشرقه بين البساتين والكائنس . وذلك المكان هو الذي صار يعرف بالفسطاط فيما بعد . وقد صار جيش العرب بعد ذلك النصر كافيا لحصار بابلون لا يعوقه عائق من التضييق عليه بعد أن قضى على جيش الروم ؛ فلم تبق منه إلا الفلول التي لاذت بالحصن ، أو هامت على وجهها في بلاد مصر السفلى ^(١) .

وقال : ولعل وقعة عين شمس كانت في النصف من شهر يولية سنة ٦٤٠ م ^(٢)
(١٠ رجب سنة ١٩ هـ) . وتابعه ستانلي لين بول ^(٣) وهو قول تقديري . وعلى أى حال كانت بعد يوم ١٢ بؤونة (٦ يونية) الذي هو تاريخ وصول الأمداد ، وفي أثناء الحصار قبيل المكاملة التي سئذ كرها بين المقوقس وبين عبادة بن الصامت مندوب عمرو في شأن الصلح في آخر شعبان سنة ١٩ (أغسطس سنة ٦٤٠ م) .

(١) فتح العرب لمصر ٢٠٥

(٢) فتح العرب لمصر ٢٠٧ وفيه : « وقضى العرب في فتح القيوم نحو أسبوعين ؛ وعلى ذلك لم يبدأ فتح مصر السفلى قبل شهر أغسطس .

(٣) تاريخ مصر في القرون الوسطى A History of Egypt in the Middle Ages

وفي روايات المسلمين عن القتال بين العرب والروم في أثناء الحصار، لم يرد بصفة معينة ذكر لقتال باسم "وقعة هليو پوليس". وما ذكره هو سلسلة من القتال والمناوشات، وقعت فيما بين أم دين والحصن.

وقد وضع الخطأ جلياً في أقوال بتلر، وهو يريد أن يعين محل وقعة هليو پوليس التي توهمها، فقال عن موضع التقاء الجيشين: «ولعله كان في مكان وسط بين معسكرى الروم والعرب عند الموضع الذى اسمه اليوم العباسية»^(١). وهو قول مبنى على الظن والتخمين، ويرده بعد هذا المكان عن موقع انهزام الروم المعين بمسجد الفتح في القرافة الكبرى كما تقدم.

مدينة بابلون :

موقعها على الشاطئ الشرقى بين النيل وجبل المقطم . ولم يتخلف منها غير بقية من استحكاماتها على مقربة من مصر العتيقة .

وقد أورد ياقوت في معجمه اسمها بلفظه الصحيح، ولكنه أطلقه كاسم عام لديار مصر بلغة القدماء، ثم أردفه بقوله: وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة.

وقد تعددت الأقوال عن معنى بابلون . ومما قيل فيه : إن هذا اللفظ إذا ردّ الى صيغته اليونانية المنقولة عن المصرية يقرب من الاسم المصرى $\text{Pi. Hapi} - n - \text{On}$ اون — ن — اون — ن — اون — ن — اون . وهو اسم الجزيرة الكائنة تجاه بابلون، المعروفة الآن باسم جزيرة الروضة^(٢).

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٤

(٢) ستانلى لين بول، تاريخ مصر فى القرون الوسطى A History of Egypt in the

Middle Ages ص ٣ تعليقات رقم ٢



وإذا كانت هذه المدينة ظلت للآن لا يعلم عنها شيء، فهي في ذلك
كمدينة منف التي كانت قبلها عاصمة البلاد، على الشاطئ الغربي للنيل، ثم
زالت بعد أن كانت بحال طيبة حتى القرن السادس الميلادي .

وقد تكون بابليون في الجانب الشرقي امتدادا لمدينة منف نحو الشمال .
وقد وجدت بعض جدران بجانب مجرى النيل ، في جنوب مصر العتيقة
ولا يبعد أن تكون مخلقة من هذه المدينة . نعم إن المسافة الآن بين أطلال
منف وبين حصن بابليون؛ تزيد على عشرة أميال . ولكن يلاحظ أن محيط
منف بلغ في وقت من الأوقات سبعة عشر ميلا ، ووصل في امتداده
الى الجزيرة ^(١) .

حصن بابليون — قصر الشمع :

وقد اختلف قديما وحديثا في الوقت الذي بنى فيه حصن بابليون ،
ومن هو منشئه ، ولماذا سمي قصر الشمع ؟ فقال ابن اسحاق : لأنه كان
لا يدخل من الشمع . ونقل عنه ذلك الواقدي في فتوح الشام . وذكره
المقريزي في خططه عن الواقدي . ولكنه زعم أن الواقدي قال : كان هذا
القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر فيعلم الناس أن الشمس انتقلت
من البرج الذي حلت فيه الى برج آخر غيره ^(٢) .

وعلق الدكتور بتلر على هذا القول بقوله : انه لا يستغرب من الواقدي
فهو صاحب القصص الخيالية .

(١) ستانلي لين بول The Story of Cairo ص ١٤ تعليقات رقم ١

(٢) راجع فتوح مصر وأعمالها ص ٢٦ وفتوح الشام ج ٢ ص ٧١ واخطط

للمقريزي ج ١ ص ٢٨٧

ونقل المقرئى من وجه آخر أنه عرف بقصر الشمع ، لأن الفرس بنوه وجعلوا فيه بيت نار . وكان له باب يقال له باب الشمع ^(١) .

وقال ستانلى لين پول : من المحتمل كما يقول بتلر أن تكون كلمة شمع محرفة عن خيمى (Khemis) أى مصر بالقبطية . فيكون قصر الشمع محرفاً عن قصر مصر . وتكون حكاية الوقود بالشمع وضعت تعليلاً لذلك ^(٢) .

وفى كتاب بوكوك : ان قصر الشمع فى أيامه كان يعرف « بقصر الكيمان » . وقد اتخذ ستانلى لين پول هذا القول دليلاً يؤيد به بتلر . ولكن هذا الدليل ينفى نفسه بنفسه ، بما لا يحتاج لبيان . وقال ستانلى أيضاً : ومع ذلك فإن قصر الشمع ليس هو القسم الهام من بابليون ، لأن بين رواة العرب من يقول إن حصناً آخر كان قائماً قبله بستة قرون ؛ مكانه أو على مقربة منه ^(٣) .

وفى الواقع أن القضاعى سبق له أن قال مثل ذلك ، فقد نقل عنه المقرئى قوله : ” فى ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ، وليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم . وقد بقيت من بنائه بقية مشيدة بالحجارة على طرف الجبل بالشرف ، وعليه اليوم مسجد “ : وقال المقرئى : ” فهذا كما ترى صريح فى أن قصر بابليون غير قصر الشمع ، فإن قصر الشمع فى داخل الفسطاط ؛ وقصر باب ليون هذا عند القضاعى على الجبل المعروف بالشرف ، والشرف خارج الفسطاط . وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر ^(٤) “ .

(١) فتح العرب لمصر ج ١ ص ٢١٦ ؛ الخطط للمقرئى ج ١ ص ٢٨٧

(٢) The Story of Cairo ص ٤١ (٣) الكتاب والصفحة المذكوران قبله رقم ١

(٤) الخطط للمقرئى ، ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨

وقد عنى الأستاذ كازانوف صاحب كتاب تخطيط الفسطاط "بمراجعة الأقوال التي وردت عن ذلك وأجرى عدّة بحوث . ثم كتب عنها مذكرة قدمها للجنة حفظ الآثار العربية قال فيها : " ان الحصن الذي ذكره القضاعى كان بالجبل المعروف بالشرف المطل على سكة حديد حلوان فيما وراء قصر الشمع حيث كانت طواحين الهواء ، الى أن يواجه الانسان دير الطين وأثر النبي . وان هناك بناء مربعاً فسيحاً في نهاية الشرف ، وجده مرسوماً في إحدى اللوحات في كتاب بوكوك المسمى «وصف الشرق» (لوحة رقم ١) . بهيئة برج عظيم قائم على انفراد . ولا يختلف المنظر المرسوم في تلك اللوحة في شيء ما عن منظر الشرف ، والسهل الممتد تحته .

وقال : انه راجع رسوم « البعثة الفرنسية » ، فوجد البرج المذكور وارداً فيها كدير خرب ، وقد تحوّل في العهد الحاضر الى معمل بارود . ويعرف باسم اسطبل عنتر وانه يعتقد أن هذا البناء بقية من قصر بابليون ؛ وانه غير التحصينات القائمة على حدة المعروفة بقصر الشمع ^(١) .

وقد استدرك المرحوم على بك بهجت على كازانوف قوله : ان معمل البارود يعرف باسم اسطبل عنتر فقال : ان قولهم اسطبل عنتر لا يراد به معمل البارود الموجود الآن ، وانما هو اسم مغارة في جانب الشرف المطل على بركة الحبش ؛ وبالقرب من أسبوط مدفن معروف أيضاً باسم اسطبل عنتر ^(٢) . وكذلك يطلق الأهالي على آثار بنى حسن الشرق : اسم اسطبل عنتر ^(٣) .

(١) لجنة حفظ الآثار العربية ، مجموعتها السنوية الفرنسية سنة ١٩٠٦ رقم ٢٣ ص ٨١ و ٨٢

(٢) المرحوم على بك بهجت ، كتاب حفريات الفسطاط ، ص ٩ ورقم ٤ بذيّل الصفحة (تعريب)

(٣) عن الأستاذ رمزى بك .

ونشر المرخوم مكس هرتس باشا بحثا في مجلة « الإسلام »^(١) عن أقوال كازانوف، ولم يبت في الموضوع . وقد أرجأ ذلك الى فرصة أخرى .
وذهب بتلر الى قول آخر بعد اطلاعه على كتاب حنا النقيوسى فقال :
ان أول من بنى هذا الحصن الامبراطور الرومانى تراچان فى العام المتمم
للسنة من الميلاد ؛ ونقل عن حنا أن اليهود ناروا بالإسكندرية . وأرسل
اليهم تراچان جيشا عظيما بقيادة « مرثيوس توربو » Martius Turbo
ثم جاء بنفسه الى مصر وبنى بها حصنا وجعل به قلعة منيعة وجعل فيها
ماء كثيرا^(٢) .

قال بتلر : ولعل هذه الجملة الأخيرة تشير الى ما حفره تراچان من الآبار
عند البرج المستدير وفي مواضع أخرى من الحصن . وقال حنا : ان أصل
الحصن بناء أقامه بختنصر وسماه باسم عاصمة ملكه « بابلون » ، لما غزا
مصر ؛ ثم أقام تراچان أسوار الحصن على أساسه وزاد فى بنائه .

واستشهد بتلر على وجود الحصن القديم بأن استرابون^(٣) جاء الى مصر
قبل عهد تراچان بنحو ١٣٠ عاما . وقال : إنه رأى حصنا قويا على نهد من
الصخر ؛ وقد عرف باسم بابلون لأن جماعة من أسرى بابل أقامت فيه .
وقال ديودور : ان ملك مصر سيزوستريس جاء بجماعة من الأسرى البابلين
وأنزلهم فى قصره ؛ فاطلقوا على القصر اسم المدينة التى جاءوا منها . وقال

(١) Der Islam Band VIII, Heft 1/2 Strassburg 1917

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢١٤ و ٢١٥ - راجع أيضا دائرة المعارف الفرنسية ، المجلد

الخامس عشر ، " مصر " Egypte ص ٦٨٩

(٣) كانت رحلته الى مصر فى سنة ٢٤ قبل الميلاد Arthur Rhoné, Résumé Chronologique de l'Histoire d' Égypte, Paris MDCCC LXXVII, p. 42.

يوسيفوس ان الحصن لم يبن إلا في الوقت الذي غزا فيه الفرس مصر في حكم قمبيز .

واستأنف مسيو پاتريكولو البحث في ذلك كله وقال : إنه يميل الى نظرية كازانوفا . ولكنه يتجنب نقد الروايات التاريخية ، لأنه قد يجر الى ما يطول شرحه ، ويكتفى بأن يقول ان من الناس من نسب الحصن الى مرثيوس توربو من قواد الامبراطور تراچان بالاعتماد على روايات حنا النقيوسى ، مع أن الأثر نفسه به علامات كثيرة ظاهرة . وكان من اللازم مراعاتها في البحث . وقد جاء في أقوال حنا النقيوسى ، وفي كتابى استرابون والمقرىزى : أن بابليون مصر التى نزل بها عسكر مرثيوس واتخذوها حصننا هى غير قصر الشمع . والشواهد متوفرة على أن هذا الأثر الأخير لا يرجع الى عصر تراچان . ولو خص يزول كل شك في أنه من عصر متأخر لأنه يجزء النظر اليه يشعر الإنسان أنه أمام بناء من أبنية ديوقليسيان يقرب في الشبه من قصر اسپاللاتو Spalato واستحكاماته ، ولا مثيل له في أبنية تراچان^(١) .

ولما زار أرتور رونييه قصر الشمع عقب قدومه الى مصر في سنة ١٨٦٤ ، لم يكن باقيا من القصر غير مدخله الرئيسى . ويتكوّن من الباب الكبير تكتمفه من الجانبين بدنتان بارزتان . وقد قال فيما كتبه عنه : ان جنود أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه هاجمت هذا القصر في سنة ٦٤٠ م بعد استيلائهم على منفيس بلا قتال يذكّر قبل فتح الإسكندرية . واذا يكون أقدم ما يذكّر من آثار القاهرة وأولها بالتوقير . وذكر أن إحدى اللوحات من كتاب

(١) لجنة حفظ الآثار العربية . مجموعتها السنوية "الفرنسية" رقم ٣٢ سنة ١٩١٥-١٩٠٩ ،

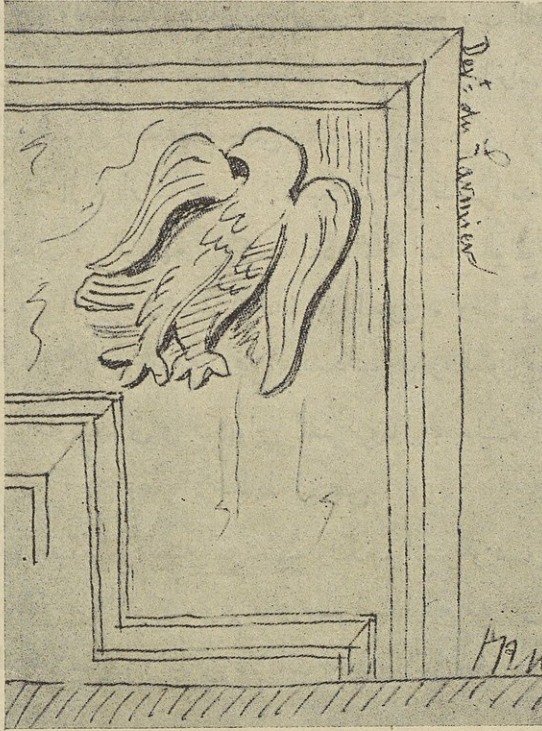
البعثة الفرنسية (Commission d'Égypte) مرسوم فيها الباب الكبير وثلاثة أبراج؛ وقد تهدم منها البرج الغربي وأصبح باب القصر مطمورا في الأرض أكثر مما كان عليه في وقت رسمه، بأن علا التراب على وجهته الى نحو النصف من ارتفاعها^(١) واختفى عقده . ولم يكن في الإمكان رؤية حجارتها إلا بعد إزالة التراب عنه ، لأن هيكله لم يكن ظاهرا منه غير جبهته ، أو الجزء العلوى من الواجهة . وكانت تكاد تملأ الفراغ الواقع بين البرجين وقد سقط منها الافريز واتخذ كقاعدة للجزء العلوى ، وصار في متناول اليد ولم يبق منه غير كابولين بطرفيه ، وقد استند عليهما الجزء العلوى من الجهتين . وعلى الوجه التحتانى في الكابولين النسرة الرومانى ، يحليه بالنقش النافر على صورة تم بأنه من عصر الانحطاط البيزنطى .

وقد نقله رسامو البعثة الفرنسية ولكنهم أتقنوا رسمه وجعلوه على الأسلوب البيزنطى المتواتر ، رغم ما فى رسم استداراته من التراخى والتهاون فى تمثيل الهيئة الأصلية ؛ وهما من علامات انحطاط الفن وخوره وتوقع ظهور أسلوب جديد .

وشبه مسيورونيه النسرة بدمية من الصوف أو ما يشبه ذلك من العصافير الصغيرة التى تشاهد فى الزخرفة العربية القديمة ويقال أنها بيزنطية . وقال : ولا غرابة فى أن تكون من عمل الصناع البيزنطيين فى مصر .

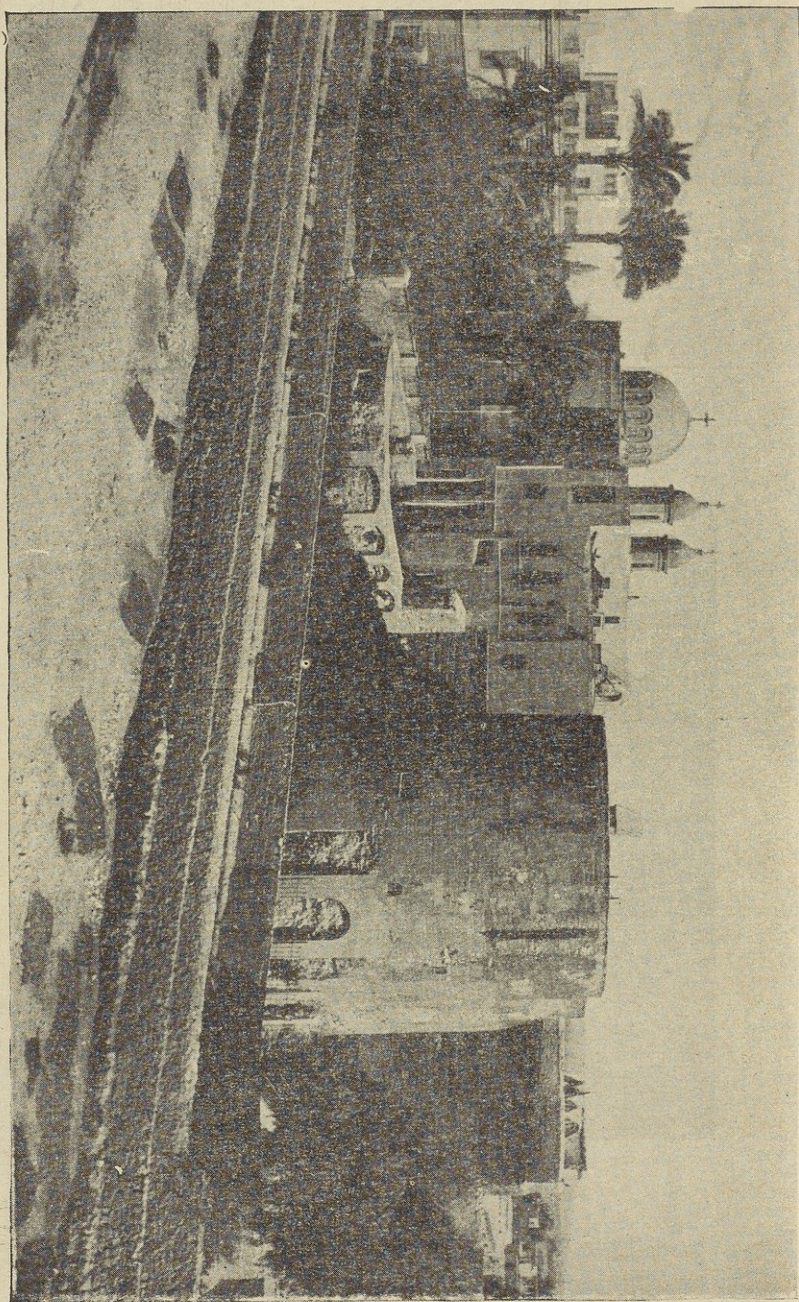
(١) قال بتلر : كان يخلل كلام الجانين الجنوبي والشرقى من أسوار الحصن أربعة أبراج بارزة ، بينها مسافات غير متساوية . وكانت ثلاثة من هذه الأبراج الأربعة التى الى الجنوب ، لاتزال ظاهرة الى عهد قريب (ص ٢١٠) . وأما الآن فان برجا منها تهدم واندر . ولم يبق الا اثنتان .

(٢) أرتور رونيه L'Égypte à petites Journées ص ٣١٢ — ٣١٤ طبع باريس سنة ١٩١٠



نسر روماني كان منقوشا بقاعدة وجهة الباب الجنوبي بقصر الشمع
من كتاب أرتور رونييه رسم موس

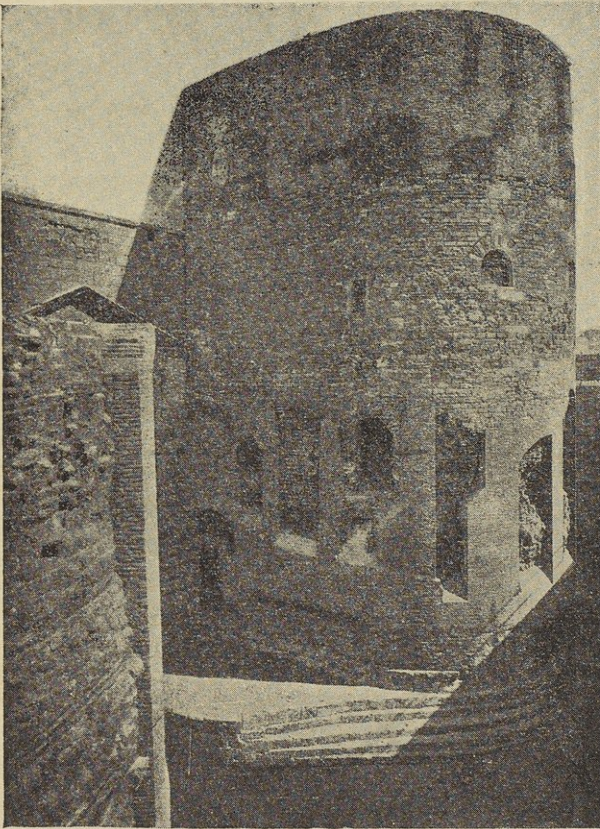
وقال : ومن المحقق أن البدنات شيدت في عصر متأخر بعجلة . وهي تبدو كأنها مسندة الى الجدار، وأنه موجود من قبل . وقد بنيت «بمداميك» من حجر تتبادل مع مداميك من الآجر . وبين ذلك لحام عريض من «المونة» . وعلى استواء أعلى الباب بالبرجين صف من طيقان معقودة ، ضيقة الفتحات صنعها من حجر ، منفصل بعضه عن بعض ، بالآجر وحطات من الملاط



بقايا الحصن الروماني «قصر الشمع» . وفي ظل البنية الكبرى منها الجزء العلوي من الباب الجنوبي للحصن و يليه قسم من البرج الثاني طابع « كاشيه » الأستاذ كريسول

المركب من الجير والشقف ورماد الحمامات . وهذا البناء معروف في الأبنية البيزنطية القديمة .

وما بقي من حظيرة القصر وسع وأحدثت فيه ثغرات كثيرة . وليس فيه ما يستحق الاهتمام ، غير بقايا الأبراج في الجهة الشرقية . ويكاد يكون السور كله مجدداً وبنائه حقير . ولا يبعد أن أهل الجهة من المسيحيين الذين كانوا

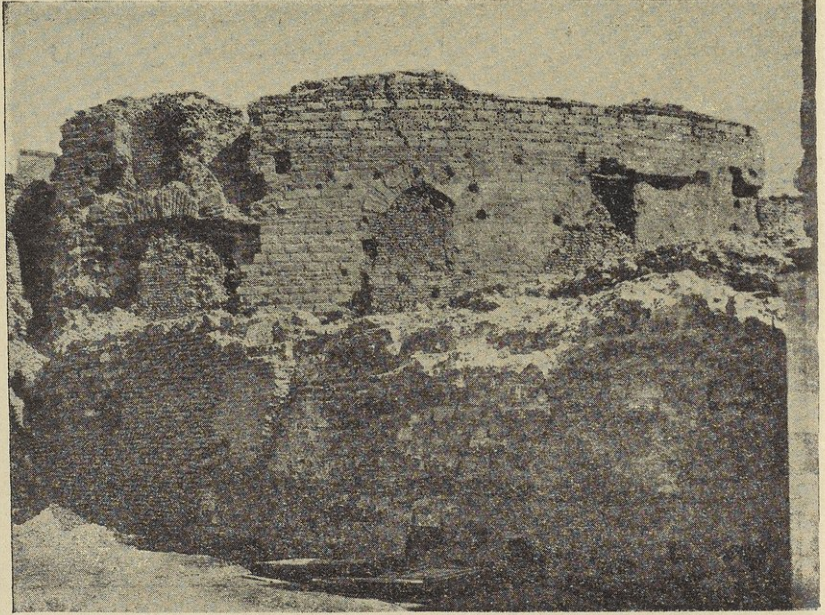


(لوحة رقم ٢) المدينة التي للباب الجنوبي للمصن
من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية

يعيشون على انفراد محتفظين بعوائدهم وعبادتهم ، رأوا أن الاستحكامات القديمة أصبحت لا تنفعهم في شيء فتركوها تهتدم ، أو أنهم أزالوها ليستبدلوا بها ما يكون أكثر مناعة .

ويبلغ قطر كل من البرجين المستديرين نحو مائة قدم ، وبداخل كل منهما دائرة أخرى من البناء . وما بين الدائرتين الخارجة والداخلية جدران مقسمة الى ثمانية أقسام .

وكان بين البرجين المستديرين ، وهما تجاه جزيرة الروضة ، جدار ساتر وقد تهتدم .



(لوحة رقم ٣) بعض أطلال قصر الشمع
من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية

وذكر الدكتور بتلر وغيره أنه كان للحصن باب آخر تجاه النيل غير الباب الأول الكبير السابق وصفه؛ المعروف في التاريخ باسم الباب الجنوبي وباب المعلقة، وباب الشمع . ثم قال : ولعل الباب الثاني كان مشروعا في الجدار الساترين البرجين الكبيرين^(١) .

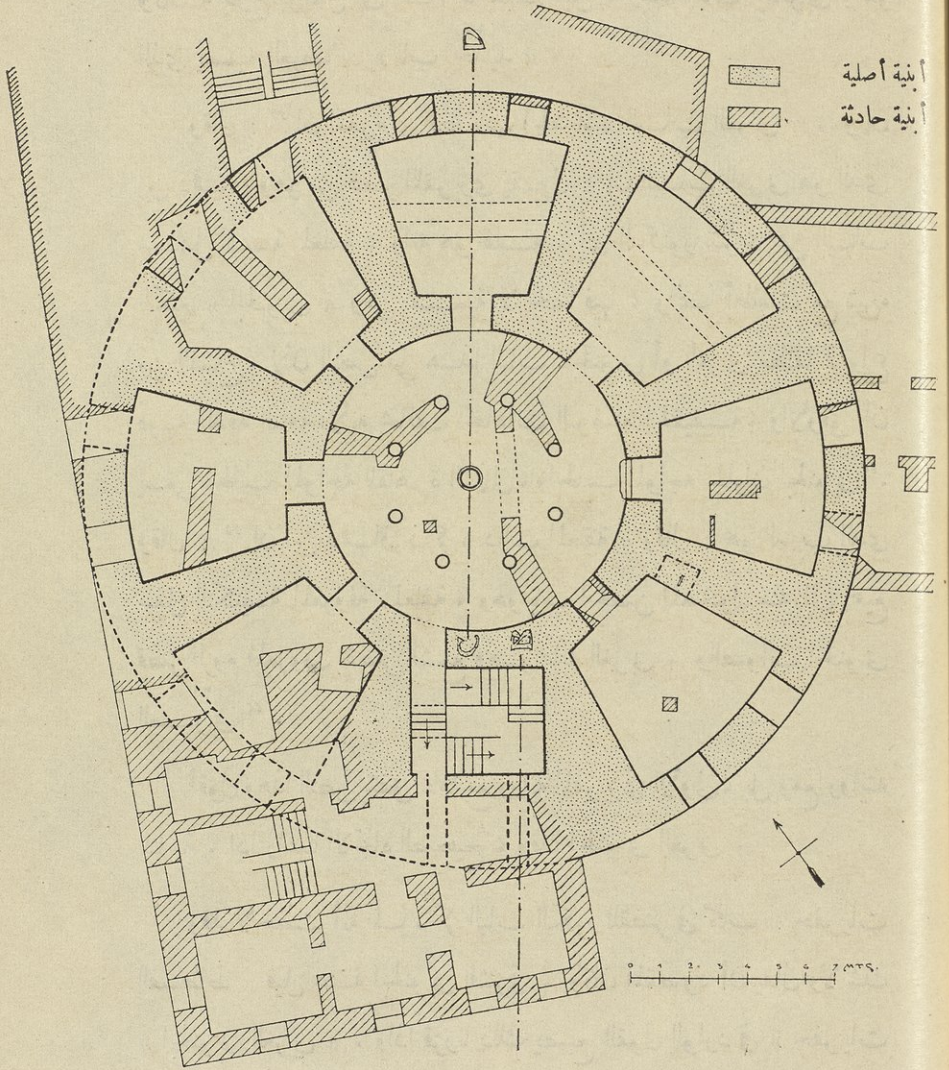
وقد ذكر هذا الباب في كتاب حفريات الفسطاط باسم « الباب الغربي » ، وقيل : انه باب الحديد ولم يبق منه غير الأساس . وفي هذا القول التباس يرجع ولا شك الى إحدى روايات المقرئزي ، عن باب القصر الكبير ونصها : ” وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد . ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من بابه الغربي ”^(٢) لأن هذه الرواية توهم أن الباب المذكور فيها غير الباب الكبير الوارد في روايته الأخرى بالنص الآتي : ” وخرجوا (المقوقس ومن معه) من باب القصر القبلي ”^(٣) . والحقيقي أن الباب المقصود في الروايتين باب واحد ، هو الباب سفلى المعلقة .

ولما ذكر الدكتور بتلر الباب الثاني قال : ” انه غير الباب الذي يكثر مؤرخو العرب من وصفه ويقرونه باسم المقوقس فإن الباب الغربي الذي يقصدونه هو الباب الجنوبي الموجود للآن . وأما الباب الذي كان بين البرجين فقد تهدم ولم يبق له أثر وكان النيل أو فرع قصير منه ، في وقت الفتح يصل الى الباب الجنوبي ، والى مرسى السفن الرومانية .

(١) فتح العرب لمصر ص ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٣

(٢) المرحوم على بك بهجت ص ١٠ (تعريب) .

(٣) الخلط للقرئزي ج ١ ص ٢٨٦ (٤) الكتاب السابق ج ٢ ص ٢٩٠



قطاع أفق لأحد البرجين الغربيين للمحصن الروماني (قصر الشمع)
من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية

وكان له درج يوصل الى الماء اذا هبط النيل . وهذا الباب الجنوبي ، هو الذى يسميه العرب : « باب الحديد^(١) » .

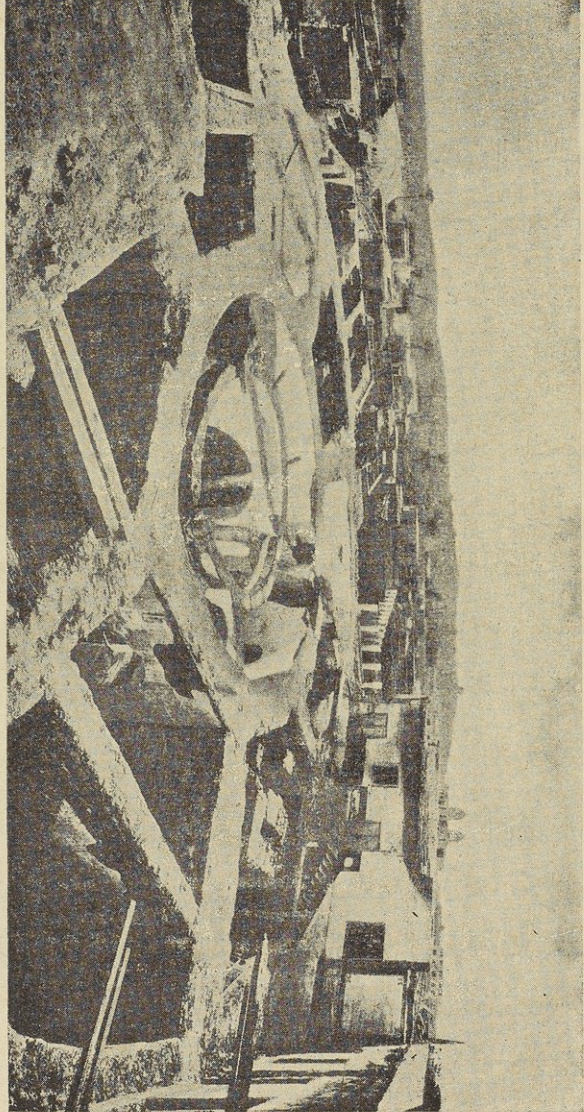
وقال : ” ان المقريزى دعا باب الحديد « الباب الغربى » ، وإن ابن دقاق وهو من عصر المقريزى يقول : إن الباب الغربى هو الذى بسفل كنيسة المعلقة ؛ وانه هو نفسه ، أى الدكتور بتلر ، سمي الباب الكبير « الجنوبي » وهى تسمية لا خطأ فيها ، وانما أطلقت مع شىء من التسامح ، لأن النص على هذا الباب بالجنوبى أو الغربى مطلقا لم تراعى فيه الدقة التامة ، لأنه يخالف اتجاهات البوصلة الحقيقية ؛ والأوفق أن يسمى الجانب المواجه للقاهرة الشمالى ، والجانب المواجه لخلوان الجنوبى .“
وقال : ” إن ابن دقاق ذكر « درب المعلقة » وقال : هو الدرب الذى سفل الكنيسة المعروفة بالمعلقة ، وهو باب الحصن المدخول منه الى جميع قصر الروم المعروف بقصر الشمع وهو باب الغربى ، والصواب الجنوبى الغربى^(٢) .“

أقول وهذا النص يتفق تماما مع رواية المقريزى الأولى ، بل ومع روايته الثانية ، اذا راعينا الاتجاه الصحيح ، وقلنا الجنوبى الغربى .

وقد لاحظت أنه لما ذكر الباب الكبير للقصر فى كتاب « حفریات القسطنطينية » قيل عنه الجنوبى الشرقى ؛ وكان المقصود أن يقال ولا شك « الجنوبى الغربى » . واذا قترنا ذلك يصبح القول الوارد فى « حفریات القسطنطينية » متفقا مع قول الدكتور بتلر وابن دقاق والمقريزى ؛ إلا فى تسمية

(١) فتح العرب لمصر ص ٢١١ و ٢١٢

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢١٢ و (٢) بذيل الصفحة .



مظور من عال لاجد البرجين العسرين للمصن
(من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية)

الباب الذى قيل أنه كان فى الجدار الساترين البرجين المقابلين لجزيرة الروضة
بباب الحديد ، والصواب أن يسمى « الغربى » .

وكانت للقصر أبواب أخرى ، ذكر منها ابن دقماق الباب الشرقى ،
وصوابه الشمالى الشرقى للحصن باسم « درب الحجر » ، وذكر « الباب البحرى »
باسم درب « محط القرب » ، وقال انه آخر دروب القصر المشهورة ^(١) .

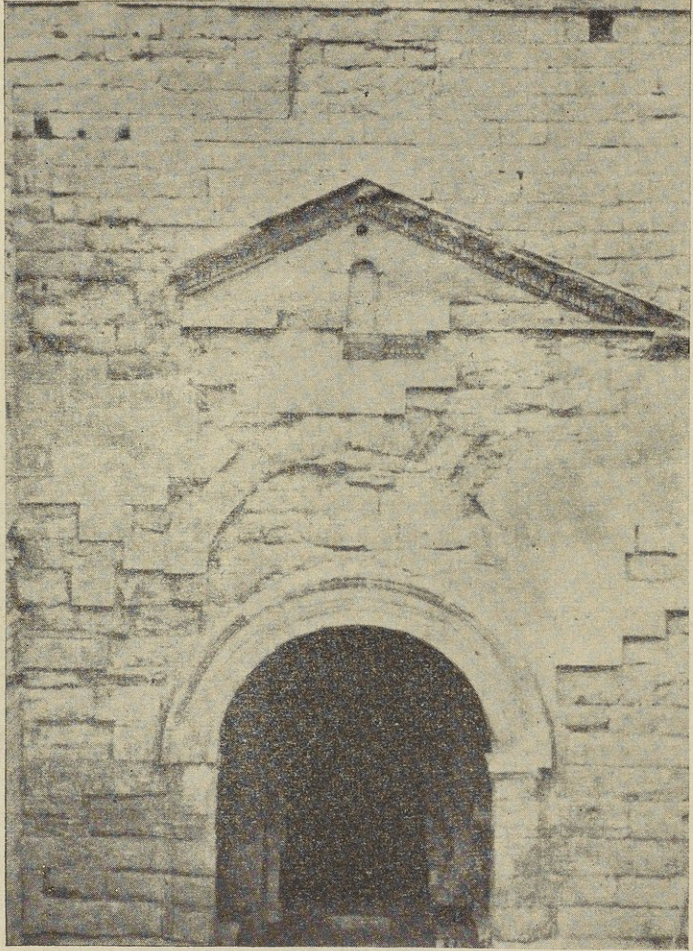
ويغلب على ظنى أن هذا الباب عرف بدرب « محط القرب » لأن
السقائين كانوا يردون عليه بالقرب يستقون الماء من النيل .

ولقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة ١٩٠٢ ، بالتحفظ على
بقايا هذا الأثر الذى كان له دور مهم فى تاريخ الفتح الإسلامى فى مواقع
كثيرة منه . فأزاحت التراب والأنقاض التى علت على المبانى ، وعنى
مهندسوها الفنيون بالمحافظة عليها وأعادوها الى أصلها على قدر المستطاع :
فخلصت الوجهة ، وأخلت من الأنقاض الفضاء الواقع خلفها بين البابين
الذين كان يمر بهما الداخل الى القصر ، الكائنان أحدهما وراء الآخر .

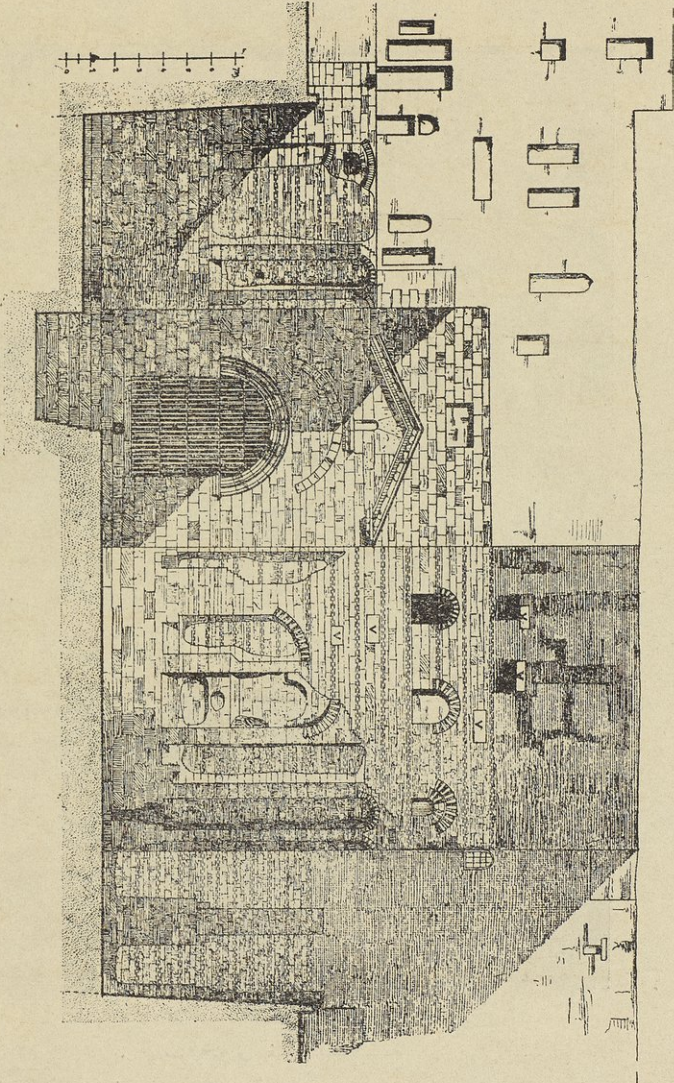
وكان الرومان يسمون هذا الفضاء پرو بوجنا كولوم Propugnaculum
وكان يستخدم للمقاومة ، اذا اقتحم المهاجم الباب الأول ، وتمكن من كسر
السياج الذى يتخذ من حسك الحديد ، وكانوا يبقونه دائماً مكشوفاً ،
ويتخذون دهليزا بدائر الجدران فى أعلى الحصن يتجمعون فيه لعرقلة
العدو .

(١) الانتصار ، ج ٤ ص ٢٥ و ٢٦

(لوحة رقم ٥)



الباب الجنوبي الغربي لقصر الشمع
(طابع حسن أفندي عبد الوهاب)



(لوحة رقم ٦)

الباب الجنوبي للحصن الروماني المعروف بقصر الشمع مع البنية التي
من حفريات جبهة حفظ الآثار المرمية

وقد أصبح هذا الفضاء مسقوفا منذ توسيع كنيسة المعلقة . وكانت في الأصل راكبة على جزء من الحصن فقط ، شرق الباب القبلي ^(١) . وكان بالجهة الشرقية من الحصن في وقت الفتح مزارع ، وإلى شماله حدائق وكروم ، وفيما يليها إلى الجبل الشرقى كنائس وديورة متصلة إلى الموضع الذي به اليوم جامع ابن طولون وقلعة الكيش . وقد بقيت بعض هذه الكنائس والديورة بعضها داخل سور القصر وبعضها خارجه . ولما دمرت الكنائس في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، هدم بعضها ضمن ثمان كنائس أزيلت بسوق وردان من مدينة مصر ، وبالمصاصة وقصر الشمع ^(٢) .

مقياس النيل الذي تخلف بقصر الشمع من زمن الروم —
مسجد النصر أو مسجد الفتح :

وكان بقصر الشمع مقياس للنيل من زمن الروم ، بصدر زقاق غير نافذ يسمى زقاق القمارية ، لأن بابها كان منه ^(٣) . ثم عمر الشيخ شمس الدين أبو عبد الله بن النعمان مسجد النصر وقيل مسجد الفتح ، وعرف فيما بعد بزاوية الشيخ شمس الدين بن النعمان الفاسي ، بالقرب من الكنيسة المعلقة ، واشتهر بأنه موضع مبارك . وقد بقيت هذه الزاوية بيد أولاد النعمان إلى ما بعد سنة ٧٩٣ هجرية . وكان أسفل المسجد سقيفة تعرف به تجاور كنيسة الملاكين ^(٤) .

(١) مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية (الفرنسية) سنة ١٥ — ١٩ ، ص ٢١٢

(٢) الخلط ج ٢ ص ٥١٧ (٣) الانتصار ج ٤ ص ١٥ و ٨١

(٤) الانتصار ج ٤ ص ١٥ و ١٦ و ٤٩ و ٨١ و ١٠٣

وذكر ابن المتوج: أن عمود المقياس موجود في زقاق مسجد ابن النعمان .
وقد ذيل المقرئى هذا الخبر بقوله : وهو باق الى يومنا هذا ؛ يعنى
سنة عشرين وثمانمائة^(١) .

وقد عين أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة موقعه بأنه بالقصر ، خلف الباب
يمنة من يدخل منه فى داخل الزقاق ، وأن أثره كان لا يزال قائماً فى زمنه ،
وقد بنى عليه وحوله^(٢) .

ولما ذكر المقرئى دير البنات بقصر الشمع ، قال : ” وهو على اسم
بوجرج ، وكان مقياس النيل قبل الإسلام وبه آثار ذلك^(٣) .

ولا يوجد الآن بين مباني الدير الحالى والدير القديم الذى ذكره المقرئى
صلة غير الموقع . وقد أبحرت بعض حفريات فى جداره فظهرت كتل
كبيرة من الحجر ، على عمق أربعة أمتار من أرض الدير ، يرجح أن تكون
من البناء القديم .

ما جرى فى حصار الحصن بعد انهزام الروم :

كان شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ، يتزل قصر الشمع
إذا قدم من الإسكندرية . وقد نص فى الروايات العربية كما تقدم على
أن المقوقس هو الذى قدم من الإسكندرية ، ونزل قصر الشمع لتجهيز الجيش
للعرب وقت زحفهم على مصر^(٤) .

(٢) ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠

(١) الخطط ج ١ ص ٢٨٦

(٣) الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٥١٠

(٤) فوح مصر (لیدن) ص ٥٨ والخطط

للمقرئى ج ١ ص ٢٨٦ ؛ النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧

وكان معه بالحصن أكبر القبط ورؤسائهم وفريق من الروم ، ذكر منهم حنا النقيوسي ، تيودور وأودقيانوس^(١) . وذكر المؤرخون شخصا من الروم يقال له الأعيرج واليا عليه . وكان تحت يد المقوقس ، واسمه جريج بن مينا وكان يعرف بالمندقور^(٢) ، وهو لفظ محرف صححه بتلر « المنداتور » .

وفي كتاب «فتح العرب لمصر» ينفي الدكتور بتلر اشتراك القبط في القتال . ويزعم أن العرب مسحوا الحقيقة وقلبوها لأنهم قالوا : " إن الحصن كان جنده من القبط وأن كل من كانوا به من القبط ؛ مع أن القبط من اضطهاد قيرس لهم كانوا أعجز من أن يجتمعوا على أمر أو يزلوا الى قتال ويصالحوا العرب ؛ وكل ما كان يتوقع منهم هو النظر في النضال لكل من الفريقين ، كغريب عنهم كراهة في أعينهم " . واتخذ دليلا وجود قيرس العدو الأكبر لمذهب القبط في الحصن .^(٣)

على أن مؤرخي العرب لم ينسبوا للقبط مقاومة ، ولم يقولوا إنهم حاربوهم بل كانوا يدونون الأدوار التي قام بها الروم فقالوا : إنهم اتخذوا الخندق على الحصن ، وقاتلوا ثم فتروا ودخلوا الحصن فحاصروا فيه ثم خرجوا يجمعون متاعهم وغير ذلك .

وقالوا : إن المسلمين لما حاصروا القصر ، كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم . وهذا يكفى لمعرفة من قيل إنهم كانوا بالحصن وليس بينهم قيرس ولا جنود من القبط .

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٢ و ٢٢٠

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧ وسعود للكلام على اسم « جريج بن مينا » .

(٣) ص ٢٢٠ و ٢٢١

وزعم بتلر أن مؤرّخي العرب، كتبوا بعد الفتح بقرون، وادّعوا أنه كان
للمصريين جند وقواد من القبط دون أن يميزوا بين القبط والروم، مع أنه لم
يكن في ذلك الوقت شيء اسمه القبط في ميدان النضال^(١).

والحقيقة إن كتب مؤرّخي العرب ليس فيها أقوال من هذا القبيل،
إلا إذا كان الدكتور بتلر يعدّ منها كتب المغازي. ومع ذلك نراه يقول:
”وكان بالحصن كثير من الأزودة والذخائر من كل نوع، وكان قد اجتمع
به عدد عظيم من غير الجند من أهل مدينة مصر والأديرة المجاورة“ . وهو
إقرار صريح بأن القبط كانوا موجودين بالحصن وقتئذ، لأنهم هم أهل مصر
وإن حرص على ألا يبين من هم أهل مدينة مصر والأديرة التي بجوارها.

وصار المسلمون يقاتلون الملتجئين. وقد فترق عمرو الرجال حول الخندق
منذ مجيء المدد ووضع عليه المنجنيق. قال ابن لهيعة: وقال عمرو يومئذ:

يوم لهما دنّ ويوم للصدف والمنجنيق في بلي تختلف
عمرو يرقل إرقال الشيخ الخرف^(٢)

قال: وكان عمرو إنما يقف تحت راية «بلي» فيما يزعمون^(٣).

وقد ذكر الدكتور بتلر نصب المنجنيق على الحصن. ولكنه زعم أن
استعماله لم يكن معروفا عند العرب، قال: وكان العرب قد غنموا بعض
آلة الحرب في غزاة الفيوم ومن حصن تراجان في منوف، ولم تكن لهم

(١) فتح العرب لمصر ٢٢٠ و ٢٢١ (٢) كذا في الأصل وهو غير موزون
ولم نقف عليه في غير فتوح مصر. ويصح إذا قرئ شطره الأخير:
عمرو له يرقل إرقال الخرف

عن الأستاذ محمد عبد الجواد. (٣) فتوح مصر (ليدن) ص ٦٢

خبرة ولا معرفة بكيفية استعمالها وإصلاحها إذا اعتراها الفساد . ولهذا لم يلحق منها بمساحة الحصن إلا ضرر يسير ؛ مع أنه كان دونهم نهد من الأرض على نحو مائتي ياردة (ثلاثمائة ذراع) الى جنوب الحصن ، ولو وضعوا عليه آلة الحصار لرجحت كفتهم وازدادوا قوة ^(١) .

ثم قال : وقد ذكر واحد أو اثنان من مؤرخي العرب أن عمرا وضع مجانيق حول الحصن ؛ ولكن لم يرد ما يدل على أنها أفادت المحاصرين ^(٢) .

وعلى قدر الخط من معرفة العرب بالمنجنيق نراه يرفع من قدر الملتجئين الى الحصن ودربتهم على استعمالها فيقول : ان عمرا لم يستطع أن يملك زمام النهر مع كل ما كان من انتصاره ؛ ولو أتى الى الحصن جانب النهر لاستاقت المياه السفن التي أتى فيها أو لأغرقتها من في الحصن من رماة المنجنيق ^(٣) .

وهي مفاضلة تقديرية أملاها الخيال ، ولا محل لها بعد استسلام أهل الحصن ، وقوله إن العرب كانوا قبل فتح الحصن قد غنموا بعض آلة الحرب في غزاة الفيوم ومنوف غير صحيح ، لأن روايات العرب تنفي غزو الفيوم ومنوف قبل فتح الحصن . ويؤيد ذلك سقوط الأدلة التي بنى عليها تغيير تواريخ الفتح كما بيناه في مواضعه .

نزيد على ذلك أن زعمه بأن العرب لم تكن لهم خبرة باستعمال هذه الآلات غير صحيح ، لأنهم وقفوا على استعمالها من قبل وكانوا يقولون : إن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وكان ملك العرب . وقيل :

(١) فتح العرب لمصر ص ٢١٨

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢١٨ (١) بذيل الصفحة .

(٣) فتح العرب لمصر ص ٢١٩

وكأنها أولية نسبية ، فقد جاء في قصص العرب أن المشركين لما أرادوا إحراق الخليل عليه السلام وضع في المنجنيق . وأما أول منجنيق رمى به في الإسلام فهو الذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على حصن الطائف بإشارة سلمان الفارسي رضى الله عنه ، قال : يارسول الله ؛ أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم فإننا كما بأرضنا ننصب المنجنيقات على الحصون وتنصب علينا فنصيب من عدونا ويصيب منا . وإن لم يكن منجنيق ، طال الثواء (أى الإقامة في محاصرتهم) ؛ فأمره صلى الله عليه وسلم فعمل منجنيقا بيده ^(١) فنصبه على حصنهم .

وقال القسطلاني : هو أول منجنيق رمى به في الإسلام ، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذى الكففين ^(٢) .

ولما ورد المسلمون على مدينة بهرسير قبيل فتح المدائن في سنة ١٦ ، استنصع سعد شيرزاد المجانيق ، فنصب على أهلها عشرين منجنيقا ^(٣) .

المفاوضة الأولى في الحصن :

ثم حصلت مفاوضة ، قيل دخل من أجلها عمرو الحصن ومعه عبادة ابن الصامت ، وتناظر مع الموجودين فيه وأحس بأنهم نواوا اغتياله فخرج ولم يتم شيء ^(٤) . واستمر الحصار والقتال بين من كانوا بالحصن وبين العرب .

(١) الخلواني : قطع البحاج ص ١٨

(٢) القسطلاني ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢١٥

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٦٨

(٤) فتوح مصر (ليدن) ص ٦٢

بوادر اقتحام الحصن :

وأعقب ذلك اقتحام الحصن . وقد وردت حكاية ذلك في كتاب فتوح

مصر لابن عبد الحكم في روايتين :

الرواية الأولى :

ذكر أنه لما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير : إني أهب الله نفسى وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين . فوضع سلمي الى جانب الحصن ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيرا أن يجيبوه جميعا . فما شعر أهل الحصن إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف . وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر . وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج ، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جميعا فهربوا . وعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحمه المسلمون .^(١)

الرواية الثانية :

عن ابن عبد الحكم أيضا قال : وقد سمعت في فتح القصر وجهها آخر : هو أن المسلمين لما حاصروا بابلون (باب اليبون) ، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهرا . فلما رأى القوم الجدد منهم على فتحه والحرص ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم ، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى (الجنوبي) ، ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة (وهى جزيرة الروضة الواقعة فى النيل تجاه مصر القديمة) ؛ وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل .^(٢)

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٦٤ (٢) الخطط للقريزى ، ج ١ ص ٢٩٠

ويقال : إن الأعرج تخلف بالحصن بعد المقوقس ؛ فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

قال المقرئ : وتبتدى زيادة النيل من خامس بؤونة (يونيه) . وتظهر في ثانی عشره ، وأول دفعه في الثانی من ألبب (يولية) . وتنتهى زيادته في ثامن بابه (أكتوبر) ؛ ويأخذ في التقصان من العشرين منه .^(١)

المفاوضة مع المقوقس :

وأرسل المقوقس الى عمرو يقول ؛ ضمن كلام آخر اختصرناه : ابعت لينا رجالا منكم نسمع كلامهم ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب ، ويتقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم ، فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه .

ورد على ذلك عمرو مع رسل المقوقس : إنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ؛ إما أن دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا ، وإما أن أبيتتم فأعطيتم الجزية عن يد وأتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين . فأعاد المقوقس يطلب أن يبعث اليهم عمرو رسلا ، فبعث عمرو بعشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت . فحصلت بينه وبين المقوقس مفاوضة طويلة مشهورة ؛ ظهر فيها ميل المقوقس الى عدم الاستمرار في القتال . ولكن أصحابه أبوا التسليم وقالوا :
” الموت أهون علينا“^(٢) .

(١) الخطط للمقرئ ج ١ ص ٦٠ — راجع صبح الأعشى ، ثالث ص ٢٩٢ — ٢٩٥

(٢) فتوح مصر ص ٦٥ و ٦٦ و ٦٩ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٠ — ١٦ والنص

منقول عنه وعن ابن عبد الحكم ، ويختلف في اللفظ عن الوارد في الخطط للمقرئ ج ١ ص ٢٩٢

قال المرحوم محمد مختار باشا في كتاب التوقيقات الإلهامية : وكانت هذه المكالمة في آخر شعبان سنة ١٩ (أغسطس سنة ٦٤٠)^(١) .

استئناف القتال — انتصار المسلمين :

وأخ المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل خلق كثير وأسر من أسر . فأبحرت السفن كلها الى الجزيرة فصار المسلمون يراقبونهم وقد أحرق بهم الماء من كل وجه ، لا يقدر على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدائن والقرى^(٢) . وهذا النص من رواية ابن عبد الحكم وقد أورده المقرئزي وأبو المحاسن ؛ ولكن سقط في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم والنجوم الزاهرة بعد " و صار المسلمون " ، كلمة " يراقبونهم " ^(٣) .

قبول الصلح :

ولما رأى المقوقس ذلك قال لأصحابه : ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؛ ما تنتظرون ؟ فأذعنوا بالجزية . واستشار عمرو أصحابه في ذلك .

(١) ص ١٠ — ويظهر لي أنه نقل ذلك وصححه عن الواقدي من كتاب فتوح الشام ، بالرواية عن ابن اسحاق . وقد ذكرت فيه سنة ٢٠ بدلا من سنة ١٩ ؛ وهو خطأ ظاهر لأن مصر فتحت كما سيجيء في ٢ من المحرم سنة ٢٠ ؛ وقد ورد في التوقيقات الإلهامية أن مندوب عمرو بن العاص في المفاوضات كان قيس بن سعد ، وهو قول مغاير لما جاء في روايات الفتح ، لأنها نصت على أن المندوب كان عبادة بن الصامت بن قيس بن أحمم الأنصاري الخزرجي ، أبا الوليد ، المتوفى بفلسطين في سنة أربع وثلاثين . وأما قيس بن سعد الذي ذكر بدلا منه فهو قيس بن سعد بن عبادة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ، وقد شهد فتح مصر واختط بها ثم ولي إمرة مصر في خلافة علي بن أبي طالب رضئ الله عنه ومات بالمدينة سنة تسع وخمسين .

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٦٩

(٣) الخطط للمقرئزي ج ١ ص ٢٩٢ ؛ النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦

فقالوا : لانجيهم الى شىء من الصالح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الأرض كلها لنا فيئنا وغنيمة ، كما صار لنا القصر وما فيه . فقال : قد علمتم ما عهد الى أمير المؤمنين فى عهده ، فإن أجابوا الى خصلة من الخصال الثلاثة التى عهد الى فيها أحببهم اليها ، وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم ^(١) .

المعاهدة :

فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا ^(٢) .

رواية الطبرى :

وذكر الطبرى خبر الفتح والصالح ، ومن عادته الإيجاز فى القول فقال : وارتيق الزبير سورها (والضمير عائذ على عين شمس والمراد بها الحصن) وقد علمنا مما تقدم أن العرب كانوا يدعون بابليون عين شمس — فلما أحسوه فتحوا الباب لعمر وخرجوا اليه مصالحين . فقبل منهم ، ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم . فتعاقدوا (يعنى ثم تعاهدوا لما أذعن المقوقس وأصحابه) بعد ما أشرفوا على الهلكة ؛ فأجروا (المسلمون) ما أخذوا عنوة (وهو الحصن وما فيه) مجرى ما صالح عليه (عمرو) فصاروا ذمة . وكان صلحهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكأنسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم . لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب ؛ وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، واتتت زيادة نهرهم

(١) فتوح مصر (ليدن) ص ٦٩ و ٧٠ (٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٦٩ و ٧٠

نحسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لصوتهم (لصوتهم) ، فان أبي
أحد منهم أن يجيب دفع عنهم بقدر ذلك ؛ ومن دخل في صلحهم من الروم
والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبي واختار الذهاب فهو
آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا ، في كل
ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ، وذمة
رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذم المؤمنين ؛ وعلى النوبة الذين
استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا ، على أن لا يغزوا
ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه .
وكتب وردان وحضر .

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح . واجتمعت الخيول^(١) .

مما تقدم نعرف أنه لم يكن عن حقيقة قول الدكتور بتلر : ان العرب
خلطوا بين بابلون وعين شمس ، ونقلوا الحوادث من بابلون الى عين شمس ،
فقال ابن الأثير : ان قواد العرب حاصروا عين شمس وان الزبير تسورها ،
مع أنه انما تسور قصر الشمع . والصحيح أن ما فهمه الدكتور بتلر لم يفهمه
غيره . لأن ذكر تسور الزبير للسور ، سواء في قول الطبرى ، أو في قول
ابن الأثير لا ينصرف إلا الى « قصر الشمع » . كما يفهم من سياق الكلام .

رواية البلاذرى :

قالوا : وكان الزبير يقاتل من وجه وعمرو بن العاص من وجه فقاتلوهم
شهرًا ؛ ثم أن الزبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن وهو مجرد

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩

سيفه فكبر وكبر المسلمون واتبعوه ، ففتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه . وأقر عمر وأهله على أنهم ذمة ، ووضع عليهم الجزية في رقابهم والخراج في أرضهم . وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأجازه .

هذه الروايات الأربع تتفق على أن الحصن فتح عنوة ، ولا تختلف إلا من جهة الإيجاز والتفصيل ، ويتبين ذلك من الفقرات الآتية :

في رواية ابن عبد الحكم الأولى قوله : فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا ، فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن .

وفي روايته الثانية قوله : فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم .

وفي رواية الطبرى قوله : وارتنق الزبير سورها ، فلما أحسوه فتحو الباب لعمر وخرجوا اليه مصالحين فقبل منهم . ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم .

وفيه أيضا : فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه . فصاروا ذمة .

وفي رواية البلاذرى : ففتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه .

ويؤيد فتح الحصن عنوة أيضا قول المسلمين لعمر — في رواية ابن عبد الحكم الثانية — : لانجيهم الى شىء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الأرض كلها لنا فيئا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه .

نقض قول الدكتور بتلر إن المعاهدة لم تشمل عامة
أهل مصر من القبط :

ذكرنا المعاهدة وقول الطبرى أن أهل مصر كلهم دخلوا فيها ، ولكن
الدكتور بتلر يذهب الى غير ذلك فيقول : ان الصلح الذى أبرم عند بابليون
لم يكن الا عهدا حربيا ولم يكن عقدا سياسيا ، فقد رضى عمرو بأن يشتري
الحصن ويدفع ثمنه له ، تأمين من كانوا فيه وخروجهم منه بغير أن يسلموا
ويدفعوا الجزية ؛ وإنما دفع الجزية من بقى من أهل المدينة . ويقول :
” انه من أكبر الخطأ أن يقال أن القبط عامتهم دخلوا في عهد الصلح
الذى كتبه عمرو عند فتح بابليون ، فإن ذلك العهد إنما دخل فيه
أهل ذلك الموضع ولا يمس إلا مدينة مصر والحصن . بدليل أن الجزية
كانت قليلة ومؤقتة^(١) ؛ لأنها كانت ديناراً لكل من جنود العرب ولباسا ، واذا
قلنا ان عدد العرب كان عند ذلك قد نقص الى ١٢٠٠٠ ، أمكن أن نفسر
ما ذكره بعض الكتاب أن الجزية قد بلغ قدرها ١٢٠٠٠ دينار “ .

وقد بنى هذه الأقوال على حديث لابن وهب جاء فيه ، عن عبد الرحمن
ابن شريح : ” أن عمرا سار بمن معه حتى نزل على الحصن ، فحاصرهم حتى
سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ، ففعل
ذلك . فعرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا
وعمامة وخفين . وسألوه أن يأذن لهم فى أن يهيشوا له ولأصحابه صنيعا
ففعل ، وأمر عمرو أصحابه فتهيئوا ولبسوا البرود ، ثم أقبلوا فلما فرغوا من

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٤١

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم المصرى الفهرى من الأئمة المجتهدين ، توفى سنة ١٩٧ هـ .

طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم ؟ قالوا عشرين ألف دينار . فقال عمرو :
لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا الينا عشرين ألف دينار^(١) .

ولكن اختياره هذا الحديث لم يوفق فيه ، لأنه حديث ملفق ضمت فيه
روايتان معروفتان ، الواحدة الى الأخرى مع البتر والتحريف . وقد يكون
عبد الرحمن بن شريح حدث بهما على أصلهما ، ثم نقلتا محرفتين ولخصتا على
الوجه الوارد في خطط المقرئ كحديث واحد قائم بذاته . وقد قبله الدكتور
بتلركا هو ، ووصفه بأنه قريب الى الأذهان^(٢) .

أما الروايتان الأصليتان فهما :

الرواية الأولى : ذكرها البلاذري بسند مرفوع الى عبد الله بن عمرو
ابن العاص ، وتتلخص في أن الزبير لما علا حصن اليونة (بالبليون) طلب
صاحبها من عمرو أن يعامل اليونة كما عومل أهل الشام بوضع الجزية ؛
فوضع على كل دینارين جزية الا أن يكون فقيرا ، وألزم كل ذى أرض
مع الدينارين ثلاثة أراذب حنطة ، وقسطى زيت ، وقسطى عسل ، وقسطى
خل ؛ رزقا للمسلمين تجمع في "دار الرزق" ، وتقسم فيهم . وأحصى المسلمون
فألزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف ، وبنسا أو عمامة ،
وسراويل وخفين في كل عام ، أو عدل الجبة الصوف ثوبا قطنيا . وكتب
عليهم بذلك كتابا وشرط لهم اذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ،
ولا يسبوا وأن تقتر أموالهم وكنوزهم في أيديهم .

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٦٠ ؛ فتح العرب لمصر ص ٢٤١ هامش ٢ ؛ الخطط للمقرئ

ج ١ ص ٢٩٣

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٤١ (٢) .

ثم صولح عمرو عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة ، ووضع الخراج على أرض مصر ، بفعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أراذب طعاماً . وعلى رأس كل حالم دينارين ^(١) .

ومن هذا النص يتبين أن خبر فرض الدينار والملابس الوارد في حديث عبد الرحمن بن شريح ، منقول عن هذا الحديث مع إغفال الدينارين اللذين فرضا على كل حالم وإسقاط ذكر ضريبة الدينار ، على كل جريب في أرض مصر ، وجعلها فريضة وضعها عمرو لكل رجل من أصحابه .

ويتبين أيضاً من الاطلاع على الرواية الثانية ، وهي الآتية ، أن حكاية الصنيع الذي نسب عمله الى أهل الحصن مأخوذة منها . وفي ذلك البرهان التام على أن استنتاج الدكتور بتلر باطل ، وفي غير محله .

والرواية الثانية : ذكرها الطبري قال : وبلغ عمراً أنهم (القبط) يقولون : ما أرتب العرب وأهون عليهم أنفسهم ، ما رأينا مثلنا دان لهم ؛ نخاف أن يستثيرهم ذلك من أمرهم ، فجمع بين القبط والعرب في ثلاثة أيام . في اليوم الأول ، أكل العرب أكلاً عربياً انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح . وفي اليوم الثاني ، جاءوا في ثياب أهل مصر وأخذيتهم وأكلوا أكل أهل مصر . وفي اليوم الثالث ، تسلحوا وعرضهم عمرو على القبط ؛ ثم قال : إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم ، فأحببت أن أريكم حالهم وكيف كانت في أرضهم ، ثم حالهم في أرضكم ، ثم حالهم في الحرب ، فظفروا بكم وذلك عيشهم ،

(١) فتوح البلدان ص ٢١٦ و ٢١٧

وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ، فأحببت أن تعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني ، وراجع الى عيش اليوم الأول ، فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلها^(١) .

والبون شاسع بين ما نص عليه في هذه الرواية ، وبين ما ورد في حديث عبد الرحمن بن شريح ، فيما يتعلق بالغرض من حكاية الطبرى للتعبير . وليس فيه ما يدل على أن عمرا طلب أن تؤدى الجزية اليه بقيمة ما صرف على الصنيع ، وهو قول مصدره مجهول وقد انفردت به تلك الرواية .

وفي الحديث نفسه أن ما طلبه عمرو بن العاص جزية بدلا من الصنيع عشرون ألف دينار لا اثنا عشر ألفا ، كما ذكره الدكتور بتلر .

وسنرى أن الروايات المتواترة عن الجزية لم يرد فيها أنها كانت اثني عشر ألف دينار ، وأن هذا الرقم ورد خطأ وفات على الدكتور بتلر ، رغم وضوح هذا الخطأ .

خلاصة ما ورد عن الجزية والخراج :

علمنا مما حدث به عبد الله بن عمرو بن العاص ، ما استقر عليه الأمر من وضع الخراج على أرض مصر ، على أساس دينار وثلاثة أرباب طعاما ، عن كل جريب من الأرض ، ودينارين على رأس كل حالم . ولم يعين في هذا الحديث المجموع السنوي للخراج . وورد في معاهدة الصلح التي ذكرها الطبرى أنه اشترط على أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا انتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف « درهم » يعنى ما مقداره ثلاثة ملايين وثلاث مليون دينار باعتبار الدينار ١٥ درهما ، أو مليونان ونصف باعتباره ٢٠ درهما .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩ و ٢٣٠

ومن البديهي أن هذا الرقم لا يدل على مجموع الجباية، لأنه مبني على إحصاء تقديري يشمل الزيادة والنقص تبعاً لموقف أهل البلاد من المعاهدة .
وسنرى أن كثيراً من البلاد والقرى في الأقاليم ، استلزمت توجيه البعوث إليها .

وقد ذكرت ضريبة الدينارين على كل رجل من قبطن مصر ، في روايتي ابن عبد الحكم ؛ ففي الرواية الأولى ، ذكر فيها ابن عبد الحكم : أن المقوقس لما خاف على نفسه ومن معه ، سأل عمرو بن العاص الصالح ، على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم ، فأجابه عمرو بن العاص الى ذلك . وفي الرواية الثانية ، قيل ان الصالح تم على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط خاصة ، ديناران على كل نفس ، شريفهم ووضعهم ، من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء . وعلى أن للمسلمين النزل بجماعتهم حيث نزلوا . ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ؛ وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها . وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران . رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف دينار في كل سنة^(١) .

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٧٠ ؛ الخطط للقرنيزي ج ١ ص ٢٩٣

وهذا الرقم فيه زيادة كبيرة عما ورد في المعاهدة التي ذكرها الطبري .
ولكن اذا لاحظنا أن ابن عبد الحكم روى أيضا عن ابن طبيعة: أن من أحصوا
على دينارين ، بلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف^(١) ، لا يبقى لدينا شك في أن
هذه الأرقام لم تسلم من تسرب التحريف إليها . ويصعب إقرارها كأنها
صحيحة . وقد يكون ما ذكر في المعاهدة بالنظر الى اعتداله هو الصحيح .

وقد ذكر البلاذري عن ابن طبيعة نفسه عن يزيد بن أبي حبيب ،
أنه قال: جبي عمرو خراج مصر وجزيتها ألفي ألف ، وجباها عبد الله بن سعد
ابن أبي سرح ، أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمرو : ” إن اللقاح بمصر
بعديك قد درت ألبانها“ . قال : ”ذلك لأنكم أعجمتم أولادها“^(٢) .

وهنا نستدرك على الدكتور بتل ما ذهب اليه من أن بعض الكتاب
ذكروا أن الجزية بلغ قدرها ١٢٠٠٠ دينار، وأنه يفسر ذلك بأن عدد جنود
العرب كان قد نقص الى ١٢٠٠٠ رجل وأن فريضة كل منهم كانت دينارا
واحدا كما جاء في حديث ابن وهب . وحققة الواقع أن ما قيل عن الجزية
إنها كانت ١٢٠٠٠ دينار لم يرد مطلقا عن مؤرخي العرب ، وإنما هو خطأ
نشأ من سقوط لفظ «ألف» من عبارة ابن عبد الحكم في الرواية الثانية
التي نصها : ” وكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع
القبط فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضةهم
يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة“^(٣) . فصار الرقم الأول ستة آلاف
نفس والآخر اثني عشر ألفا .

(١) فتوح مصر (ليدن) ص ٧٠ انخطط للقريري ، ج ١ ص ٢٩٣

(٢) فتوح البلدان ص ٢١٧ (٣) فتح العرب لمصر ص ٢٤١ (٢)

(٤) فتوح مصر (ليدن) ص ٧٠

وقد لاحظت وقوع مثل ذلك في النسخة المطبوعة بدار الكتب المصرية من كتاب «النجوم الزاهرة» في رواية ابن عبد الحكم^(١) . ولا يبعد أن يكون الأصل الذي طبعت منه هذه النسخة به هذا الخطأ ومنه نقل الدكتور بتلر . ومع أن هذه العبارة واردة بنصها الصحيح في فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وخطط المقرئ ، وحسن المحاضرة للسيوطي ، فلم يفكر في تصحيحها في طبع كتاب «النجوم الزاهرة» فدرجت العبارة بخطأ في المتن ، وعلق عليها بهذه الجملة ” وهو قول مردود ، لأن القبط كانوا كما لا يخفى يكتنون السواد الأعظم من السكان^(٢) . ولو رد اللفظ الساقط وهو «ألف» إلى موضعه لأغنى عن هذا الشرح .

تفنيد بعض مزاعم الدكتور بتلر :

ومن الغريب أن ينسب الدكتور بتلر الى الطبرى ما لم يقله ، ويجرى في كتابة التاريخ على طريقة كتاب الروايات التي يتفكها الناس بقراءتها . ويظهر ذلك جليا من مقارنة الفقرات الآتية التي نسبها الى الطبرى بما جاء في أقوال هذا المؤرخ :

” ووضع الزبير سلما على السور ولم يقطن اليه أحد ... وتحامل اليه الناس من داخل الحصن ... فاجتمع كبارهم على عجل في أول الصباح الباكر ، فسألوا عمرا الصلح ، وعرض (جورج) قائد الجند في الحصن أن يسلم على أن يأمن كل من هناك من الجند على أنفسهم ، فقبل عمرو منهم الصلح ، وخالفه الزبير خلافا شديدا في ذلك وقال له : إنه كان على وشك أن يفتح

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٨ (٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٨ (١) .

الحصن عنوة“ ، وقال : ” لو صبرت قليلا ، لزلت من السور الى داخل الحصن ، ولكان الأمر على ما نشتهي “ . ولكن عمراً لم ينتفت الى ما قاله وكتب عهد الصلح ، على أن يخرج الجنود من الحصن في ثلاثة أيام فيزلوا بالنهر ، ويحملوا ما يلزم لهم من القوت لبضعة أيام . وأما الحصن وما فيه من الذخائر وآلات الحرب فيأخذ العرب كل ذلك ، ويدفع أهل المدينة للسلمين الجزية^(١) .

وقال في ذيل الصفحة ٢٣٨ من كتابه « فتح العرب لمصر » : ” الرواية التي ذكرناها هنا مأخوذة عن الطبري وأنها لواحدة وقرينة الى الذهن فلسنا نتردد في قبولها ، ولو أن ذلك المؤرخ قد خلط في كثير من أخبار الفتح “ .

وهو قول مختلف لم يقله الطبري ؛ وما قاله لم يخلط فيه . وقد مرت علينا روايته بنصها ولا أثر فيها لخلاف بين الزبير وعمرو . ومن الغريب أن يكون هذا الكلام لبتلر لا للطبري ، ثم يقول أنه لا يتردد في قبوله .

وللقارئ بعد ذلك أن يقدر قوله : ” كان من أصعب الأمور أن تؤلف قصة لفتح بابلون ، فإن خبر صعود الزبير أسوار الحصن جاءت أولاً من ابن عبد الحكم ، ولكن مؤرخي العرب غيروا وبدلوا حتى خرجوا بها الى حد السخيف “^(٢) .

ومما نسبه الى الطبري ، أنه يقول^(٣) : (١) ان وقعة عين شمس كانت بعد فتح حصن بابلون . وهو غير صحيح لأن الطبري لم يقل ذلك ؛ (٢) ان

(١) جئنا هذه الحكاية ملخصة لتجنب التطويل . راجع ص ٢٣٦ — ٢٣٨ من فتح العرب لمصر . (٢) الكتاب قبله ص ٢٣٨ (١) . (٣) فتح العرب لمصر ص ٢٠٣ (٣)

المقوقس كان مع جيش القبط في عين شمس، وقد أزمع السير الى مصر. وهو أيضا غير صحيح، لأن المقوقس لم يذكر اسمه في الطبرى إلا في روايتين سبق لنا ذكرهما. الرواية الأولى جاء فيها: أن عمرا انتهى الى بابلون واتبعه الزبير فاجتمعا والتقى بهما أبو مريم وأبو مريام، وقد بعثهما المقوقس، وبعد مفاوضاتهما مع عمرو رجعا الى المقوقس. وأعقب ذلك مفاجأة المسلمين بالبيات وانكسار الروم، وتقدم عمرو والزبير لعين شمس أى لحصن بابلون. الرواية الثانية: جاء فيها أن عمرا والمقوقس التقيا بعين شمس، واقتتل "خيلاهما". وفي هاتين الروايتين لم يقصد الطبرى موقع عين شمس الحقيقي، وإنما المقصود في الرواية الأولى حصن بابلون حيث كان جمع القوم. وفي الرواية الثانية المكان الذى التحم فيه جيشا عمرو والمقوقس في القتال فيما بين الحصن وأم دنين. وقد يلنا فيما تقدم أن العرب كانوا يعدون من عين شمس موقعها الحقيقي وما يليه من الأماكن الى بابلون بما فيه حصنها المعروف بقصر الشمع حيث كان جمع القوم. ولا ينكر الدكتور بتل ذلك لأنه قال: "قد كانت هليو بوليس قديما تغطى مساحة أكبر مما يمكن تصوره اليوم؛ وهذا واضح ليس فقط من الأطلال الباقية بل من شهادة ابن دقماق إذ يقول عن عين شمس: "انها كانت في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض، متصلة البناء بمصر القديمة، حيث مدينة القسطنطين^(١)". ولكنه رغم هذا الاعتراف، يذهب الى تفسير مقال الطبرى على ذلك الوجه المخالف. وليس المقصود من قول الطبرى: إن عمرا والمقوقس التقيا بعين شمس، أنهما وجدا في صفوف القتال جميعا، وإنما كان المقصود تلاقى الجيشين.

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٣ (٢) .

وقد ذكر صاحب الرواية اسميهما كناية عن ذلك وهو يتونخى الإيجاز. ويدرك ذلك كل من له إلمام بسيط بقواعد لغة العرب ؛ (٣) أن جيش القبط تشتت عند أول صدمة وخسر عددا عظيما بين قتيل وأسير . وهو قول غير صحيح كسابقه ، لأن الطبرى كما كررنا قوله مرة بعد أخرى لم يذكر ، كغيره من مؤرخى العرب ، وجود جيش للقبط اشترك فى القتال الى نهاية هذه الواقعة . (٤) ان العرب غنموا غنيمة عظيمة وأرسلوا الأسرى الى المدينة . وهذا القول صحيح لأنه جاء فى الطبرى فى رواية أبى حارثة وأبى عثمان ، بعد الانتهاء من خبر فتح الحصن بمناسبة ظهور أبى مريم وأبى مريام ، والتماشهما من عمرو النظر فى أمر السبايا التى أصيبت بعد حادثة البيات التى فوجئ بها عمرو كما يأتى^(١) .

ويظهر أن بتلر أحس بضعف حجته فقال : "انه من الإسراف أن نكذب خبرا مثل هذا الخبر المفصل ... ولكن يظهر لنا أن الطبرى أخطأ خطأ فى وصف البلاد ، فإن وصفه للوقعة صحيح ، ولكنها لم تكن وقعة عين شمس^(٢) . وقد فاته أن الطبرى لم يقل أن الأسرى أخذوا فى الواقعة التى سماها هو وقعة عين شمس وإنما كان كلامه عن الأسرى بعد الانتهاء من جميع الوقائع التى حدثت من وقت انتهاء عمرو من وقعة أم دنين الى ما بعد أخذ الحصن . ويكون الخطأ اذا راجعا الى استنتاجه لا الى الطبرى ؛ لأنه حمل أقوال الطبرى على وقعة واحدة ، كما يتبين من مراجعة تلك الأقوال التى شرحناها شرحا وافيا .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٢٩

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٠٤ السطر الأول بذيل الصفحة .

وزاد على ما تقدم : " أن الطبرى نفسه يكشف عن خطئه بوصفه عين شمس بأنها كانت مدينة عظيمة في بلاد القبط وأنها واقعة الى الغرب ، وهو ما لم يرد مطلقا في الباب الذى أفرده الطبرى لفتح مصر بعنوان « ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية » . فهو ادعاء من الغرابة بمكان ، وأشد منه غرابة قول الدكتور بتار : " وقد كان الطبرى غريبا عن مصر لا يعرف كثيرا من وصف بلدانها " . ثم قوله في موضع آخر : ولكنه زارها ^(١) .

وعند نقل خبر الولاية التى تقدم ذكرها قال : " قد بقى في مصر بعد فتح الحصن جماعة كبيرة من جنود القبط " ^(٢) .

ونسب هذا القول أيضا الى الطبرى وقال : " انه عندما يذكر الجنود القبط يظن أنه يقصد المصريين الذين كانوا في الجيش الرومانى ، وهم كتيبة (الحرس الوطنى) ^(٣) ، مع أن الطبرى في هذا أيضا ، لم يذكر جنودا من القبط ولا من الروم . وإنما قال بعد أن انتهى من خبر الصلح : " وحضرت القبط باب عمرو " ثم ذكر حكاية الولاية .

اشتراط الخيار للروم فى الصلح حتى يخاطب المقوقس هرقل : قيل : واشتراط المقوقس أن له الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه بما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ، وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه ^(٤) .

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٠٤ (٢) وص ٤٥١ (٢) فتح العرب لمصر ص ٢٤١

(٣) فتح العرب لمصر ص ٢٤١ (٣) . (٤) فتوح مصر (يلدن) ص ٧١

سعى أبو مرثد وأبو مريام في السبي — حكم أمير المؤمنين عمر
رضي الله عنه :

وظهر أبو مرثد وأبو مريام، فكلمهما عمرًا في السبايا التي أصيبت بعد
المعركة فقال : **أَوَلَمْ تُعْهِدُوا وَعَقِدْتُمْ؟ أَلَمْ نَخالفكما، وبنار علينا من يومكما؟**
وطردكما، فرجعا وهما يقولان : كل شيء أصبتموه إلى أن نرجع إليكم فبني
ذمة منكم ، فقال لهم : **أتغيرون علينا وهم في ذمة ؟** قالوا : نعم . وقسم عمرو
ذلك السبي على الناس ، وتوزعوه ، ووقع في بلدان العرب . وقدم البشير على
عمر بعد بالأخماس ، وبعث الوفود ، فسألهم عمر ، فما زالوا يخبرونه حتى
مروا بحديث الجاثليق وصاحبه ، فقال : **ألا أراهما يبصران وأنتم تجهلون**
ولا تبصرون . من قاتلكم فلا أمان له ، ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شيء
من أهل القرى فله الأمان في الأيام الخمسة حتى تنصرم . وبعث في الآفاق
حتى رُدَّ ذلك السبي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الأيام الخمسة ، إلا من قاتل
بعد ؛ فترادوهم ، إلا ما كان من ذلك الضرب ^(١) .

والمبتدأ أن الروم والقبط والنوب أنقسموا إلى فريقين : فريق مال
إلى الصالح ، وهم القبط أهل مصر والنوب ، وفريق امتنع عنه أو علق أمره
على قبول هرقل وهم الروم . وهكذا بقي هؤلاء خارج الصلح .

نفي ما قيل من أن المقوقس إنما صالح عمر لما فتح الإسكندرية :
هذا القول يخالف ما تضمنته حديث الفتح في كل الروايات . وقد ورد
في «فتوح مصر لابن عبد الحكم» ، ونقله المقرئ في الفصل الذي عنوانه

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩

« ذكر فتح الإسكندرية » ونصه : ” ويقال : إن المقوقس إنما صالح عمرو ابن العاص على الروم وهو محاصر الإسكندرية . حدثنا يحيى بن خالد العدوى عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر وألح عليهم وخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط ، على أن يستنظر رأى الملك . قال : فحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ابن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب ، أن المقوقس الرومى الذى كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من الروم من أراد المسير ، ويقتر من أراد الإقامة من الروم على أمر قد سماه ، فبلغ ذلك هرقل ملك الروم ، فتسخط أشد التسخط وأنكره أشد الإنكار ، وبعث الجيوش فأغلقوا الاسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب ، فخرج اليه المقوقس ، فقال : أسألك ثلاثا . قال : ما هي ؟ . قال : لا تبذل للروم ما بذلت لى فلانى قد نصحت لهم فاستغشوا نصحى ؛ ولا تنقض بالقبط فان النقض لم يأت من قبلهم ، وأن تأمر بى اذا مت فادفنى فى أبى يحنس . فقال عمرو : هذه أهونهن علينا ... ” قال : فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ...^(١)

ومن هذا يتبين أن مارواه ابن عبد الحكم ، خبران يلى أحدهما الآخر ؛ قيل فى الأول منهما : إن عمرا والمقوقس تصالحا لما فتحت الإسكندرية ؛ وإن هذا الصلح كان خاصا بأهلها . أما الخبر الثانى ، فقيل فيه : إن الصلح بين عمرو والمقوقس حصل قبل الخروج الى الإسكندرية يعنى بباليون ، وهو تعقيب صحح به ابن عبد الحكم الخبر الأول بدليل قوله : ” فحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا ... ” ثم النص فيه على أن صلح بباليون شمل الروم

وأن المقوقس كان قبيل فتح الإسكندرية محمّضا على الروم لرفض هرقل ،
لا طرفا ثانيا في الصلح عن أهلها .

والظاهر أن الدكتور بتلر لم يدرك تماما ما عناه ابن عبد الحكم برواية
الخبرين السابقين ، مع تعقيبه على الخبر الأول فقال : ” نعلم أن هرقل
أبى ذلك الصلح ، وقد ذكر مؤرّخو العرب ذلك ولكنهم يذكرونه عند فتح
الإسكندرية . وهذا خطأ منهم لأسباب : (١) إن هرقل كان قد مات
عندما فتحت الإسكندرية ؛ (٢) إن صلح الإسكندرية كان عن أمر الملك
الحاكم عند ذلك “ .

أما التخطئة بالسبب الأول فلا محل لها لأن مؤرّخي العرب لم يتكلموا
عند (ذكر فتح الإسكندرية) عن سخط هرقل ، على ما تم عليه الصلح بين
عمرو والمقوقس ببابلون إلا لتصحيح الخبر الذي قيل فيه : ان الصلح بينهما
كان عند فتح الإسكندرية كما قلنا ، وكذلك لا محل لما عناه بالسبب
الثاني ؛ لأن العرب لم يقولوا ان صلح الاسكندرية كان بأمر هرقل أو عن
يد المقوقس ، مما يتنافى مع زعم أنه كان عن أمر الملك الحاكم وقتئذ .

وقد لاحظت ، أن ما لم يفتن اليه الدكتور بتلر عن المقصود بالرواية
التي ذكرها ابن عبد الحكم وعقب عليها ، لم يصحح عند نشر كتاب
« النجوم الزاهرة » لتغرى بردى بدار الكتب المصرية ، فقد ورد في ذيل
الصفحة ١٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب ، تعليق عن مقدار الجزية
التي فرضت على أهل مصر عند الفتح بعد الإحصاء الذى عمل ، قيل فيه :
” ان هذا منقوض بالبداهة التي تؤيدها رواية لابن عبد الحكم نقلها

المقریزی ، فی « فتح الإسكندرية » : ان عمرو بن العاص ، انما صالح المقوقس لما فتح الإسكندرية ، وهكذا قال الطبری وابن خلدون .

وهذا القول خطأ ترتب على الحديث الذى ذكره ابن عبد الحكم ثم صححه كما بينا . أما الطبرى فلم يقل : " ان المقوقس صالح عمرا لما فتح الإسكندرية ، فإن ما أورده هذا المؤرخ الكبير ينحصر فى ثلاث روايات : الأولى مسندة الى زياد بن جزة الزبيدى ، وكان فى جند عمرو بن العاص . وقد بدأ روايته بقوله : لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية فقرية ، حتى انتهينا الى بلهيب ^(١) أرسل صاحب الإسكندرية ، - ولم يقل انه المقوقس - الى عمرو يعرض عليه الصلح ، وبعد أن فصل ماتم بين الفريقين قال : ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها ^(٢) .

الرواية الثانية : مسندة الى خالد وعبادة . وقد ذكرنا فيها مسير عمرو من بدئه الى أن انتهى الى بابلون ، وما حصل بينه وبين جاثليق مصر وأسقفها فخر البيات كما فصلناه ^(٣) . ولا علاقة لهذه الوقائع بالإسكندرية ، بل انها قاصرة على فتح مصر ، قبل زحف عمرو الى الإسكندرية .

والرواية الثالثة : مسندة الى أبى حارثة وأبى عثمان ، وقد ذكرنا فيها نزول عمرو بعين شمس (بابلون) واقتحام الزبير للحصن وفتحه ، والتعاقد مع أهل مصر عقب فتح الحصن ليس ^(٤) إلا .

(١) مكانها اليوم فزارة احدى قرى مركز المحمودية بمديرية البحيرة . راجع معجم البلدان

ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٦ و ٢٢٧

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٨ و ٢٢٩

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩

وقد بينا أن التعاقد الذي تم عقب المفاوضة مع المقوقس، وضع مبدئياً لتنفيذه على أهل مصر من القبط، ومن يقبله من الروم؛ فكان تعاقدًا عامًا. وبعبارة واضحة، برنامجًا شاملاً لما تقرّر بالاتفاق معاملة جميع أهل مصر به في المستقبل.

ولم يرد فيما ذكره مؤرخو المسلمين أن المقوقس صالح عمرا لما فتح الإسكندرية بل قالوا: انه لما صالح عمرا عقب فتح مصر، أسخط ذلك هرقل، فبعث جيوشا الى الإسكندرية آذنت عمرا بالحرب، أما المقوقس^(١) فما تحرك ولا نكث^(٢).

وما قاله ابن خلدون مكتوب بالإيجاز، وهو عين ما ذكره الطبرى؛ فقد فصل بين فتح مصر وبين فتح الإسكندرية التي قال فيها: انها فتحت عنوة^(٣). وقد جاء في كلامه على نزول عمرو بن العاص بعين شمس قوله: وهى "المطرية"، وهو توضيح غير موجود في رواية الطبرى. ولا شك في أنه حشو طارئ. وقد لخص ابن الأثير الرواية نفسها ولم يذكر المطرية؛ ويكاد يكون تلخيصه هو الذى نقل عنه ابن خلدون مع شيء من التصرف في الألفاظ.

بعض تفاصيل عن الحزبية في عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه — المكاتبات المنسوبة الى عمر وعمرو بخصوص الابطاء في توريدها:

تبين مما تقدم أنه لما فتحت مصر وصالح عمرو القبط، وضعت الحزبية على الرؤوس بالتراضى بين الطرفين، وأعفى منها من كانوا يعتقدون الإسلام.

(١) فتوح مصر طبع ليدن ص ٧١ (٢) فتوح مصر طبع ليدن ص ٢٧٠

(٣) كتاب العبر بقية الجزء الثانى ص ١١٤ و ١١٥؛ الكامل ج ٢ ص ٢٧٨

ويؤخذ مما روى عن يزيد بن أسلم أن عمر رضى الله عنه ، كان يأخذ
من صالحه من المعاهدين ما سمي على نفسه ، لا يضع من ذلك شيئاً ولا
يزيد عليه . ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئاً يؤديه ، نظر عمر
في أمره ، فاذا احتاجوا خفف عنهم ، واذا استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم^(١) .

قال : وكتب عمر الى أمراء الأجناد : ألا يضربوا الجزية الا على من
جرت عليه الموسيقى ؛ وجزيتهم أربعون درهماً على أهل الوراق (الفضة)
وأربعة دنانير على أهل الذهب ؛ وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة
والزيت مدان من حنطة^(٢) ، وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر ، لكل إنسان
من أهل الشام والجزيرة ؛ ومقدار معين من ودك (وهو الشحم والسمن)
وعسل . ومن كان من أهل مصر ، فأردب في كل شهر غير الودك والعسل .
وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ، وضيافة من ينزل
بهم من أهل الإسلام ثلاث ليال^(٣) .

ولما استوثق الأمر لعمر وأقر القبط على جباية الروم . وكانت جبايتهم
بالتعديل ، اذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم ؛ وان قل أهلها وخربت
نقصوا . وكان عرفو القرى وأمرؤها ورؤساء أهلها يجتمعون ويتناظرون
في تقدير ما يجبي بنسبة احتمال القرى ، وسعة المزارع . وكانوا يخصصون من

(١) الخطط للقرنيزي ج ١ ص ٧٧ (٢) المد ربع الصاع الذي هو ميكال أهل المدينة الذي
تدور عليه أحكام المسلمين . وكل مد رطل وثلاث . والرطل اثنا عشرة أوقية والأوقية أربعون درهماً .
ومعيار الصاع الذي لا يختلف أربع حفنات بكفى الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما
إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم . ذكره الداودي . وقال الفيروز بادى :
وجرت ذلك فوجدته صحيحاً . (المخصص ج ١٢ ص ٢٦٤ ؛ القاموس المحيط ج ٣ ص ٥١) .
(٣) فتوح مصر (ليدن) ص ١٥٢

الأرض فدادين ينفق ريعها في اصلاح أحوالها وأبنيتها كالكنائس والحمامات .
وكانوا يقدرون ما يفرض لضيافة العرب ونزول السلطان^(١)؛ والمراد به الحاكم .

قال ابن عبد الحكم : وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد خمس ما كان يحتاج اليه^(٢) .

واستبطأ عمر الخراج من قبل عمرو فكتب اليه ”... أما بعد فإنى فكرت
في أمرك والذى أنت عليه، فاذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة، وقد
أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر، وانها قد عاجلتها الفراغنة
وعملوا فيها عملا محكما، مع شدة عتوهم وكفرهم، فعجبت من ذلك وأعجب
مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير
قحوط ولا جدوب . ولقد أكرت في مكاتبتك في الذى على أرضك من
الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع الى
ذلك، فاذا أنت تأتيني بمعارض تعبا بها^(٣)، لاتوافق الذى فى نفسى . لست
قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك . ولست أدرى
مع ذلك ما الذى نفرك من كتابى وقبضك ؛ فلئن كنت مجزئا كافئا صحيحا ان
البراءة لنافعة . وان كنت مضيعا نطعا، ان الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك،
وقد تركت أن أبطل ذلك منك فى العام الماضى ، رجاء أن تفيق فترفع الى
ذلك . وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا أن عمالك عمال السوء وما توالس
عليك وتلف، اتخذوك كهفا، وعندى باذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك

(١) فتوح مصر، (ليدن) ص ١٥٢ و ١٥٣، وقد لخصناه .

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ١٥١

(٣) فى نسخة فتوح مصر (ليدن) تفتالها والذى دوناه عن خطط المقريرى، أول ص ٧٨

فيه، فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه . فإن النهر يخرج الدر والحق أبلج، ودعني وما عنه تلجلج، فإنه قد برح الخفاء والسلام .

فكتب اليه عمرو بن العاص :

”بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من عمرو بن العاص . سلام الله عليك، فيني أحمد الله الذي لا إله الا هو . أما بعد : فقد بلغني كتابك أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج، والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي، وإعجابي من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها مذ كان الإسلام . ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر والأرض أعمر، لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا مذ كان الإسلام . وذكرت أن النهر يخرج الدر فلبتها حلبا قطع درها . وأكثر في كتابك وأثبت وعرضت وتربت . وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر، فحئت لعمري بالمقطعات المقذعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول، رصين صارم ، بليغ صادق ؛ ولقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده، فكنا بحمد الله مؤدبين لأماناتنا؛ حافظين لما عظم الله من حق أمتنا، نرى غير ذلك قبيحا والعمل به شينا، فتعرف ذلك لنا وتصدق فيه قلبنا . معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل ماثم . فاقبض عملك فإن الله قد زهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها ، بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا، ولم تكرم فيه أخوا . والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن)، ص ١٥٩ و ١٦٠ وقد ورد فيه : وثرت .

(٢) في فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن) بالمقطعات .

(٣) في الكتاب السابق، والعمل فيه سيئا .

ذلك منى غضبا أشد لنفسى ولها إنزاهها وإكراما ، وما عملت من عمل أرى على فيه متعلقا ، ولكنى حفظت ما لم تحفظ . ولو كنت من يهود يثرب ما زدت . يغفر الله لك ولنا . وسكت عن أشياء كنت بها عالما . وكان اللسان بها منى ذلولاً ولكن الله عظم من ححك ما لا يجهل والسلام“ .

ورد عمر رضى الله عنه على ذلك بقوله : أما بعد فانى قد عجبت من كثرة كتبى اليك فى ابطائك بالخراج ، وكتابك الى بنيات^(١) الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك الا بالحق البين ، ولم أقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك . ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ؛ فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فىء المسلمين ، وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام“ .

فكتب اليه عمرو بن العاص ” ... أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطنى فى الخراج ويزعم أنى أحميد عن الحق ، وأنكب عن الطريق . وانى والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى الى أن تدرك غلثهم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام“ .

وقد استخلص الدكتور بتلر من هذه المراسلة أن عمرو بن العاص كان فى أول حكمه لا يقصد الا العدل والرأفة بأهل البلاد . ولكن الخليفة لم يوافق ولم يجزه الا هوانا وجحودا ، بعد أن ملأ عمرو خزائنه

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ، (ليدن) ص ١٥٩ و ١٦٠ وقد ورد فيه : بنيات .
(٢) ابن عبد الحكم (ليدن) ص ١٦٠ وفى هذه الطبعة أعند بدلا من أحميد .

بما كان يصدره اليه من قمح مصر وذهبها، ومد سلطان العرب في أرجاء البلاد^(١).

وقال: "انه لا يشك في صحة تلك المكاتبات وانها تظهر جليا ما كان عليه الرجلان في صلتها الواحد بالآخر وان عمر لم يكن يشعر برحمة في جباية الأموال، وانه اتهم عمرا بالخيانة والتفريط، مع أنه كان يدافع عن المصريين، وان الأولى بالاتهام بالحرص هو عمر، فانه اذا قال: المسلمين، لم يقصد الا نفسه وتلك الفئة القليلة التي كانت معه في مكة"^(٢).

ولسنا بحاجة الى المحاجة فيما يقال في عمر، لأن شخصية عمر وسمو مقامه لا تتال منهما أقوال من هذا القبيل.

وها هو ذا جورجى زيدان رجل من عصرنا من غير المسلمين، له اطلاع وعلم بتاريخ المدينة الاسلامية يقول: "وأخبار عمر بن الخطاب، بالطهر والزهادة أشهر من أن تذكر. ويقال بالإجمال: انه هو مؤسس دولة المسلمين وقد أسسها على أمتن دعائم الملك... أسسها على العدل والتقوى والزهد والاستهلاك في نصرة الحق، مما ينذر اجتماعه في رجل واحد؛ وقد يوهم لغرابته أنه من قبيل المبالغة. ويسهل علينا التصديق به، اذا تذكرنا النتائج التي ترتبت على تلك المناقب مما لا يسمع بمثله في التاريخ - يكفي منها تلك الفتوح التي جعلت الأموال تنصب نحو بيت المال في المدينة كما ينصب الماء من الميازيب. وعمر مع ذلك لا يلتفت اليها ولا يأخذ منها إلا ما فرضه لنفسه كسائر الصحابة الأوّلين.

(١) فتح العرب لمصر ص ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٩ (٢) فتح العرب لمصر ص ٣٩٩ و ٤٠٠ (٣) تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ١٣

وكان اذا احتاج الى ما فوق راتبه ، جاء الى صاحب بيت المال فاستقرضه حتى يفیه لياہ من عطائه فيما بعد . ولما طعن وأحس بدتو الأجل ، قال لابنه :
”انى استلقت من بيت مال المسلمين ثمانين ألفا ، فليرد من مال ولدى ، فان لم يف ما لهم فقال آل الخطاب^(١)“ . وزهده فى الطعام واللباس مشهور .

وإذا دلت أقوال بتلر على شيء ، فإنها تدل على أن ما أظهره قائلها من النقص فى فهم أخبار فتح مصر ، وقد تعرض لنقدها هو دون ما يجمله من سيرة الخلفاء الراشدين . ومن حقنا أن نبين أن عجزه من هذه الجهة لم يكن قائما على أسباب يلتمس له العذر فيها ، كالتصور مثلا فى فهم اللغة العربية ، وانما كان ديدنه الاعتماد على التراجم المشوهة والتأويلات الموضوعية بقصد وغرض . ومن الدلائل على ذلك ما لاحظته حضرة الأستاذ الفاضل معتربا كتابه بالذات ، فقد استدرك عليه فى سياق الكلام عن « الحكم الإسلامى » من كتابه ، أنه اقتضب من المكاتبات التى ذكرناها واعتمد عليها جملا تنقص المعنى . مثاله فى كتاب عمر الأول ، أغفل فيه من النص ” فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه “ . وفى الكتاب الثانى أهمل منه صدره ونصه : ” أما بعد ، فانى قد عجبت من كثرة كتبتى اليك فى إبطائك بالخراج وكتابك الى بثنيات الطرق ، وقد علمت أنى لست أرى منك إلا بالحق البين “ . وفى الواقع تنطوى هاتان الجملتان على بيان ما كان

(١) هذه القصة نسبت الى أبى بكر رضى الله عنه ورواها مالك على غير هذا الوجه . قال ابن القاسم : قلت لمالك : فأين قولهم عن عمر انه رد ثمانين ألفا؟ قال : كذبوا انما يقول هذا أعداء الله ؛ هو لم يجز لولده سلف أبى موسى إياه حين أخذ منه نصفه ، فكيف يأخذ من مال الله ثمانين ألفا ! الطرطوشى : سراج الملوك (بولاق) ص ١٣٠ ، وقد أورد الامام البخارى هذا الخبر فيما بعد فى صحيحه تحت عنوان ” باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان “ ج ٢ ص ١٨٤

يطلبه أمير المؤمنين عمر ، وهو الحق ليس إلا ، المقترز تحصيله . وأن سبب
الطلب هو الإبطاء في حمل الخراج رغم تكرار الحث على إرساله . ولا حرج
على عمر في المطالبة بذلك ، فلم يكن هو الذي يتهاون في استيفاء حقوق الأمة .

وقد أورد بتلر عن حنا النقيوسى ، وقد وصفه بأنه كان لا يتورع عن
أن يصف الإسلام بأشنع الأوصاف ويتهم من دخلوا فيه بأشد التهم ، أنه
قال عن عمرو : ” أنه قد تشدد في جباية الضرائب التي وقع الاتفاق عليها
ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكأس ، ولم يرتكب شيئاً من النهب
والغصب بل أنه حفظ الكأس وحماها الى آخر مدة حياته^(١) .“

ومعنى ذلك أن عمراً كان يعمل كعمر ، فلا يتساح في تحصيل ما وقع
الاتفاق عليه من الخراج لارتباطه بمصالح الدولة . وقد كان عمر صاحب
الولاية والرقابة في أمر الجزية والخراج . وكان أول من حدد مقدار ذلك ،
وقد كان التقدير قبله بحسب الأحوال ، وعلى ما يتقرر بالتراضى بين المسلمين
وبين الفريق المعاهد . وليس في المكاتبات ما يشعر بأن عمر قصد إرهاب
المصريين بما لا طاقة لهم به ، أو مال الى خرق الاتفاق . وإنما كان الطلب
والرد دائرين على حمل ما هو مقترز والانتظار ريثما تدرك الغلة . وهذا كله
واضح في قول عمر : ” فاذا أتاك كتابي فاحمل الخراج “ ، وفي قول عمرو :
” أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطنني في الخراج “ .

وقد أغفل الدكتور بتلر أن يدرج الرد المنسوب الى عمرو بنصه .
وكأنه من وجه آخر شعر بأن هذه المكاتبات قد تثير ارتياباً بالنظر الى
اللهجة المكتوبة بها فقال : انه لا يشك في صحتها . وقد رآها ابن عبد الحكم

(١) فتح العرب لمصر ص ٣٨٦ و ٣٨٧

نفسه وأورد نصها . وقال عن دى ساسى : انه سلم بصحتها كل التسليم
بالاستناد الى قدم أسلوب لغتها^(١) .

ووصف بتلر رد عمرو على عمر بأنه ” الرد السهل فى أسلوبه ، الجليل
فى معناه^(٢) ، ويكفى القارئ أن يطالع عليه ليدرك مدى قيمته من جهة أسلوب
الكتابة “ .

أما الاستناد الى أن ابن عبد الحكم اطلع على هذه المكاتبات ودرجها
فى مؤلفه^(٣) ، فليس مما يعبا به ، لأن ابن عبد الحكم لا يوجد من مؤلفه نسخة
أصلية والأقوال المنسوبة اليه منقولة سماعا أو إملاء ممن رواها عنه .

وكثيرا ما يصل الى مثل هذه الكتب شىء من التغيير والحشو من الرواة
أو النساخ الذين يعهد اليهم بنسخها . وقد وقع بالفعل شىء من هذا القبيل
فى خبر سير عمرو الى مصر بإذن عمر أو بغير إذنه ، فاختلف النص فيه بين
ما ورد فى تاريخ ولاية مصر للكندى^(٤) ، وبين ما روى عن ابن عبد الحكم^(٥) ،
مع أن الخبر واحد . وسرى أن مثل هذا التصرف وقع فى الأقوال الواردة
فى كتاب ابن عبد الحكم نفسه ، المطبوع فى ليدن على ظن أنه تصحيح .

والواجب أن يرجع فى تحقيق ما كان من هذا القبيل الى النقد الدقيق
بالنظر الى الرواة ومقابلة الروايات بعضها ببعض . وقد قال ابن عبد الحكم
نفسه عن رواية الذين تلقى عنهم أخبار فتح مصر : يزيد بعضهم على بعض .
وفى المكاتبات المتبادلة بين أمير المؤمنين عمر وبين عمرو رضى الله
عنهما يخيل الى أن طريقة التعبير فيها لا توافق عصرهما ولا أخلاقهما ، لأن

(١) فتح العرب لمصر ص ٣٩٧ (١) (٢) فتح العرب لمصر ٣٩٨ (٣) فتح العرب
لمصر ص ٣٩٧ (١) . (٤) كتاب ولاية مصر ص ٧ (٥) فتوح مصر ص ٥٦

أسلوبها أقرب الى المعروف عن المتأخرين فضلا عما فيه من الشذوذ من جهة الأدب الكتابي وصياغة الجمل والراكاة . مثاله في كتاب عمر : "فعمجت من ذلك وأعجب مما عمجت" أو "فلئن كنت مجزئا كافيا صحيحا إن البراءة لنافعة وان كنت مضيعا نطعا"؛ أو "رجاء أن تفيق" ، أو "وما توالس عليك وتلفف" ؛ و "الحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج" ، وفي كتاب عمرو : "ولو كنت من يهود يثرب ما زدت" ، "وسكت عن أشياء كنت بها عالما" . أو "بفئت لعمري بالمقطعات المقدمات" ، وقوله : "ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم ، بليغ صادق" ، أو "والعمل به سيئا" ، أو "بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضا" ، أو "ولكنى حفظت ما لم تحفظ" . وغير ذلك ؛ وهى فى الواقع جمل ضعيفة واهية ، بعيدة الالتئام متخاذلة التأليف والنظم مما لا ينفى على أدنى متأمل من أهل الذوق الفهماء بأساليب البلاغة والأدب .

وفى مقدمة فتح العرب لمصر ، يقول الدكتور بتلر عن كتاب ابن عبد الحكم : "ويختلط فيه كثير من قصص الخيال بأخبار التاريخ ، ولكن لو نشرت منه نسخة منقودة لكانت ذات شأن عظيم" (١) . وانى لا أدرى هل كان يعدّ من أخبار التاريخ التى يقصدها ، هذه المكاتبات المنسوبة الى عمرو وعمرو .

المكان الذى دفن فيه قتلى المسلمين :

وشهد الفتح جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ويقال :

ان من قتل من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن (٢)

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٧ من مقدمة المؤلف . (٢) الخطط للقريزى ج ١ ص ٢٩٤

وقف قصر الشمع :

قال ابن عبد الحكم: "وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه"^(١).

تاريخ الفتح :

وكان الفتح في سنة عشرين . قال القضاعي : إن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين . وأثبتته المرحوم محمد مختار باشا بكل تحقيق في التوقيفات الإلهامية ، يوم الجمعة ٢ من المحرم سنة ٢٠ هجرية (٢٢ من ديسمبر سنة ٦٤٠ ميلادية) .

وهذا يتفق تماما من جهتين مع قول ساويرس ، إن هبوط جيش المسلمين في قوة عظيمة في ١٢ من شهر بؤونة (٦ يونية)^(٤) ومع قول مؤرخي العرب ، إن فتح مصر كان في مستهل المحرم سنة ٢٠ (٢٢ من ديسمبر سنة ٦٤٠ ميلادية) .

القول في فتح مصر هل كان عن صلح أم عنوة ؟

وقد اختلف في فتح مصر : هل فتحت بصلح أم عنوة ؟ فذهب أكثر علماء أهل مصر إلى أنها فتحت بصلح . وقالوا : إن الأمر لم يتم إلا بما جرى من المفاوضة بين عبادة والمقوقس . وذهب آخرون منهم عبيد الله بن المغيرة الشيباني ومالك بن أنس ، وعبيد الله بن وهب ، إلى أنها فتحت عنوة . واحتجوا بأن الحصن فتح عنوة ، وكان حكم جميع الأرض كذلك .

(١) فتوح مصر (ليدن) ص ١١٤

(٢) أى في ظهور هلاله وهو غرة القمر أو اللتين أو إلى ثلاث إلى سبع من أول الشهر والبلتين من آخر الشهر أى ست وعشرين وسبع وعشرين .

(٣) ص ١٠ (٤) فتح العرب لمصر ص ٦٨

وعن ابن شهاب أنه قال : كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعا ذمة ، وحملهم على ذلك ففضى ذلك فيهم إلى اليوم ^(١) .

إرسال البعوث الى الصعيد وبلاد مصر السفلى :

قال الطبرى : إن أهل مصر كلهم دخلوا فى معاهدة الصلح ، وخالف الدكتور بتلر فقال : إن الصلح كان مقصورا على جماعة صغيرة . ولكنه نبه الى أن منفيس أو بابليون ، وإن لم يبق لها المحل الأول فى القطر ، إذ مضى عليها زمن طويل وليست هى عاصمة البلاد ، كانت لا تزال ذات شأن عظيم ، إذ كانت باب إقليم الصعيد وإقليم مصر السفلى ، وكان حصنها منيعا لا يكاد ينال ، فإذا هو وقع فى يد عدو دانت له بلاد الصعيد جميعا ، وهابته بلاد مصر السفلى فى الشمال ^(٢) .

ثم بين أن من أثر الاستيلاء عليها أن أصبح فى يد عمرو ملك الفرما وبلبيس وأتريب وعين شمس ^(٣) ^(٤) .

أما الروايات العربية وهى عمادنا ، وقد بينا صدق أكثرها فيما تقدم ، فقد ورد فيها بين ما رواه البلاذرى عن الجيـشـانى فى فتوح البلدان : أن عمرا بعد

(١) فتوح مصر طبع ليدن ص ٩٠ (٢) فتح العرب لمصر ص ٢٤٤

(٣) قال فى تقويم البلدان : بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة . وقال القلقشندى : والجارى على الألسنة ضم الباء فى أولها وضبط ياقوت بكسر الباءين وسكون اللام ، صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥

(٤) مدينة مصرية قديمة اندثرت . ومكانها اليوم تل اتريب الواقع فى شمال مدينة بنها .

الفتح وجه عبد الله بن حذافة السهمي الى عين شمس ، فغلب على أرضها
وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط (يريد مصر) ، ووجه خارجه
ابن حذافة العدوي الى الفيوم والأشمونين وإنجيم (والبشرويات)
وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك ؛ ووجه عمير بن وهب الجمحي الى تنيس
ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنأ وبوصير ففعل مثل ذلك ؛ ووجه
عقبة بن عامر الجهني - ويقال وردان مولاه صاحب سوق وردان
بمصر - الى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك . قال : فاستجمع
عمرو بن العاص فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج^(٧) الخ .

وروى المقرئ^(٨) : أن عمرا أنفذ أيضا الى الفرما أبرهة بن الصباح ،
فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة ، وألف رأس من

-
- (١) كانت من مدن مصر الصناعية القديمة . وقد اندثرت ومكانها اليوم جزيرة ببحيرة المنزلة
تسمى « كوم ابن سلام » شرق بلدة المطرية ؛ وعلى بعد أربعة كيلو مترات منها . وقد ذكرت هنا
البشرويات خطأ بين إنجيم وقرى الصعيد ، والصحيح أنها أسفل الأرض كما ذكره المقرئ
ج ١ ص ٧٣ . (٢) ناحية دميرة ، هي اليوم إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية .
(٣) ما زالت موجودة الى اليوم من ضواحي دمياط ، وعلى بعد خمسة كيلو مترات منها .
(٤) قال أبو الحسن المهلبى : مدينة قديمة جاهلية ، لها ارتفاع جليل ، ومنها إلى سمند
ميلان ، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٦ ، وتعرف اليوم باسم بنا أبو صير وهي إحدى قرى مركز
سمند بمديرية الغربية . (٥) معروفة اليوم باسم أبو صير بنا من قرى مركز سمند بمديرية
الغربية . وقد ذكرها ياقوت باسم بوصير بنا ، وقال أنها من كورة السمندية . معجم البلدان ج ٢
ص ٣٠٦ (٦) كانت مصر مقسمة بحسب كورها الى أعلى الأرض وهو الصعيد والى
أسفل الأرض وهو ما يعرف الآن بالوجه البحرى وكانت كوره موزعة فى أربع نواح : الحوف
الشرقى وبطن الريف والجزيرة والحوف الغربى . ويمكن الوقوف على تفصيل ذلك فى كتب
الخطط وعلى الخصوص فى الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ، ص ٣٧٩ -
٣٩١ ؛ راجع أيضا البلاذرى ص ٢١٨ (٧) البلاذرى ص ٢١٨
(٨) الخطط ج ١ ص ٢١١

الغنم ، فرحل عنهم الى البقارة^(١) ، فأسلم من بها . وساروا منها الى الوردادة من
جملة الحفار فدخل أهلها الإسلام^(٢) .

خبر السير الى الفيوم وعودة عمرو ولم يفتحها :

ذكر الدكتور بتلر السير الى الفيوم ؛ ولكن جعله عقب وقعة أم دينين
وقبل فتح مصر بقيادة عمرو نفسه ؛ فقال : ان عمرا رأى وقتئذ أنه لن
يستطيع فتح بابليون بمن معه ، فخطر له أن يحوّل وجهته نحو الفيوم . وقد
استطاع بعد فتح أم دينين أن يأخذ من السفن ما يلزمه لاجتياز النهر ، وبلوغ
مدينة منف ثم البهنسا . ومن يقرأ هذا الخبر يخطر بفرسه أن العرب في هذه
الحملة وصلوا الى مدينة البهنسا التي هي اليوم احدى قرى مركز بنى مزار
بمديرية المنيا ، الموضوع لها كتاب باسم فتوح البهنسا ؛ ولكن اذا قارنا بين
الزمن الذى قيل بأن عمرا استغرقه في جهة الفيوم والمنطقة التي مر بها الجيش
العربى في تلك الجهة ، وهي لا تتجاوز نواحى بعض قرى الفيوم ودلاص
وأبويط ، يتبين له أن اسم البهنسا الذى ذكره بتلر ، لم يكن مقصودا به
البهنسا الحالية التي بمركز بنى مزار ، لبعدها عن إقليم الفيوم ، ولذلك بحثت
عن سبب ذكر البهنسا هنا مع بعدها عن الفيوم . فأخبرنى الأستاذ العلامة
محمد رمزى بك بأن القرية التي يحتمل أن جيش المسلمين وصل اليها في زحفه
الى الفيوم هي التي كانت تسمى البهنسا احدى قرى مديرية الفيوم في ذلك

(١) وهي من بلاد الحفار الواقعة بين العريش والقنطرة بأرض مصر وقد اندثرت .

(٢) المقرزى الخطط ، ج ١ ص ١٨٤ ، قال المقرزى : وبلد الوردادة القديمة في شرق
المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية . وهي الآن على وجه التعيين في المكان الذى يعرف باسم
"المزار" بقرب محطة "المزار" الواقعة على بعد ١١٠ كيلو مترات شرق بلدة القنطرة الشرقية
من الطريق الحديدى بينها وبين العريش .

الوقت . وقد اندثرت هذه القرية وما زال يعرف مكانها الى اليوم باسم
«حوض المهمس» أو «المهمسى» بأراضى ناحية قلمشاة بمركز الفيوم .

وهذا يتفق مع تعليق للدكتور بتلر قال فيه : أن البهنسا هنا فى كورة
الفيوم بالطبع ، وليست بالبهنسا المعروفة التى فى موضع المدينة القديمة
أو كسير هينخوس Oxyrhynchus فقد كانت تلك على بعد خمسين ميلا
الى الجنوب من بعد بهنسا الفيوم .^(١)

قال الدكتور بتلر : ففتحت البهنسا عنوة ، والتقى العرب فى طريقهم
بجنا الماروسى ، فى جمع قليل ، فأراد أن يجتذبهم ويرجع الى عسكره فى أبو يبط^(٢) ،
ولكنه قتل هو ومن معه وانتشل أصحابه جثته من النيل . ولم يستطع
العرب فتح الفيوم فعادوا أدراجهم إلى الشمال إلى موضع أكثر أمنا .
وقضى عمرو فى غزوته أسابيع أضاعها الروم .^(٣)

رواية ابن عبد الحكم عن وقت فتحها وكيفية وقوعه :

قال ابن عبد الحكم : لما تم الفتح للمسلمين (أى فتح مدينة مصر
والحصن) بعث عمرو جرائد الخيل الى القرى التى حولها ، فأقامت الفيوم
سنة لم يعلم المسلمون بمكانها ، حتى أتاهم رجل فذكرها لهم ، فأرسل عمرو معه
ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى ، فلما سلكوا فى المجابة لم يروا شيئا
فهموا بالانصراف ، فقالوا لا تعجلوا ، سيروا ؛ فان كان قد كذب فما أقدركم

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٧ (١) بذيل الصفحة (راجع أيضا أمينو Géographie
Copte صفحة ٣) . (٢) هذه البلدة ذكرها ابن دقاق فقال : انها فى رأس الجبل
الذى يصعد منه الى الفيوم (ج ٥ ص ٣) . وقال ياقوت انها قرب بوزير قور يدس (المعجم
ج ١ ص ٩٦) ، وذكرها باسم بويط (ج ٢ ص ٣١١) . وقال المقرئى : مدينة من جملة
البهنساوية وسماها أبو يبط (الخطط ج ١ ص ٢٠٣) ، وهى الآن إحدى قرى مركز الوسطى بمركز
الوسطى بمديرية بنى سويف . (٣) فتح العرب لمصر ص ١٩٨ و ١٩٩

على ما أردتم؛ فلم يسيرا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها، فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم .
وذكر ابن عبد الحكم خبرين آخرين عن كيفية اكتشاف الفيوم نكتفى^(١) بالإشارة اليهما .

رواية بتل عن فتح الفيوم :

قال : ولما بلغت أنباء الفتح (فتح مدينة مصر) الى الفيوم غادرها من بها من المسالخ، وأرسل عمرو وكتيبة من جنده عبرت النهر وفتحت مدينتي الفيوم وأبويط، ثم أرسل عمرو وجنوده الى « دلاص » على الضفة الغربية للنيل في جنوب منفيس ، والى الشرق من مدينة الفيوم، وطلب من أبا قيرس (أبا كبرى) حاكمها أن يمد المسلمين الذين كانوا بالفيوم بالسفن لينقلوا فيها من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي^(٢) .

نفي تهمة مكذوبة على المسلمين :

من التُّهَمَاتِ الشنيعة التي تناول بها حنا النقيوسي على المسلمين قوله : «أنهم لما بلغوا مدينة بهنسا وفتحوها عنوة، قتلوا من وجدوا بها من رجال ونسوة وأطفال^(٣)» . وقوله في حكاية دخول العرب مدينة نقيوس، وسيأتي ذكرها : «ان العرب قتلوا كل من وجدوه في الطريق من أهلها ولم ينج من دخل في الكنائس لائذا ولم يدعوا رجلا ولا امرأة ولا طفلا^(٤)» .

وقد علق على هذين القولين حضرة الأستاذ الفاضل فريد أبو حديد معترِّب كتاب « فتح العرب لمصر » ، فقال :

(١) فتوح مصر (ليدن) ص ١٦٩ . (٢) فتح العرب لمصر ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .
(٣) فتح العرب لمصر ص ١٩٧ . (٤) فتح العرب لمصر ص ٢٤٨ .

عن القول الأول : ” لم يكن من مذهب العرب ولا مما يوصيهم به الدين والخلفاء أن يقتلوا طفلا أو امرأة . ولعل في ذلك خطأ من حنا النقيوسى دفعه اليه كرهه لأعداء بلاده ودينه ، ولو حدث شيء من ذلك لما تردّد مؤرخو العرب في وصفه ، فانهم لا يدعون شيئا إلا وصفوه حتى ولو كان شديدا عليهم^(١) .

وقال عن القول الثانى : ” أغلب الظن أن هذه مبالغة من الكاتب (حنا النقيوسى) دفعته اليها غيرته وحقده على الغالين من العرب إذ كان من أول أصول العرب فى الحرب ألا يقتلوا من استسلم وألا يقتلوا امرأة ولا شيخا ولا طفلا ، يأمرهم بذلك دينهم ويحضهم عليه أمر خلفائهم الأولين الى القواد والجنود^(٢) .

أما الدكتور بتلر، فلا جدال فى أن كذبة حنا النقيوسى راقت له ووافقت أمياله وأفكاره . فقال فى تعليقه على قول حنا الأول : ” ويجب أن نصدق خبر المذبحة ، ولم تكن مخالفة لقانون الحرب فى تلك الأيام ، وسنجد أمثلة غيرها من نوعها^(٣) .

ومن البين أن الأمثلة المزعومة هى التى ادعى حنا النقيوسى أنها حدثت فى نقيوس . ولا نعلم أين وجد الدكتور بتلر أنها تنطبق على قانون الحرب الذى كان يجرى عليه المسلمون فى غزواتهم .

لا شك فى أن هذا القول شر مما قاله حنا النقيوسى . وفيه دليل آخر يؤيد رأينا فى أن ما تضمنته كتاب فتح مصر ليس فيه شيء من العدالة .

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٧ (١) .
(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٤٨ (٢) .
(٣) فتح العرب لمصر ص ١٩٧ (١) .

ومع ذلك فان ما جاء في الأثر فيه البرهان الكافي لسحق هذه الأكاذيب .
روى البخارى فى صحيحه مسندا الى نافع أن عبد الله رضى الله عنه أخبره أن
امرأة وجدت فى بعض مغازى النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة ، فأنكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان^(١) .

وروى أيضا عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : وجدت
امرأة مقتولة فى بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان^(٢) .

وروى مالك مسندا الى عبد الرحمن بن كعب أنه قال : نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذين قتلوا ابن أبى الحقيق عن قتل النساء والولدان^(٣) .

وحدث مالك عن يحيى بن سعيد أن أبابكر الصديق بعث جيوشا الى
الشام ، فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان وكان أمير رُبْعٍ من تلك الأرباع ؛
فزعموا أن يزيد قال لأبى بكر إما أن تركب وإما أن أنزل ، فقال أبو بكر :
ما أنت بنازل وما أنا براكب ؛ انى احتسب خطاى هذه فى سبيل الله .
ثم قال له : انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا
أنهم حبسوا أنفسهم له ، وستجد قوما فخصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر ،
فاضرب ما فخصوا عنه بالسيف وانى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا
ولا كبيرا هراما ولا تقطن شجرا مثمرا ولا تُنحرَّ بن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا
إلا لما كلة ولا تحرقن نخلا ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن^(٤) .

(١) البخارى ج ٢ ص ١٠٧ (٢) البخارى ج ٢ ص ١٠٧

(٣) جلال الدين السيوطى ، تنوير الحوالك ج ٢ ص ٥ و ٦

(٤) جلال الدين السيوطى ، تنوير الحوالك ج ٢ ص ٦ ؛ والمراد بقوله "تفرقنه" تبددته .

وحدث مالك انه بلغه أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل من عماله : أنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية يقول لهم : اغزوا باسم الله في سبيل الله تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا؛ وقل ذلك لجيوشك وسرايك إن شاء الله، والسلام عليك^(١) .

هذه هي الأصول الصحيحة أو على تعبير الدكتور بتلر : القانون الذي كان يجرى عليه المسلمون في مغازيهم .

الاستيلاء على أتريب ومنوف — إقامة قنطرة عند قليوب : وأخذ المسلمون مدينتي أتريب ومنوف واستولوا على ريفهما . ولمرور المسلمين أقيمت قنطرة على الترعَة عند قليوب، وقد جاء الأمر الى جورج حاكم اقليم مصر باقامتها . وبهذه المناسبة قال حنا النقيوسى : ”وأخذ الناس يساعدون المسلمين“ . وكان اعتراف حنا النقيوسى ، كان له أثر عند الدكتور بتلر ، لأنه يهزم تشبته بنفى ما جاءت به الروايات من أن القبط كانوا عوناً للمسلمين حين الفتح ، فقال : ”وانه لمن سوء الحظ أن قول الأسقف (يعنى حنا النقيوسى) هنا ليس بالواضح البين“ . ومن رأيه أن المساعدة كانت محدودة ومعينة لغرض خاص ، ولم تكن مساعدة عامة . ثم قال : وقد يكون العرب لقوا شيئاً من ذلك أثناء حصار الحصن من جماعة لعلهم من أهل الفيوم بعد فتحها ، وكانوا أحابيش من عصابتين عرفتا بالحزبين الأخضر والأزرق ، وقد ذكرهما حنا النقيوسى^(٢) . وقال : انهما كانتا تعبران النهر ليلا الى الروضة فتنهبان فيها أو تهبطان على السفن بقيادة ميناس وقزماس بن صمويل .

(١) جلال الدين السيوطى ، تنوير الحوالك ج ٢ ص ٧

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٣٢ ؛ حنا النقيوسى ص ٦٨

رفض هرقل الصلح :

قلنا ان المعاهدة التي تمت بين عمرو والمقوقس ، اشترط فيها المقوقس أن له الخيار في الروم خاصة حتى يأتيه أمر ملك الروم ، وان ملك الروم لما كتب اليه كره ذلك ، وكتب الى المقوقس والى جماعة الروم بقتال عمرو وبقى القبط على الصلح الذي تعافدوا عليه .

وقد تضمن هذا الخبر أن عمرا طلب من القبط أن يضموا له الجسرين جميعا ، وقيموا الأتزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الإسكندرية .

قال ابن طهية عن يحيى بن ميمون الحضرمي : ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا^(١) . ولكن الدكتور بتلر لم يقنع بذلك ، فقال : ان المقوقس ، بعد الاتفاق مع عمرو على بقاء الروم بالحصن حتى يقتره ملكهم ، سافر مسرعا بالنيل الى الإسكندرية وبادر بإرسال كتاب الى الامبراطور يخبره بما تم عليه الاتفاق ، وان الامبراطور أرسل اليه يأمره بأن يوافيه على عجل . ولما وصل اليه أوقع به المهانة ثم نفاه من بلاده طريدا . وهي أقوال لا أثر لها في الروايات العربية .

وكانت الروم تحصنت مدّة بالجزيرة (جزيرة الروضة الآن) ، ثم هربت منها وكانت حصينة ، فخرّب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها ، وكانت الأسوار مستديرة عليها^(٢) .

(١) فتوح مصر طبع ليدن ص ٧٢

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٠٩

من شأنه ان يفتخر

بموقفه ان يفتخر من موقفه و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله
من ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين
و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال يا ايها
الناس ان الله يحب المتواضعين

و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال
يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين و قد روي عن النبي
صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله
يحب المتواضعين

و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال
يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين و قد روي عن النبي
صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله
يحب المتواضعين و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله
ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين
و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال
يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين

و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال
يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين و قد روي عن النبي
صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله
يحب المتواضعين

و قد روي عن النبي صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال
يا ايها الناس ان الله يحب المتواضعين و قد روي عن النبي
صلى الله عليه و آله ان الله تعالى قال يا ايها الناس ان الله
يحب المتواضعين

فتح الإسكندرية

زحف عمرو على الإسكندرية :

لما حاز المسلمون الحصن بما فيه ، أجمع عمرو على المسير الى الإسكندرية فاستخلف على مصر خارجة بن حذافة . وكان سيره اليها في ربيع الأول سنة ٢٠ هجرية (١٨ من فبراير - ١٩ من مارس سنة ٦٤١ م) ، كما رواه الكندي عن سعيد بن عفير عن أشياخه وفي رواية غيره في جمادى الآخرة من تلك السنة ، وكان من دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا : نغزوه بالفسطاط قبل أن يبلغنا ويروم الإسكندرية .

ولم يجد الدكتور بتلر ما ينقله عن حنا النقيوسى في موضوع الزحف غير فقرات مشتتة . أما ابن عبد الحكم فقد روى من حديث عثمان بن صالح : أن عمرا نخرج بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وقد أصلحوا لهم الطريق وأقاموا الجسور والأسواق . وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم . وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت ، وقدمت عليهم مراكب كبيرة من أرض الروم ، فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح ^(١) . ولما سار عمرو في طريقه لم ير

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٧٣

منهم أحدا حتى بلغ ترنوط^(١) . قال بتلر : وكانت بها فرضة يعبر النيل عندها في الذهاب الى الإسكندرية . ووقع قتال خفيف بين عمرو والروم فانهمزموا . وقد ذكر ياقوت هذه الواقعة^(٢) . ومضى عمرو بمن معه قاصدا نقيوس ، في قول بتلر ؛ ومحلها اليوم زاوية رزين بمركز منوف ، في الجنوب الغربي من منوف ، فاستولى عليها . وكان بها قائد روماني ضعيف اسمه دومنتيانوس وتحت يده سفن كثيرة ، فلما رأى المسلمين على كشب منه خانه جنانه ، وترك جيشه وسفنه ولاذ في سفينه هاربا نحو الإسكندرية وتفرقت جنوده فقتلوا . ولم يرد لهذه الواقعة ذكر في خبر الزحف على الإسكندرية لابن عبد الحكم وغيره . ولكن ياقوت ذكرها فقال : كانت بها (أى بنقيوس) وقعة لعمرو ابن العاص والروم لما تقضوا^(٣) . فيكون بتلر قد قدم تاريخ وقوعها عن الوقت الذي حدثت فيه . وانتشرت العرب في البلاد التي حول نقيوس ودخلوا سوونا ، وهي شوفى بمركز تلا بمديرية المنوفية ، وليست صا التي بمركز كفر الزيات كما وردت في كتاب فتح العرب لمصر^(٤) .

قال بتلر : وأقام عمرو في نقيوس بضعة أيام ثم عبر النيل الى الغرب واستأنف سيره . وقيل : بل أرسل شريك بن سمي في آثار الجيش الفارز فأدركهم

(١) وقد وردت محرفة في النص العربي « مريوط » . وهي من المدن المصرية القديمة أسماها المصري برانوت والرومي ترنوتيس والقبطي ترنوط أو طرنوط . وفي القرن السابع الهجري حرف أسماها الى الطرانة ، وهو أسماها الحالى ، وهي اليوم إحدى قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة . وقال عنها ياقوت : قرية كبيرة جامعة على النيل فيها أسواق ومسجد جامع وكنيسة نراب كبيرة ، خربت كرامة مع القاسم بن عبيد الله ، وبها معاصر للسكر وبساتين ، وأكثر فواكه الإسكندرية منها . قالوا لا تطول الأعمار كما تطول بترنوط وفرغانة .

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٤ (٣) الكتاب السابق ج ٨ ص ٣١٤

(٤) ص ٢٤٨ و ٢٤٩ بذيال الصفحتين .

عند الكوم الذى عرف به بعد وسمى (كوم شريك) ، وهى قرية مازالت موجودة الى اليوم بمركز كوم حمادة بمديرية البحيرة على شاطئ النيل الغربى ، فى شمال محطة الطيرية الواقعة على السكة الحديدية الموصلة بين امبابه وإتياى البارود بمصر .

واضطرَّ شريك لما أدرك الروم أن يلجأ الى الكوم ، فاعتصم به وأحاطوه ، وانحط عليهم من الكوم مالك بن ناعمة الصدفى ، ويعرف بصاحب الفرس الأشقر الذى يقال له «أشقر صدف» . وكان لا يجارى سرعة . وطلبتة الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره ، فأقبل عمرو متوجها ، فانصرفت الروم . ثم التقوا بسُلطَيْس وهى سنطيس إحدى قرى مركز دمنهور فى الجنوب من دمنهور على بعد سبعة كيلومترات .

وهناك اقتتلوا قتالا شديدا ، فانهمز الروم وتقهقروا أمام الفاتحين ثم التقوا بالكريون ، وهى على الشاطئ الشمالى لترعة المحمودية ، وأقرب محطة اليها معمل الفزاز بمركز كفر الدوار . وكانت آخر سلسلة من الحصون بين بابلون والإسكندرية . قال بتلر : ولكن حصونها لم تكن من المنعة مثل ما كان حصن بابلون ولا حصن نقيوس . وكان بها تيودور فى جنود أكثر عددا من المسلمين ، وكانت الترعة تحميهم من بين أيديهم ، والطريق من ورائهم يفضى الى الإسكندرية ويسهل حفظه . وجاءت اليها الكتائب تترى من كل مكان الى لواء الروم ، من سلطيس ومن جهات أبعد منها ، مثل الخيس وسنخا^(١) وبلهيب^(٢) . واشتد القتال واستمر بضعة عشر يوما . وكان

(١) الخيس قرية قديمة قد اختفى اسمها من زمن بعيد . وفى مكانها اليوم قرية أم حكيم بمركز شبراخيت بمديرية البحيرة . (٢) هى اليوم إحدى قرى مركز كفر الشيخ بمديرية الغربية بمصر .

عبد الله بن عمرو على المقدمة، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو، فأصاب
عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف . ثم فتح
الله على المسلمين فقتلوا من الروم مقتلة عظيمة ، وأتبعوهم حتى بلغوا
الإسكندرية فتحصن بها الروم . وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون
حصن ، فنتزل المسلمون ما بين حلوة الى قصر فارس الى ما وراء ذلك^(١) ومعهم
رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الأطعمة والعلوفة ، فأقاموا شهرين .

وروى ابن عبد الحكم حديثا عن محمد بن يحيى الإسكندراني قال : نزل
عمرو بن العاص بحلوة فأقام بها شهرين ثم تحوّل الى المقس ، فأخرجت عليه
الخليل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن . فواقعه ، فقتل من المسلمين
يومئذ بكنيسة الذهب اثنا عشر رجلا .^(٢)

وقال الدكتور بتلر : وقد علم «عمرو» أنه ان يستطيع أخذ الإسكندرية
بالهجوم فعوّل أن يخلف في عسكره جيشا للرباط ، وأن يسير هو ومن بقي
من الناس فيضرب بهم في بلاد مصر السفلى . وكان الروم قد هاجروا
من حول الإسكندرية ، فسار الى الكريون ، ومن ثم الى دمنهور ، ثم سار
الى الشرق يجوس خلال الإقليم المعروف اليوم بالغربية ، حتى بلغ سينا ولم
يتمكن من أخذها على غرة . ثم الى طوخ^(٣) ومنها الى دمسيس^(٤) . وغزوا بعض

(١) ابن عبد الحكم (ليدن) ص ٧٤ راجع أيضا فتح العرب لمصر ص ٢٥٦ وقد ورد
في هذه الصفحة : أن قصر فارس كان في الجهة الشرقية ولعل الفرس بنوه ليستعينوا به على الحصار
فانا نعرف ان دقلديانوس لم يستطع أن يحدث أثرا في حصون المدينة حتى بنى قلعة في شرقها
(حنا النقبوسى ص ٤١٧) . (٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٧٥ و٧٦

(٣) طوخ المذكورة هنا يقصد بها طوخ مزبد إحدى قرى مركز السنطة بمديرية الغربية وهي
إحدى القرى العشرة التي تسمى طوخ في مصر الآن . (٤) قرية مصرية قديمة اندثرت ،
ومكانها اليوم كفر شبرا اليمن من توابع قرية شبرا اليمن ، بمركز زفتى بمديرية الغربية .

القرى التي على فرع النيل الشرقي . وقيل : أن سرية أرسلها عمرو بلغت دمياط في الوقت نفسه .^(١)

ويغلب على ظني أنها هي التي تقدم ذكرها في رواية الجيشتاني، في فتوح البلدان للبلاذري .^(٢)

الجامع الذي أسسه المسلمون بدمياط :

وقال المقرئزي : و بدمياط حيث كانت المدينة التي هدمت ، جامع من أجل مساجد المسلمين ، تسميه العامة مسجد فتح ، وهو المسجد الذي أسسه المسلمون عند فتح دمياط ، أول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو ابن العاص ؛ وقال : إنما عرف بجامع فتح لتزول شخص يقال له فاتح به ، فقالت العامة « جامع فتح » .^(٣) ويعرف أيضا بجامع أبي المعاطي .

وانتهى قول بتلربأن عمرا عاد الى بابلين ، وأن العرب قضوا في عملهم هذا اثني عشر شهرا .^(٤)

وقال ابن عبد الحكم ، فيما رواه عن يحيى بن أيوب و خالد بن حميد : وكان ملك الروم يقول : "لئن ظهرت العرب على الإسكندرية ففي ذلك انقطاع الروم وهلاكهم" . لأنه ليس للروم كئأس أعظم من كئأس الإسكندرية ... فأمر بجهازه ومصاحته لخروجه الى الإسكندرية ، حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاما لها . وأمر ألا يتخاف أحد من الروم ، وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية ! فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته وكفى المسلمون مؤنته . وكان موته في سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه الى الإسكندرية .^(٥)

(١) راجع ما ذكره بتلر في فتح العرب لمصر ص ٢٥٧ — ٢٥٩

(٢) ص ٢١٨ (٣) الخطط للمقرئزي ج ١ ص ٢٢٤

(٤) فتح العرب لمصر ص ٢٠٩ (٥) فتوح مصر (ليدن) ص ٧٦

وبعد أن روى ذلك ابن عبد الحكم أردفه بقوله : حدّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، قال : مات هرقل في سنة عشرين ، وفيها فتحت قيسارية الشام^(١) .

وهذه الرواية تطابق قول ابن اسحاق الذى نقله الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك ، ونصه : كان فتح قيسرية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر فى سنة عشرين . قال : حدّثنا بذلك ابن حميد ، حدّثنا ابن سلمة عنه^(٢) . واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية وقتلوهم قتالا شديدا .

وجاء فيما رواه ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب أنه قال : أقام عمرو بن العاص محاصر الإسكندرية أشهراً ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال : ما أبطؤا بفتحها إلا لما أحدثوا^(٤) .

وقال : ويقال أن عمرو بن العاص استشار مسالمة بن مخلد ، فأشار عليه أن يعقد لمعبادة بن الصامت على الناس فيكون هو الذى يباشر القتال فعقد له وولاه القتال ، ففتح الله على يده الإسكندرية . ولم يرد فى الروايات العربية أن عمرا عاد الى بابلون قبل الفتح كما زعم بتلر .

حديث الصالح من رواية الطبرى :

أورد الطبرى حديثا مفصلا أسنده الى زياد بن جزة الزبيدى . وقد ذكر فيه : أنه كان فى جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية ثم قال : ولما افتتحنا بابلون تديننا قرى الريف ، فيما بيننا وبين الإسكندرية

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٥

(١) ص ٧٦

(٣) فتوح مصر (ليدن) ص ٧٦ (٤) الكتاب السابق ، ص ٧٨ و ٧٩

قوية فخرية حتى اتهمنا الى بلهيب ، أرسل صاحب الإسكندرية ، (ولم يذكر
اسمه ^(١)) الى عمرو بن العاص : انى قد كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض
الى منكم معشر العرب ، لفارس والروم ؛ فان أحببت أن أعطيك الجزية على
أن ترد على ما أصبتم من سبايا أرضى فعلت ، فبعث اليه عمرو
ابن العاص : ان ورأى أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فان شئت
أن أمسك عنك وتمسك عنى ، حتى أكتب اليه بالذى عرضت على ،
فان هو قبل ذلك منك قبلت ؛ وان أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره .
فقال : نعم . فكتب عمرو الى عمر ، وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به ،
يذكر له الذى عرض عليه صاحب الإسكندرية ، وفي أيدينا بقايا من
سبيهم ، ثم وقفنا بلهيب وأقمنا نتظر كتاب عمر ، حتى جاء فقرأه علينا عمرو ،
وفيه : ” أما بعد ، فانه جاء فى كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية
عرض أن يعطيك الجزية ، على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه .
ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب الى من فى
يقسم ، ثم كأنه لم يكن ، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك
الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين
قومه ؛ فن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم .
ومن اختار دين قومهم ، وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه . فأما

(١) الظاهر أن المقوقس بعد أن ترك جزيرة الروضة ، أقام بالإسكندرية بعيداً عن التداخل
فى الوقائع بين العرب والروم . وقد يظن أن المراد بصاحب الإسكندرية قيرس البطرك ، لأننا
سنرى أن كتاب حنا النقيوسى فيه : أن قيرس بطرك الإسكندرية حصل على تفويض من هرقل
لعقد الصلح . ولكن هذا ينافيه قول صاحب الإسكندرية : انى قد كنت أخرج الجزية الى من
هو أبغض الى منكم معشر العرب لفارس والروم ؛ فان هذا القول يشير الى عصر سابق على مجيء قيرس
الى مصر .

من تفرق من سيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن ، فانا لا نقدر على ردهم . ولا نحب أن نصلحه على أمر لا نفي له به . ” فبعث عمرو الى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين . فقال : قد فعلت ، فجمعنا ما في أيدينا من السبايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين نفتح القرية ثم نحوزه اليها ، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه اليهم . ووضعنا عليه الجزية وجزعنا من ذلك جزعا شديدا حتى كأنه رجل خرج منا اليهم ، فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم . وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مریم عبد الله بن عبد الرحمن وقد أدركته وهو عريف بن زبيد فوقفنا فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ، وأبوه وأمه وإخوته في النصارى ، فاختر الإسلام فجزاه اليها ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شققوا عليه ثيابه ، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى . ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها ^(١) .

تاريخ الفتح :

قال الكندي : حاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة . وهو الفتح الأول ^(٢) .

وقد أثبت المرحوم محمد مختار باشا اللواء المصري تاريخ الفتح في كتاب التوفيقات الالهامية ، في يوم الجمعة أول جمادى الآخرة سنة عشرين هجرية (١٨ من مايو سنة ٦٤١ ميلادية) ، وبعد العصر ^(٣) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٧ (٢) كتاب ولاية مصر ص ٩

(٣) ص ١٠

وقال الكندي : ويقال بل فتحها عمرو مستهل سنة إحدى وعشرين ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ^(١) . وقال القضاعي عن الليث : أقام عمرو بالإسكندرية في حصارها وافتتاحها ستة أشهر ، ثم انتقل الى القسطنطينية فاتخذها داراً في ذي القعدة ^(٢) .

قال ابن عبد الحكم : فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الإسكندرية ، وهرب الروم في البر والبحر ، خلف عمرو بن العاص بالإسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر ، فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الإسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص ففكر راجعاً ففتحها وأقام بها . وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ان الله فتح علينا الإسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد ، فكتب اليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ويأمره ألا يجاوزها . قال ابن طيعة : وهو فتح الإسكندرية ^(٣) الثانية . وذكر ابن عبد الحكم سبباً آخر للفتح نكتفى بالإشارة اليه .

وقال المقرئ في الخطط عند « ذكر فتح الإسكندرية » : كان حصار الإسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك . وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة إحدى وعشرين ^(٤) .

ولما أعاد الأستاذ جاستون فيث طبع الخطط بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى بمصر ، أثبت هذا القول بلفظه ، إلا أنه أسقط من تاريخ الفتح

(١) كتاب ولاية مصر ص ٩

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٨٠ و ٨١ يلاحظ أن المقرئ أطلق أيضاً على فتح الإسكندرية في عهد عمر « الفتح الأول » . وقال عن فتحها في خلافة عثمان بعد انتقاض الروم ،

« الفتح الآخر » ج ١ ص ١٦٨ و ٢٨٦ (٤) الخطط للمقرئ أول ص ١٦٥

كلمة « احدى » فصار « لمستهل المحرم سنة عشرين »^(١) ، وعلق على ذلك بما معناه : « ان هذا التاريخ وارد في النسخ الخطية سنة « احدى وعشرين » ؛ ولكنه رأى من اللازم أن يساير ابن عبد الحكم ويغفل مانص عليه في النسخ الخطية لأن مستهل المحرم سنة ٢١ يوم الاثنين ، كما أن مستهل المحرم سنة ٢٠ يوم الخميس . ولما كان هذا الخبر مرويا عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ، فمن الواجب أن يكون منسجما مع الأحاديث الأخرى المروية عنهما ، فقد روى لهما ابن عبد الحكم كما تقدم أن "موت هرقل في سنة تسع عشرة" ، ويترتب عليه أن يكون فتح الإسكندرية بعد تسعة شهور من هذا التاريخ . على أنه لا يشك في أن هذا القول لا ينسجم مع قول الليث بن سعد : "مات هرقل في سنة عشرين" . ولكن قول الليث عار عن الإسناد وفيه غموض ورواية ابن عبد الحكم واضحة .

وهو تعليق مقبول في ظاهره ، إلا أن العمل به يؤدي الى نقض القول الصحيح وإثبات غيره . وحقيقة الأمر أن ابن عبد الحكم ذكر موت هرقل في سنة تسع عشرة عن يحيى وخالد ولم يقف عنده كأمر مقطوع به ، وإنما أردفه بما يصححه وهو قوله : "حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : "مات هرقل في سنة عشرين ، وفيها فتحت قيسارية الشام"^(٢) وهو قول صحيح أيده الدكتور بتلر .^(٤) وليست هذه أول مرة يذكر فيها

(١) كتاب المواعظ والاعتبار طبع سنة ١٩٢٢ ، المجلد الرابع ص ١٥١

(٢) الكتاب السابق بذيل الصفحة نفسها رقم ٧ من المجلد الرابع .

(٣) فتوح مصر (لندن) ص ٧٦

(٤) ويوافق ماورد عن تاريخ وفاته في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى (في ترجمته)

وهو ١١ فبراير سنة ٦٤١ م .

ابن عبد الحكم رواية ، ثم يستدرك عليها بقول آخر يصححها ، بل وقع له مثل ذلك في روايات أخرى كما بينا بعضه في غير هذا الموضوع .

ولو أبقى جناب الأستاذ قيت الشطر الأخير من ذلك النص حسب وروده في النسخ الخطية : ” وفتحت لمستهل سنة احدى وعشرين ” ونبه الى ما قاله الليث وغيره عن تاريخ وفاة هرقل ، لكان الانسجام تاما بين روايات ابن عبد الحكم كلها ، بل وروايات غيره . ولا أشك في أن الأستاذ الكبير يوافق على هذا .

وهناك دليل آخر وهو أن النص الذي رجح عند الأستاذ قيت ، وجوب تعديله ، وان أورده المقرئ في خطه ، وفيه تاريخ الفتح ” سنة احدى وعشرين ” ، فقد كان هذا المؤرخ الجليل حريصا على تأييد هذا التاريخ من وجه آخر ، فقال : وقال أبو عمرو الكندي : وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة ، وهو الفتح الأول ، ويقال : بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين ^(١) .

وهذا النص بأكمله وارد في كتاب ولاية مصر للكندي ^(٢) . وهو منقول عن نسخة خطية ترجع الى ما قبل سنة ٦٢٤ هجرية (١٢٢٧ م) ^(٣) . وليس هناك خطأ في رواية المقرئ لقوله : ” يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى وعشرين ” . لأنه من الجائز أن يكون المقصود في الرواية بقوله ” يوم الجمعة مستهل المحرم ” ، يوم الجمعة الواقع في الأيام التي يسمى فيها القمر هلالا في أول الشهر كما تقدم ، وهي الى سبع في الشهر . وقد تكون إضافة لفظ

(١) الخطط للمقرئ ج ١ ص ١٦٥ (٢) ص ٩

(٣) كتاب ولاية مصر ص ٤٧ من مقدمته باللغة الإنكليزية .

الجمعة روعي فيها قول عمر رضى الله عنه، فى كتابه لعمر بن العاص الذى أورده ابن عبد الحكم فى الفقرة السابقة: ”ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فانها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة، وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم . الى قوله : ”ففعولوا، ففتح الله عليهم“ .

ومما يسترعى النظر أن الكندى لم يذكر ”يوم الجمعة“ لما قال : ان الفتح كان لمستهل المحرم^(١) .

واذا ضبطنا حساب المدة وهى تسعة أشهر منذ موت هرقل وهو يوم الأحد ٢٣ من صفر سنة ٢٠ هجرية (١١ من فبراير سنة ٦٤١ ميلادية) نجد فتح الإسكندرية يقع قبل مستهل المحرم سنة ٢١ بشهر . وهذا الفرق غير جوهري لأن النص على التسعة الأشهر قد يكون تقريبا . وسنرى فى تطبيق ستانلى لين پول لهذا النص أنه تجاوز عن مثل هذه المدة . ولما حسبنا الشهور الخمسة السابقة لموت هرقل وجدناها ترجع الى وقت التجاء الروم الى جزيرة مصر وحصرهم فيها ، وقطع الجسر (سبتمبر — أكتوبر سنة ٦٤٠ م) : كأن صاحب الرواية اعتبر حصار الإسكندرية من هذا التاريخ الذى هو فى الحقيقة أول الدور الثانى من فتح مصر ، وكانت الإسكندرية هى الهدف الأصيل .

وفى كتاب حنا النقيوسى : ان قيرس بطرك الإسكندرية سافر الى القسطنطينية ثم رجع وبيده تفويض من هرقل ينحوله عقد الصلح مع عمرو

(١) كتاب ولاية مصر ص ٩ راجع فيما يتعلق بتسمية الهلال « المنجد » ص ٩٥٩

(٢) فتح العرب لمصر للدكتور بتلر ص ٤٧٤ و ٤٨١ و ٤٨٢

ببابلون . وقد قبل فيه جزية شهرية على أهل الإسكندرية وإبقاء العرب تحت يدهم ١٥٠ نفرا من جند الروم و ٢٠ من الأهالي ؛ وأن يتعهد المسلمون بالمحافظة على الكنائس وألا يتدخلوا في شئون النصارى وكأئسهم ؛ وأن يسمحوا لليهود بالإقامة في الإسكندرية ؛ وأن يبقى المسلمون مدة أحد عشر شهرا على مسافة من المدينة حتى ينتهى جلاء الروم منها . وتم الصلح على هذه الشروط في أوائل نوفمبر من سنة ٦٤١ ميلادية (أوائل ذى القعدة سنة ٢٠ هجرية) ، ثم أبحر الروم في ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ ميلادية (الثلاثاء ١٦ من شوال سنة ٢١ هجرية)^(١) .

ويظهر أن هذه المفاوضات هي التي قيل أن صاحب الإسكندرية عرض فيها على عمرو وضع الجزية . وعلى أى حال لم يرد في الروايات العربية حصول مفاوضات بين العرب وقيرس .

وقد بحث ستانلى لين بول عن سبب إطلاق اسم بابلون على موضع المفاوضات فقال : لا يبعد أن يكون الأصل بلهيب وحره النساخ بابلون ، والا يكون رؤى عند كتابة التفويض وجوب توقيع المعاهدة في الجهة التي امتنع فيها الروم عن عقدها أول مرة^(٢) .

(١) ستانلى لين بول . تاريخ مصر ص ١١ ملحوظة (A History of Egypt under the Saracens)

ورود في كتاب فتح العرب لمصر أن لعقد كتب في الثامن من شهر نوفمبر سنة ٦٤١ وأن حنا النقيوسى ذكر أن الهدنة عقدت لنحو أحد عشر شهرا تنتهى في أول شهر باه القبطى الموافق للثامن والعشرين من شهر سبتمبر سنة ٦٤٢ وقال بتلهذا أمام أحد عشر شهرا من الشهور القمرية . وهي أقل إذا حسبنا بشهور الروم ، ص ٢٧٧ و (٢) بذيل الصفحة .

(٢) ستانلى لين بول ، تاريخ مصر ص ١١ رقم ١

ومن رأبي أن ذلك يرجع الى أن البطرك وهو بالقسطنطينية لم يكن في وسعه معرفة المكان الذي يكون فيه عمرو عند رجوعه ، فأثبت في التفويض بابليون وهو الموضع الذي اتخذه عمرو مقرا له بعد فتح مصر .

ويلاحظ في رواية حنا النقيوسى أنها تقرب من الرواية العربية الثانية فيما يتعلق بسنة الفتح وتجعلها راجحة على غيرها .

ومات قيرس البطرك في يوم ٢١ من مارس سنة ٦٤٢ ، وقد استنتج ستانلى لين پول تاريخ وفاته من قول حنا النقيوسى ، إنه مات في ٢٥ مجايبت أى يوم الثلاثاء السابق لعيد القيامة ، وقال : من ذلك يثبت أن آخر احتفال بعيد القيامة لهذا البطرك ، وقد خصه حنا النقيوسى بالوصف ، كان احتفال سنة ٦٤١ ، وعلى ذلك تكون المفاوضات التى حصلت على يد قيرس بتفويض من هرقل في سنة ٦٤١ لا سنة ٦٤٢ ، ثم قال : وهناك دليل آخر رواه مؤرخو العرب ، وهو أن الإسكندرية سلمت بعد تسعة أشهر من موت هرقل ، وبما أنه مات في ١١ من فبراير سنة ٦٤١ ، والشهر التاسع يوافق (أكتوبر — نوفمبر) ، فتكون نهاية المهلة المحددة بأحد عشر شهرا التى تبدئ من هذا التاريخ توافق ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ ، واعتمادا على ذلك قزر : أن التاريخ المتواتر في الروايات العربية ، وهو مستهل المحرم سنة ٢٠ هجرية (٢١ من ديسمبر سنة ٦٤٠) باطل فيما يتعلق بالشهر . أما سنة ٢٠ التى عينها أقدم الرواة كابن إسحاق والواقدى ، ونقلها عنهما الطبرى (ص ٢٢٦) لفتح بابليون والإسكندرية فانها تتفق مع التاريخ

(١) صحته ٢٢ من ديسمبر .

المرقوم ، كما أنها تتفق مع قول ابن عبد الحكم إن الإسكندرية افتتحت في السنة الثامنة من خلافة عمر بن الخطاب ، وهذه السنة تتبدى في منتصف سنة عشرين هجرية^(١) .

ولى على هذا الاستنباط استدرا كان : الأول إن المدة المحصورة بين وفاة هرقل وبين يوم ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ الذى اعتبره نهاية المدة المحددة للجلاء هى تسعة عشر شهرا وستة أيام ، أى أنها تنقص عن المجموع الذى يتكوّن من التسعة الأشهر التالية لموت هرقل والأحد عشر شهرا مدة المهلة التى ذكرها حنا النقيوسى ، لأن مجموع المدتين عشرون شهرا .

وعلى ذلك يكون ستانلى لين بول ، للوصول الى النتيجة التى أرادها وبالتوفيق بين العشرين شهرا وبين يوم ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ الذى ذكره حنا ، أغفل ٢٤ يوما من المجموع الذى يقتضى أن تكون نهاية العشرين شهرا التى تم فيها الجلاء عن الإسكندرية ١١ من اكتوبر سنة ٦٤٢ لا ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ .

والفرق بين نهاية التسعة الأشهر وتاريخ الفتح الذى جاءت به الروايات العربية وهو مستهل المحرم سنة ٢١ ، شهر^٢ . لذلك أرانى متمسكا بقولى إن التسعة الأشهر والأحد عشر شهرا ، لم تكن إلا تقديرا تقريليا . ولا يصح الاعتماد عليها لنقض التاريخ الوارد فى الخبر المسطور .

(١) ستانلى لين بول تاريخ مصر ص ١٣ (ملحوظة) . وقد بحث عن الموضوع الذى ذكر فيه ابن عبد الحكم هذا القول فى كتابه فلم أعر عليه .

والاستدراك الثاني : أن تاريخ أول نوفمبر من سنة ٦٤١ الذي ذكره حنا النقيوسي ونقضه أيضا ستانلي لين بول ، لم يقل عنه حنا إلا أنه تاريخ التوقيع على المعاهدة ، وقد تم في بلهيب أو بابلون . ولا ضرر من أن نتساهل ونعتبره صحيحا ؛ لأن المدة المنحصرة بينه وبين يوم ١٠ من ديسمبر سنة ٦٤١ (مستهل المحرم سنة ٢١) ، قد تكون انقضت في انتقال عمرو الى الإسكندرية وإتمام الإجراءات التمهيدية التي تسبق التسليم وتضمن تنفيذ المعاهدة ؛ وخاصة اذا كان الفتح تم بالمصالحة . ويؤيد هذا الاحتمال القسم الأخير من حديث ابن جرير الزبيدي ، لأنه صريح في أنه كانت هناك مفاوضة بين عمرو وبين صاحب الإسكندرية ، كتب عنها عمرو لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأقام بلهيب ينتظر أمر عمر ، ثم جاء أمر عمر بالمصالحة على الجزية ، وبعث عمرو الى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين ، فأجابه بقوله : قد فعلت . ثم نظر في أمر السبايا ووضعت الجزية ثم فتحت الإسكندرية للمسلمين فدخلوها ، وانتقل عمرو الى مصر في ذى القعدة وأخبر عمر بفتح الإسكندرية فسجد وقال : الحمد لله .

وفي أكثر الروايات أن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد^(١) ، وأن أهلها كانوا يؤدون الخراج والجزية ، على قدر ما يرى من وليهم ، لأنهم لم يكن لهم صلح ولا ذمة .

قال الليث عن يزيد بن أبي حبيب : مصر كلها صلح إلا الإسكندرية^(٢) فانها فتحت عنوة .

(٢) فتوح مصر (لیدن) ص ٨٤

(١) فتوح مصر (لیدن) ص ٨٤

وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد : ففتح الله أرض مصر كلها بصلح
غير الإسكندرية وثلاث قرى ؛ سلطيس ومسيل وبلهيب . ^(١) ظهرت
الروم على المسلمين في جمع كان لهم ؛ فلما ظهر عليها المسلمون استحلوهم
وقالوا : هؤلاء لنا فيء مع أهل الإسكندرية ، فكتب عمرو بن العاص بذلك
الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فكتب اليه عمر أن يجعل الإسكندرية
وهؤلاء القرى ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ؛ ويكون
خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين ؛ لا يجعلون فيئا ولا عبيدا
ففعلوا ذلك . ^(٢)

وقد ورد في حديث زياد بن جزء الزبيدي أنه قال : من زعم ... أن
الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد ، فقد
والله كذب . قال القاسم : وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا
يكتبون الى أمراء مصر ؛ أن مصر إنما دخلت عنوة ، وإنما هم عبيدنا نزيد
عليهم كيف شئنا ونصنع ما شئنا . ^(٣)

(١) ووردت في رواية "صا" بدلا من مسيل (الخطط للقريري ج ١ ص ١٦٦) .
وذكرها ياقوت في معجم البلدان بلفظ "مصيل" وقال : "من قرى مصر كانوا من أعانوا
على عمرو بن العاص فسباهم وحملهم الى المدينة فردهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على شرط
القبط ؛" (ثامن ص ٨١) .

وهي ضمن الحوف الغربي وتنسب اليها كورة مصيل . ووردت في كتاب تحفة الارشاد باسم
محلتي الشيخ ومصيل ؛ وقد اندثرت ومكانها اليوم يعرف بالكوم الأحمر الواقع على بعد سبعة
كيلو مترات من الجنوب الغربي لبلدة العطف إحدى قرى مركز المحمودية بمديرية البحيرة . وأما
صا فهي البلدة التي تعرف اليوم باسم صا الحجر بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية .

(٢) فتوح مصر (ليدن) ص ٨٧

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٧

بحث في تواريخ الفتح ومراجعة أقوال الدكتور بتلر عنها :

يوافق الدكتور بتلر على أن المفاوضات حدثت وقت الفيضان ، ولكنه يجعلها في أواخر سبتمبر ويؤخر الوقت الذي بدأ فيه الحصار ، فيقول : ان حدوث المفاوضات وقت الفيضان قد اتفق فيه الرواة ، وهذا الاتفاق غير مقصود ، فهو يدعو الى تصديق الخبر ويعزز صدق من ذكر من الرواة أن المفاوضات كانت بعد شهر من أول الحصار . وقال البعض : ان حدوثها بعد فتح الحصن . ولكن الذين يذهبون الى هذا الرأي الأخير فيهم مثل ياقوت والسيوطي يذكرون أن ذلك كان في وقت الفيضان ؛ وهذا خطأ إذ أنه ثبت بالاتزان أن أخذ الحصن كان في أوائل أبريل ، وهو وقت انحطاط النهر . وزعم أن الحصن لم يفتح إلا بعد موت هرقل ، وأن حملة العرب الأخيرة عليه كانت في يوم الجمعة السابق لعيد الفصح ، في اليوم السادس من أبريل سنة ٦٤١ وأن خروج الروم منه كان في يوم الاثنين وهو عيد الفصح ؛^(١) فيكون قد أحر تاريخ الفتح ثلاثة أشهر عما أجمع عليه المؤرخون . وقد حمل عليهم واتهمهم بأنهم غيروا في أخبار الفتح وبدلوا حتى خرجوا بها الى حد السخف . وقال : ان الحصن قاوم الى شهر أبريل سنة ٦٤١ ، وأن تلك الأقوال كلها وهم وتضليل وأعرب عن أسفه ، لأن كتاب حنا النقيوسي الذي نقل عنه سقطت منه محتويات الباب الخامس عشر بعد المائة ،^(٢)

(١) فتح العرب لمصر . ص ٢٢٢ (١) .

(٢) ورد أيضا في ذيل الصفحة ٢٠٥ من كتاب فتح العرب لمصر أن عنوان الفصل الخامس والستين من كتاب حنا هو : « كيف استولى المسلمون على مصر في السنة الرابعة عشرة من الدورة القمرية » ولكن لم يرد وصف للاستيلاء في ذلك الفصل ، ويقول بتلر : « وهذا مثل من مائة مثل مما يدل على نقص الكتاب وتغيير مواضع أخباره » .

وعنوانه : « كيف استولى المسلمون على مصر في السنة الرابعة عشرة من الدورة القمرية ، واستولوا على حصن بابلون في السنة الخامسة عشرة » . ثم يقول : ان الباب السادس عشر بعد المائة من الكتاب نفسه وارد فيه أن موت هرقل كان " في السنة الحادية والثلاثين من حكمه في الشهر المصرى " (يكاتيت) الذى يوافق الشهر الرومانى (فبراير) في السنة الرابعة عشرة من الدورة . وهى سنة ٣٥٧ للشهداء ، وأن الباب السابع عشر بعد المائة ورد فيه أن تسليم حصن بابلون كان في يوم الفصح (الإثنين) . وأن المقصود بالدورة القمرية ، الدورة الديونيسية Dionysien ، وكل منها تسعة عشر عاما ، وأنها هى التى كان يؤرخ بها في التقويم الدينى الخاص بالكنيسة ، وأن السنة الرابعة عشرة من الدورة القمرية تقع ما بين ٢٣ مارس سنة ٦٤٠ و ٢٢ مارس سنة ٦٤١ ، وكذلك السنة الخامسة عشرة من الدورة تبدأ من ٢٣ مارس سنة ٦٤١ وتنتهى في ٢٢ مارس سنة ٦٤٢ ^(١)

ويستنتج من ذلك :

(١) " أن مدينة مصر فتحت في السنة الرابعة عشرة من سنى الدورة القمرية المنحصرة بين ٢٣ مارس سنة ٦٤٠ وبين ٢٢ مارس سنة ٦٤١ " . وهذا لا يعارض قول مؤرخى العرب . وإنما يؤيد أن مصر فتحت في يوم الجمعة ، مستهل المحرم سنة ٢٠ ؛ لأنه يوافق يوم ٢٢ من ديسمبر سنة ٦٤٠ ميلادية ، ويقع خلال الدورة المذكورة ولا يتجاوزها .

(٢) " أن العرب استولوا على حصن بابلون في السنة الخامسة عشرة من سنى الدورة القمرية المنحصرة بين ٢٣ مارس سنة ٦٤١ وبين ٢٣ مارس

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٧٢ — ٤٧٤

سنة ٦٤٢ في يوم الإثنين (الفصح) أى في ٩ أبريل سنة ٦٤١، وأننا مع
التجاوز عن مناقشة الدكتور بتلر في أن أقواله مبنية على عنوان بعض أبواب
من كتاب حنا النقيوسى لم يعثر على تفصيلها، نلاحظ أنه يذهب الى وجود
فتحين مميزين بعضهما عن بعض : فتح مدينة مصر، وفتح الحصن، وهو
ما لم يقل به أحد من مؤرخى العرب قطعياً . ولا شك في أنه مبنى على خطأ
في كتاب حنا النقيوسى، نشأ من وضع حصن بابليون بدلا من « حصن
الإسكندرية »، لأن فتح الإسكندرية الأول كما سنذكره، كان في يوم الجمعة
أول جمادى الآخرة سنة ٢٠ (١٨ مايو سنة ٦٤١)، وهناك ظاهرة قوية
في قول بتلر، تدل على أنه وهو يذكّر فتح حصن بابليون في ٩ من أبريل
سنة ٦٤١ يلجأ الى مؤرخى العرب لتأييد قوله، فيقول وهو يتكلم عن حصن
بابليون : " هذا اليوم " هو تاريخ " فتح مصر "، أو عبارة أصح : تاريخ
فتح مدينة مصر . وأوثق المؤرخين يعملون ذلك في سنة ٢٠ للهجرة كما ذكره
المقرئى . ومن بين هؤلاء الثقة ابن قتيبة، وابن بطريق، وياقوت،
وأبو المحاسن، وابن كثير، والواقدى، وأبو معشر... الخ، على أنهم يتفقون
جميعا في قصدهم من عبارة " فتح مصر "، فبعضهم يعنى بها حصن بابليون
وبعضهم يقصد بها فتح الإسكندرية، وأن الطبرى يجعل فتح بابليون
في ربيع الثانى سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ مارس - ١٧ من أبريل سنة ٦٤١)
وعلى ذلك فهو متفق كل الاتفاق على ما جاء في كتاب حنا النقيوسى .

وانى أوافق الدكتور بتلر على قوله : أن المؤرخين الثقة أجمعوا على أن
مصر فتحت في سنة ٢٠ للهجرة، ولكنى مع ذلك أقول بأن هناك مغالطة
مكشوفة في كلامه لا تحتاج الى إمعان فى البحث أو تفسيرات جديدة كالتى

تقابلنا في كل خطوة من كتابه ، لأنه ينسب في بيانه المتقدم الى الطبرى أنه جعل فتح بابلون في ربيع الثانى سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ مارس - ١٧ من أبريل سنة ٦٤١) ، وهذا الزعم باطل وغير صحيح ، لأن الطبرى لم يقل أبدا ان مصر فتحت في ربيع الثانى من سنة ٢٠ للهجرة ، وإنما روى عن سيف قوله : ” ان مصر افتتحت والإسكندرية في ربيع الأول من سنة ست عشرة “ . وقد تكررت هذه الرواية في كتابه مرتين ^(١) وقال في الأولى : وأما سيف فانه زعم فيما كتب به الى السرى عن شعيب عن سيف ... الخ . فكان ايراده للرواية ، على أنها زعم لا كأمر متيقن منه . أما خبر الفتح فقد أورده هذا المؤرخ الكبير كغيره في حوادث سنة ٢٠ هجرية ، وهو دليل قاطع بأنه التاريخ المعتمد عنده .

وزيادة على ذلك جاء في تاريخ الطبرى صريحا : ” أن فتح بابلون كان سابقا على الزحف على الإسكندرية ، وأن ارتقاء الزبير رضى الله عنه على السور وفتح الحصن كان سابقا على توقيع كتاب الصلح “ . وإذن لا يبقى مجال لقول الدكتور بتلر : ان الروم والعرب اتفقا على أن تبقى الجيوش حيث هى الى أن يجيء ردهم قتل ، ولا سيما الحصن على أن يبقى مع الروم الى أن يقتلهم قتل الصلح ^(٢) . لأن هذا القول لم يسند بأى رواية أو دليل مقنع . وقد سبقه اعتراف منه قال فيه : ” وهنا ينسدل ستار على الحوادث كما يحدث في كثير من الأحيان في تاريخ هذا العصر ، فلم يبق لنا إلا أن نتلمس

(١) تاريخ الأمم والملوك ، ” المطبة الحسينية “ ج ٤ ص ٢٢٦ و ٢٣٠ وطبعة ليدن

ج ٥ (القسم الأول) ص ٢٥٩٢

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٢٩

ما كان وتحسس أخباره من وراء ذلك الستار^(١) . وقال : ونحن مضطرون
للاعتقاد عليهم (يعنى كتاب العرب) وحدهم ، لأن كتاب حنا لا يرد فيه شيء
عن ذلك^(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فلم هذا التحوير والتغيير في الروايات
المسندة .

ومن الغريب أنه رغم هذا الاعتراف ، يذهب الى التصرف في أخبار
الوقائع بالطريقة المتبعة في الروايات والقصص ويقرر ما يخالف الأقوال
المتواترة المسندة الى الرواة ، ويأتى من عنده باستنتاجات غريبة للتخطئة
والتكذيب وإضعاف الثقة بهؤلاء الرواة .

على هذا السياق أفرد بابا عنوانه : « تواريخ الفتح العربى » تكلم فيه عن
المراجع الكبرى اليونانية والسورية والأرمنية ، فقال عن المراجع اليونانية :
إنها لا قيمة لها ، وإن مؤرخى السوريين والأرمن لا يفضلون اليونانيين .
وقال عن العرب : إنهم مثل اليونانيين فى إغفال ذكر الحوادث والخلط
والتناقض ، وإن درس كتبهم وإن لم يخل من فائدة فإن بينهم خلافا عظيما .
ومن الواضح أنه لا يمكن التوفيق بينهم فيه .

واستعرض كبار المؤرخين واحدا واحدا ، وذكر ما قال كل منهم عن
تواريخ الفتح وناقشه وزعم أن المؤرخين حتى أقدمهم من الذين كتبوا بعد
الفتح بمائتى عام وجدوا أن أخبار الفتح غير جلية ؛ وقد نسى ترتيب الحوادث
فيها . وقد رأيت أن أراجع ذلك لأعلم مدى الاختلاف الذى نسبه لكل

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٢٧

(٢) فتح العرب لمصر ص ٢٢٧ (١) .

منهم ، وهل هو حقيقة من الأهمية بحيث يتعذر التوفيق بينه وبين ما أورده غيره ؟

استعراض أقوال كبار المؤرخين عن تواريخ الفتح ووقائعه :

محمد بن اسحاق المتوفى في سنة ١٥١ هجرية (٧٦٨ - ٦٩ م) -

حديث مداهمة جيش عمرو في صلاة الجمعة :

قال : انه بعد فتح الشام في سنة سبع عشرة^(١) ، كتب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ، يأمره بأن يوجه عمرو بن العاص بعسكره الى مصر . وذكر محادثة بين المقوقس وقيس ابن سعد في أواخر شعبان ؛ ولم يعين السنة ، وقال : ان ارسطوليس بن المقوقس سم أباه فمات في رمضان^(٢) . وقد أثبت المرحوم اللواء محمد مختار باشا في كتابه « التوفيقات الإلهامية » في توقيعات شهر شعبان سنة ١٩ من الهجرة كما تقدم أنه : ” في أواخر هذا الشهر ، كانت مكاملة المقوقس صاحب مصر لقيس بن سعد مندوب عمرو بن العاص ، وفي أوائل رمضان من السنة المذكورة قتل ارسطوليس بن المقوقس والده وأقام نفسه بدله وأخفى الأمر من العامة^(٣) ” . والمتبادر أن ما ذكره المرحوم محمد مختار باشا مصدره كتاب ابن اسحاق . وقد تكون قصة قتل المقوقس مصدر الخبر الذى رواه البلاذرى بأن المقوقس مات قبل غزاة الإسكندرية^(٤) .

(١) فتوح مصر وأعمالها ص ٣

(٢) فتوح مصر وأعمالها ص ٦

(٣) فتوح مصر وأعمالها ص ٢٣ والتوفيقات الإلهامية ص ١٠

(٤) فتوح البلدان ص ٢٢٣

وقال ابن اسحاق : ان عمرو بن العاص ومن معه كانوا يصلون الجمعة فدهمهم ٤٠٠٠ مقاتل وهم ساجدون في الركعة الثانية، وقتلوا منهم أربعمائة وستة وثلاثين رجلا ، وسلم عمرو مع الباقين ، ولم ينج من المهاجرين نفر واحد . وقد ذكر المرحوم محمد مختار باشا هذا الخبر في توقيعات سنة ١٩ أيضا . وقال : ان هذه الواقعة حدثت في ٢٢ رمضان من تلك السنة^(١) . وقد أثبتنا هذا الخبر على علته وان كما لا نميل الى تصديقه .

وذكر ابن اسحاق « قصر الشمع » وقال : سمي بذلك لأنه كان لا يخلو من الشمع^(٢) . وقال : ان عمرا بعد فتح القصر واستلامه ، عمد الى كنيستهم فعملها جامعا يعرف الى يومنا هذا بجامع عمرو بن العاص^(٣) . وقد ذكر ابن اسحاق هذه الكنيسة في موضع آخر ، وقال ان اسمها « دير باليس » وقال وهي الجامع اليوم^(٤) . وذكر وقائع الفتح ، وقال : انها وقعت مع جيش القبط .

وقد ذكر ابن خلكان « ابن اسحاق » ، في وفيات الأعيان ، قال : وكان محمد المذكور ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء ، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته^(٥) .

(١) فتوح مصر وأعمالها ص ٣١ — ٣٥ والتوقيعات الالهامية ص ١٠

(٢) فتوح مصر ص ٢٦ (٣) فتوح مصر ص ٩٢

(٤) فتوح مصر ص ٢٦ و ٢٧ ؛ ومن المفهوم أن هناك خطأ ؛ لأن دير باليس محرف ولا شك عن « دير بولص » ، وهو دير صغير قائم على غور بين الأطلال التي في جنوب الحصن ؛ وقد ذكره الدكتور بتلر ص ٢١٧ (٢) .

(٥) ج ١ ص ٦١٢

وقال شمس الدين السخاوى: "وأما المغازى فمن أشهرها كتاب محمد بن اسحاق، وكان يأخذ من أهل الكتاب^(١)". وقد روى الطبرى عنه كثيرا فى تاريخه؛ وما رواه من مصدر غير المغازى.

محمد بن عمر الواقدى (١٣٠-٢٠٧ هجرية = ٧٤٧-٨٢٣ م):
نشر مستر هنريك كتابه «فتوح مصر والإسكندرية» على حدة بليدن فى سنة ١٢٤١ من الهجرة (١٨٢٥ م). وطبع بمصر ضمن كتاب «فتوح الشام» للواقدى نفسه بالمطبعة الكاستلية فى سنة ١٢٨٢ هـ ص ٥٧ - ٨٩

ومراجعة ما طبع من الواقدى على كتاب فتوح مصر لابن اسحاق ظهر انهما كتاب واحد، مع وجود تحريف فى بعض العبارات وزيادة نحو صفحة ونصف فى كتاب ابن اسحاق، كما يتبين من مراجعة الصحف ٥٩ و ٦٨ و ٨٠ من هذا الكتاب الأخير على الصحف ٩٣ و ١٠٧ و ١٤٣ من الكتاب الأول

وفى الواقدى^(٢) ذكر، أن مخاطبة المقوقس لقيس بن سعد كانت فى أواخر شعبان سنة عشرين من الهجرة، وقد زيدت كلمة «عشرين» خطأ، وهى غير موجودة فى ابن اسحاق.

ومما يلاحظ أن الواقدى يصرح فى كتابه بأنه نقل عن ابن اسحاق الأموى المعتمد عليه فى فتوح أرض مصر، لأن أصحاب السير اشتغلوا بوقائع العراق وفارس وفتوحهما، وتركوا فتوح الشام وأرض مصر الى ما بعد، وكان

(١) تمييز الطيب من الخيىث ص ١٩٨. وفى المعارف لابن قتيبة عن المعتز، قال، قال أبى: لاناخذن من ابن اسحاق شيئا فانه كذاب، ص ٢١٥ (٢) طبع مصر ج ٢ ص ٧٠

قد ارتج عليهم شيء يسير من الوقائع فتركوه لأجل الزيادة والتقصان فيه ؛
وانما تفرد به ابن اسحاق لأنه أخذه عن مشايخ ثقات وثق بهم^(١) ...
باختصار .

وقد ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان فقال : ” كان إماما عالما له
التصانيف في المغازي وغيرها... وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه ”^(٢) .
وقال السخاوي : وقد قال الشافعي : كتب الواقدي كذب^(٣) .

عبد الرحمن بن عبد الحكم ، ولد حوالي سنة ١٨٧ هجرية
(٨٠٢ - ٣ م) وتوفي في سنة ٢٥٧ (٨٧١ م) :

تضمنت رواياته بعض بيانات ساعدت على تعيين شطر من تواريخ
الفتح . من ذلك ؛ قوله : ان عمرا طلب من عمر أن يأذن له بالسير الى مصر ،
وعمر بالجابية في رواية ؛ وبعد فتح الشام في رواية أخرى .

وقوله : ان عمرا وصل الى العريش في يوم النحر . ولما كانت سنة
سبع عشرة هي التي كان فيها عمر بالجابية وتم فيها فتح الشام ، فيكون يوم
النحر المذكور هو يوم ١٠ من ذي الحجة سنة ١٨ هجرية .

وقوله : وكان مكث المسلمين على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر .
وقوله عن المقوقس وجماعة من أكابر الأقباط : وخرجوا من باب
القصر القبلي وتركوا به جماعة يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة (جزيرة
الروضة الآن) وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل^(٤) .

(١) فتوح مصر وأعمالها ص ١٢

(٢) ج ١ ص ٦٤٠

(٣) تمييز الطيب من الخبيث ص ١٩٨

(٤) الخطط للقرنيزي ج ١ ص ٢٩٠

وقوله : فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو جرائد الخيل الى القرى التي حولها فأقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها .

وقوله : وكان حصار الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل ونحسة أشهر قبل ذلك .

وقد ذكر ابن خلكان ، عبد الرحمن بن عبد الحكم في وفيات الأعيان ، في ترجمة أبيه ، فقال : وكان لأبي محمد المذكور ولد آخر يسمى عبد الرحمن من أهل الحديث والتواريخ صنف كتاب فتوح وغيره .^(١)

ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م) :

قال : كانت واقعة بابلون سنة عشرين ؛ وأميرها عمرو بن العاص . وقال : وأما مصر ففتحت صلحا على يدي عمرو بن العاص .^(٢)

وذكر إبراهيم ابن مارية القبطية وذكر المقوقس ، فقال : ملك الإسكندرية .^(٣)
^(٤)

البلاذري المتوفى في سنة ٢٧٩ هجرية (٨٩٢ - ٩٣ م) :

روى أن عمر كتب الى عمرو بن العاص يأمره بالشخص الى مصر فوافاه كتابه وهو محاصر قيسارية . وقال : وقالوا : وكان مسير عمرو الى مصر في سنة تسعة عشرة (وهي تبدأ في ٢ يناير سنة ٦٤٠) فنزل العريش .^(٥)
وقال : ومضى عمرو قدما الى الفسطاط (بعد الانتهاء من أم دنين).^(٦)

(٢) المعارف ص ٧٩

(١) ج ١ ص ٢١٢

(٤) الكتاب المذكور ص ٦٢

(٣) المعارف ص ٦١ و ٦٢

(٦) فتوح البلدان ص ٢١٤

(٥) فتوح البلدان ص ٢١٤

وقال : ولم يلبث عمرو وهو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير ابن العوام^(١) . وروى مسندا الى أسامة بن زيد عن أبيه عن جدّه : أن عمرو ابن العاص فتح مصر في سنة عشرين ومعه الزبير . وقال : وفتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه^(٢) .

وروى أن عمرو بن العاص لما فتح الفسطاط وجه البعوث الى عين شمس والفيوم والأشمنين وإنجيم والبشروقات ، وقرى الصعيد وتينس ودمياط وتونة... الخ . فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط^(٣) . وقال : إن عمر أمر عمرا بالزحف الى الإسكندرية في سنة إحدى وعشرين (١٠ من ديسمبر سنة ٦٤١ — ٣١ من أكتوبر سنة ٦٤٢) .

وقد زعم الدكتور بتلر : أن البلاذري يذكر أن وقعة عين شمس وغزوة الفيوم كانتا بعد فتح حصن بابليون . وهذا القول إما أن يكون خطأ أو جيء به للغالطة ، لأن البلاذري لم يتعرّض في هذا الخبر لوقعة عين شمس ، وإنما قال : إن عمرا أرسل من أنابهم عنه الى جميع القرى بعد الفتح . فغلبوا على أرضها — أى وضعوا اليد عليها وصالحوا أهلها على مثل صلح بابليون — وصارت أرضها أرض نجاج^(٤) . ولم يكن ذلك إلا كإجراء تكميلي لمعاهدة الصلح التي تمت بين عمرو والمقوقس عن قبط مصر .

وروى خبرا لم يذكر قائله ، جاء فيه : أن عمرا لما انتهى الى الإسكندرية أرسل اليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة الى مدة فأبى عمرو وأشار المقوقس على أصحابه بالإذعان فأغلظوا له القول ، وأن عمرا فتحها بالسيف^(٥) .

(١) فتوح البلدان ص ٢١٤

(٢) فتوح البلدان ص ٢١٥ و ٢٢٠

(٣) فتوح البلدان ص ٢١٨

(٤) فتوح البلدان ص ٢١٨

(٥) فتوح البلدان ص ٢٢٢

الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠ هجرية = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) :

دؤن خبر فتح مصر فى سنة عشرين ثم ذكر أقوال ابن اسحاق وأبى معشر والواقدى ، والأخير عن ابن سعد وقد أجمعوا على أن مصر فتحت فى سنة عشرين . وقال : ان سيف زعم أنها فتحت فى سنة ست عشرة ^(١) . وروى له حديثا مسندا الى عمرو بن شعيب قال فيه : افتتحت مصر فى ربيع الأول سنة ست عشرة ^(٢) .

وذكر فتح الإسكندرية فقال : ان بعض الناس يزعم أنها فتحت فى سنة خمس وعشرين . وروى حديثا عن زياد بن جزء الزبيدى ، وكان فى جنده عمرو ، قال : افتتحنا الإسكندرية فى سنة احدى وعشرين أو سنة اثنتين وعشرين .

وقال : ان عمرو بن العاص خرج الى مصر بعد ما رجع عمر الى المدينة . وروى عن سيف أنه لما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رضى الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها . وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام فى البحر ونهد لأهل حمص بنفسه ؛ وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضى الله عنه .

وقد نسب الدكتور بتلر الى الطبرى أنه يذكر أن الأمر بفتح مصر بلغ عمرا فى أوائل سنة ٢٠ للهجرة (أواخر شهر ديسمبر سنة ٦٤٠) ؛ ويذكر أيضا أن فتح بابلون كان على وجه التعيين فى ربيع الثانى من السنة عينها ، وأن بين هاتين العبارتين لتناقضا ؛ فإن من المحال أن يكون حصن بابلون

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٦

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٣٠

قد فتح بعد ثلاثة أشهر من ورود الأمر الى عمرو وهو في فلسطين ، بأن يغزو مصر .
ثم أخذ الدكتور بتلر يعزز صحة التاريخ الثاني وهو ربيع الثاني سنة عشرين .
ولم يكن في كل ذلك على صواب لأن الطبرى لم يذكر إلا ما أثبتناه ،
ولم يقل إن مصر فتحت في ربيع الثاني سنة عشرين . وقد تقدم الكلام
عن هذا التاريخ ، بمناسبة اعتماد الدكتور بتلر عليه في نقض تاريخ الفتح
الذى أجمع عليه أكثر الرواة .

ونسب الدكتور بتلر أيضا الى الطبرى أنه قال : ان الإسكندرية سلمت
بعد حصار خمسة أشهر وأنه يجعل تسليم الإسكندرية يقع قبل حصار مصر
أو بابلون^(١) . ولم يرد في كلام الطبرى مثل هذا .

الكندى (سنة ٢٨٣ - ٣٥٠ هجرية = ٨٩٧ - ٩٦١ م)^(٢) :

لم يذكره الدكتور بتلر ، وقد جاء في رواياته أن عمرا استأذن عمر في المضي
الى مصر في سنة تسع عشرة وأنه بلغ العريش ثم تقدم الى الفرما وبها جموع
الروم فقاتلهم وهزمهم ، ثم سار وهم يقاتلونه ويهزمهم الى بليس فأم دينين
ثم الى الحصن ؛ وأقام محاصرا الى أن فتحه سبعة أشهر .

وقال : إن مصر فتحت في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين .

وقال : إن عمرا لما حاز الحصن بما فيه أجمع على السير الى الإسكندرية ،
فسار اليها في ربيع الأول سنة عشرين وحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها

(١) فتح العرب لمصر ص ٢١٩

(٢) ولد في ١٠ من ذى الحجة سنة ٢٨٣ (١٧ من يناير سنة ٨٩٧ م) وتوفي بالقسطنطينية
في ٣ من رمضان سنة ٣٥٠ هـ (١٥ من أكتوبر سنة ٩٦١ م) ؛ كما ورد في مقدمة كتاب تاريخ
مصر وولاتها باللغة الإنكليزية .

عنوة وهو الفتح الأول . وقال ، ويقال : بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين^(١) .

الأبنا ساويرس أسقف الأشمونين « ابن المقفع » (أوائل القرن العاشر الميلادي) — تصحيح قوله عن تاريخ هبوط جيش المسلمين الى مصر وبيان تأييده للرواية العربية :

ورد في كتابه أن أمير المؤمنين أرسل جيشا بقيادة عمرو في سنة ٣٥٧ للشهداء ، وأن جيش المسلمين هبط الى مصر في قوة عظيمة في ١٢ بؤونه أي في شهر ديسمبر الروماني^(٢) .

وقال الدكتور بتلر : اذا كان المقصود هو ديسمبر سنة ٣٥٧ للشهداء كان ذلك ديسمبر سنة ٦٤٠ وليس سنة ٦٤١ ، وقد جاء في الديوان الشرقي : انه في ١٢ بؤونة سنة ٣٥٧ للشهداء جاء عمرو الى مصر وفتحها . ولكن ١٢ بؤونة للشهداء توافق ٦ يونية سنة ٦٤١ ، وقال : ان تواريخ ساويرس لا تساعد على جلاء الظلمة^(٣) .

وقال المقرئى : بعد أن ذكر تاريخ الفتح على المشهور ، وقيل : كان فتح مصر في ثانی عشر من بؤونه سنة سبع وخمسين وثلاثمائة لدقلطيانوس . ثم قال : فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة . وتحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة أول يوم من ملك دقلطيانوس ، وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ٣٣٨ سنة فارسية و ٣٩ يوما ، فاذا ألغينا ذلك من تاريخ مصر في ثانی عشر بؤونة سنة ٣٥٧ ، بقى ١٨ سنة و ٨ أشهر و ٣ أيام .

(٢) فتح العرب لمصر ص ٤٦٨

(١) كتاب ولاية مصر ص ٧ — ٩

(٣) فتح العرب لمصر ص ٤٦٨

وهذه سنون شمسية ، عنها من سنى القمر ١٩ سنة وشهر و ١٣ يوما ، فيكون ذلك في ١٣ ربيع الأول سنة ٢٠ ؛ فلعل الوهم وقع في الشهر القبطى ^(١) .

وقد ظهر لى أن الخبر الذى أورده المقرزى نقله محرفا ، وهو ولا شك عن مصدر قبطى . واذا تنبهنا الى أن النص الذى أورده بتلرلساويرس عن خبر الفتح مضطرب فى قوله : ” إن أمير المؤمنين عمر أرسل جيشا بقيادة عمرو فى سنة ٣٥٧ للشهداء ، وان جيش المسلمين هبط الى مصر فى قوة عظيمة فى ١٢ بؤونة . أى فى شهر ديسمبر الرومانى “ ، لأن الشطر الأول من النص جمع بين أمرين : تاريخ فتح مصر ، وتاريخ وصول جيش عمرو الى بابليون فى العام الذى قبله . وقد ذكرت فيه سنة الفتح دون أن يذكر الفتح ، فترتب على ذلك وقوع التباس اذا لم يتنبه اليه يتخيل للقارئ أنه تاريخ ارسال جيش عمرو . وهذا يخالف الواقع ، لأن إرسال الجيش الى مصر لم يتأخر كثيرا عن عودة أمير المؤمنين عمر الى المدينة بعد فراغه من الشام ، كما نصت عليه الروايات جميعا ؛ ولا يمكن أن يتجاوز يوم ١٠ من ذى الحجة سنة ١٨ الذى وصل فيه عمرو الى العريش ، على أى حال . وعلى ذلك يجب رد الشطر الأول الى أصله بأن يذكر الفتح فيستقيم المعنى ، ويبقى الشطر الثانى من النص كما هو بعد تقديم جملة ” أى فى شهر ديسمبر الرومانى “ ، الى محلها الأصيل أى فى نهاية الشطر الأول . وعندئذ يأخذ النص الأصيل وضعه الصحيح كما كان قبل أن تصل اليه يد الناسخ ويقع التحريف وهو :

” إن أمير المؤمنين عمر أرسل جيشا بقيادة عمرو فتح مصر فى سنة ٣٥٧ للشهداء أى فى شهر ديسمبر الرومانى (الموافق الحرام سنة ٢٠) وإن جيش

(١) الخطط للمقرزى ج ١ ص ٢٩٩

المسلمين هبط الى مصر في قوة عظيمة في ١٢ بؤونة ، أى في ٦ يونيه سنة ٦٤٠ .

ويتبين من ذلك أن التاريخ الذى فتحت فيه مصر على القول المشهور في الروايات العربية مؤيد من جهة أخرى بالنص القبطى الوارد في كتاب ساويرس ؛ وأن هذا النص فى الوقت نفسه يعين تاريخ هبوط القوات الإسلامية على بابلون .

وقد ذكرنا فيما تقدم ، نقلا عن توقيعات المرحوم محمد مختار باشا اللواء أن مكالمة المقوقس ، كانت فى آخر شعبان سنة ١٩ من الهجرة ، ويوافق ذلك اغسطس سنة ٦٤٠ .

وعلى ذلك يكون المراد من قول ساويرس ان جيش المسلمين هبط الى مصر فى قوة عظيمة ؛ هو اجتماع عمرو والزبير عند وصول المدد الى بابلون على ما ذكره الطبرى فى تاريخه .

وقد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب ، فى الكلام على وصف زحف عمرو أن المدد الذى استغرقها القتال بين عمرو والروم من وقت مغادرته العريش الى أن وصل جنان الريحان وإقامته بها فى انتظار المدد مع احتساب الزمن الذى استلزمه عمرو بجنده الى أن اجتمع بالزبير الذى جاء على أثره مع المدد ببابلون ؛ يوصلنا الى ٦ يونيه سنة ٦٤٠ الذى قال ساويرس الأشمونينى إن جيش المسلمين هبط فيه الى مصر فى قوة عظيمة . وقد ورد فى الديوان الشرقى أنه فى ١٢ بؤونة سنة ٣٥٧ للشهداء جاء عمرو الى مصر وفتحها . وهو لا يخرج عن ملخص النص الذى ذكره ساويرس ؛ وإنما وقع فيه

التحريف بالجمع بين تاريخ هبوط الجيش وفتح مصر؛ ولا يبعد أن يكون « الديوان الشرقى » هو المصدر الذى نقل عنه المقريزى قوله المتقدم .

وفى هذا دليل على أن هذا المؤرخ الجليل كان فى نقله صادقا متحريرا، بعيدا عن الانحراف، لا يفوت عليه التحريف والخطأ فى النقل .

وبذلك يسقط اعتراض الدكتور بتلر على النص الذى نقله عن كتاب ساويرس وقوله : إن تواريخه لا تساعد على جلاء الظلمة^(١) .

ابن زولاق (٣٠٦ - ٥٨٧ = ٩١٨ - ١٩) .

ورد فى رفع الإصر : وذكر ابن زولاق فى تاريخه الذى على السنين فى حوادث سنة عشرين : فتحت مصر فى أول المحرم منها وولى عمر عمرو ابن العاص حربها وخارجها^(٢) .

أبو صالح الأرمنى (كتب حوالى سنة ١٢٠٠ م)^(٣) :

يتفق مع غيره وهم الأغلبية من المؤرخين، فى أن مصر فتحت فى مستهل المحرم من عام عشرين .

ياقوت (سنة ٥٧٤ - ٥٦٦ = ١١٧٨ - ١٢٢٩) :

لخص خبر السير الى مصر عن الليث بن سعد، وعبد الله بن طبيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر، وعياش بن عباس القتيبانى ويقول عنهم : " وبعضهم يزيد عن بعض فى الحديث^(٤) " .

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٦٨ .

(٢) تاريخ مصر وولاتها وقضائها ص ٣٠١ بذيل الصفحة رقم ٢

(٣) ورد بالصفحة الرابعة من تاريخه ما يفيد أنه كان موجودا فى سنة ٥٦٨ هجرية الموافقة

لسنة ٨٨٨ من تاريخ الشهداء (١١٧٢ م) . (٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٧

ولم يخرج في ما نقله عن روايات ابن عبد الحكم والكندي ، فذكر خبر استئذان عمرو في سنة ١٨ هـ ، وإنما قال : إن أول موضع قوتل فيه عمرو الفرما نحو شهرين ، ثم بلبس نحووا من الشهر ثم أم دنين نحو شهرين ^(١) . وفي هذا التفصيل زيادة بقدر شهرين عما ورد في فتوح مصر لابن عبد الحكم ؛ ولعل الاختلاف ناشئ عن خطأ في نقل روايات ابن عبد الحكم . وقد استنتج الدكتور بتلر من البيان المتقدم : أن فيه الدليل على أن القتال استمر ستة أشهر من أول الغزوة مع حساب المدة اللازمة للسير وأن هذا يوصلنا بدقة عظيمة من ١٢ ديسمبر إلى ٦ يونية ^(٢) .

نفي الخطأ والتناقض عن أقواله :

وقال بتلر أن ياقوت يقول : ” إن عمرا عند ذلك أرسل يطلب الأمداد وإن فتح الحصن كان في مدة فيضان النيل “ . وإن ذلك في سبتمبر أو بعد ذلك بقليل . على أن ذلك الكاتب (ياقوت) يقول بعد صفحة أو قريبا من ذلك ان فتح بابليون كان في يوم الجمعة أول المحرم من سنة ٢٠ للهجرة ٢١ من ديسمبر سنة ٦٤٠) ، وهو التاريخ الذي يذكر عادة أن الإسكندرية قد فتحت فيه . وفي هذا ما فيه من التضليل ^(٣) .

وانى لا أفهم أين هو التضليل الذى يذكره الدكتور بتلر؟ ياقوت يقول : ان المسلمين أحاطوا بالحصن وأقاموا على بابه محاصرى الروم سبعة أشهر ؛ ولما رأى المقوقس أنهم قد ظفروا بالحصن لحق هو وأهل القوّة بالجزيرة وقطعوا الجسر وتحصنوا هناك ، والنيل حينئذ في مده . وسأل المقوقس في الصلح وبعث إليه عمرو عبادة ثم صالحه المقوقس فكان فتح مصر في يوم

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٧ و ٣٧٨ (٢) فتح العرب لمصر ص ٦٨

(٣) فتح العرب لمصر ص ٦٩

الجمعة مستهل المحرم سنة ٢٠ للهجرة^(١) . وبعد أن حاز عمرو ومن معه ما كان في الحصن أجمع على المسير الى الإسكندرية في ربيع الأول سنة عشرين (فبراير — مارس سنة ٦٤١) .

وهذه الأقوال هي التي وردت في روايات ابن عبد الحكم وتاريخ الفتح ولم تتغير . أما قول بترلان تاريخ أول المحرم سنة ٢٠ هو التاريخ الذي يذكر عادة أن الإسكندرية فتحت فيه فلا يتفق مع الواقع ، لأن سير عمرو الى الإسكندرية كان في ربيع الأول سنة عشرين ، وقد ذكره الكندي وياقوت والمقرئ ولم يرد أبدا على صورة صحيحة في الروايات الأصلية أن الإسكندرية فتحت في أول المحرم سنة ٢٠ للهجرة (٢١ من ديسمبر سنة ٦٤٠) . وما قيل فيها هو : انها فتحت في يوم الجمعة أول جمادى الآخرة سنة ٢٠ هجرية (١٨ من مايو سنة ٦٤١) وهو الفتح الأول ثم كرر عليها عمرو مرة أخرى ، لما عاد اليها الروم وفتحوا بين فيها من المسلمين في مستهل المحرم سنة ٢١ وهو الفتح الثاني كما تقدم^(٢) .

ولم يذكر ياقوت الشهر الذي فتحت فيه هذه المرة بل اكتفى بقوله : وفتحت الإسكندرية سنة عشرين من الهجرة^(٣) ... بعد قتال وممانعة . ولا يبعد أن يكون الدكتور بترل اعتمد في قوله على كتاب حسن المحاضرة للسيوطي فانه هو الذي انفرد ، على ما أعلم ، بذكر ذلك التاريخ خطأ كما رأيت في النسخة التي تحتي يدي المطبوعة في سنة ١٣٢١ هـ بمصر بالصفحة رقم ٦٧ س ١٠ فقد ورد فيها هذا النص : وحاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك . وفتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين .

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٩ (٢) الخلط للمقرئ ج ١ ص ١٦٥

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٣ (٤) بمطبعة الموسوعات .

ولكن هذا النص نقل مع تصرف في الألفاظ وسقط منه لفظ « احدى » قبل كلمة « عشرين » ، والنص الصحيح وارد في كتاب الخطط للمقرئى هكذا : " وكان حصار الإسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين (١٠ من ديسمبر سنة ٦٤١) ^(١) وقد تقدم ذكره . وسنعود للكلام عن النص الوارد في السيوطى .

ومن المدهش أن الدكتور بتلر يتحزى عن النص الواقع فيه الخطأ ويعتمد عليه ، ويترك الأصل الصحيح المنقول عنه رغم اطلاعه عليه في خطط المقرئى وإثباته في كتابه في الصفحة التالية ^(٢) .

والأغرب أن يجعل التاريخ المذكور خطأ ، أنه هو الذى يذكر عادة أن الإسكندرية فتحت فيه .

ولا يفوتنا أن مستهل المحرم سنة ٢١ اذا أردنا به غرة الشهر كما تقدم ، يكون يوم الاثنين لا يوم الجمعة ^(٣) . وقد بينا فيما تقدم الفرق بين مستهل الشهر وغرته .

أبو الفدا (٦٧٢ - ٧٣٢ هجرية = ١٢٧٣ - ١٣٣١ م) :
ذكر فتح مصر والإسكندرية في سنة عشرين .

الذهبي (سنة ٦٧٣ - ٧٤٨ هجرية = ١٢٧٤ - ١٣٤٧ م) .

أورد المقوقس في التجريد قال : ولا دخل له في الصحابة ، فما زال نصرانيا واسمه جريخ وقد نقل السيوطى هذا القول في حسن المحاضرة ^(٤) .

(١) الخطط للمقرئى ج ١ ص ١٦٥ (٢) فتح العرب لمصر ص ٤٦٩

(٣) التوقيعات الإلهامية ص ١١ (٤) ج ١ ص ١١٧ (مطبعة الموسوعات)

المقريزي (سنة ٧٦٩ - ٨٤٠ هجرية = ١٣٦٧ - ١٤٣٦ م)^(١) .
أورد باختصار روايات ابن عبد الحكم والكندي وذكر تاريخ الوصول
الى العريش يوم النحر والسير الى بابلون . وتحتى المقوقس عن الحصن
فى جرى النيل وتاريخ فتح مصر ، وقال : "اختلف الناس فيه ، فقال محمد بن
اسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر الواقدي ويزيد بن أبى حبيب وأبو عمرو
الكندي : فتحت سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : فتحت سنة ست عشرة .
وقيل : فتحت سنة ست وعشرين . وقيل سنة إحدى وعشرين وقيل :
سنة اثنين وعشرين" . ثم قال : "والأول أصح وأشهر"^(٢) .

وذكر تاريخ السير الى الإسكندرية عن الكندي كما تقدم . وقال :
وذكر غيره بل سار فى جمادى الآخرة من سنة ٢٠ ، وذكر ان ابن عبد الحكم
قال : ويقال أن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية
وأورد حديث يزيد بن أبى حبيب يصححه به كما بينا .

وذكر حديثاً بدأه بقوله ، ويقال ؛ ورد فيه : أن هرقل مات فى سنة
تسع عشرة ثم ألحقه بحديث الليث كاستدراك يصحح به القول الأول ،
فقال ، وقال الليث : "مات هرقل فى سنة عشرين"^(٣) . ولم يفهم الدكتور
بتلغرض المقريزي فزعم أنه قال : ان موت هرقل كان فى سنة ١٩ للهجرة

(١) أثبتنا التاريخ المدون فى ترجمته فى حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٢٦٦ ، وذكر
الدكتور بتر أن تاريخ ولادته سنة ١٣٦٥ ؛ وفى دائرة المعارف الفرنسية ج ٢٣ ص ٢
أنه ولد فى سنة ١٣٦٠ وتوفى فى سنة ١٤٤٢ فهى تتفق فى تاريخ وفاته مع فهرس التاريخ
لدار الكتب ج ٥ ص ٧ المدون فيه أنه توفى فى سنة ٨٤٥ هجرية .

(٢) الخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩

(٣) الخطط للمقريزي ج ١ ص ١٦٤

وان هذا القول غير صحيح؛ وانه روى عن الليث تاريخا اخر هو سنة ٢٠ للهجرة وهو صحيح .

وقد بينا فيما تقدم أن المقرئى أورد خبر حصار الإسكندرية وتاريخ الفتح صحيحا، وكيف أن الدكتور بتلر أغفله ونقل الخطأ عن السيوطى .

أبو المحاسن بن تغرى بردى (سنة ٨١٣ — ٨٧٤ هجرية = ١٤١٠ — ١٤٧٠ م) .

نقل روايات ابن عبد الحكم كمن تقدمه . وذكر حديثا للذهبي لخص فيه خبر الفتح من أقوال عديدة بدليل قوله : روى خليفة عن غير واحد .^(١)

وقد أورد قبله البلاذرى وغيره ما تضمنه هذا الحديث من كلام عمرو بكيفية تبين أنه لا يخرج عن ملخص لأكثر من رواية ، للاستدلال على أن فتح مصر كان عنوة .^(٢)

السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ = ١٥٠٦ م) — تصحيح روايته عن تاريخ عودة عمرو الى القسطنطينية واستدراك على الدكتور بتلر .

نقل السيوطى عن تقدمه ، وأورد خلاصة وجيزة للقضاعى من قصة الفتح ، جاء فيها ان عمرو بن العاص قفل الى مصر من الإسكندرية بعد افتتاحها والمقام بها فى ذى القعدة سنة عشرين (أكتوبر — نوفمبر سنة ٦٤١) . وقال الدكتور بتلر ان هذا القول لابن قتيبة ، وقد نقله السيوطى عن القضاعى (المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية) . وقد أخطأ فى ذلك لأن هذا القول لم يذكر

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤ (٢) فتوح البلدان ص ٢١٨ — ٢١٩ ،

ياقوت ج ٦ ص ٣٨١ ؛ الخطط للمقرئى ج ١ ص ٢٩٥ ، السيوطى ج ١ ص ٧٠

(٣) ص ٢٧٦ (٢) و ٤٧٠

السيوطى ولا القضاعى انه لابن قبيصة^(١) . وما يخص ابن قتيبة فى حديث القضاعى لا يزيد عن معنى فسطاط عند العرب ؛ أما خبر رجوع عمرو الى مصر فهو للقضاعى . وقد أورده أيضا ابن دقماق^(٢) بالنص الذى أثبتته السيوطى على وجه التقريب . والذى أراه ان ورود سنة « عشرين » فيما نقله السيوطى عن هذين المؤلفين زيدت عفوا ، لأن المقرئى بعد أن ذكر حصار الإسكندرية قال : وفتحت « الإسكندرية » لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين . وقال أبو عمرو الكندى : وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة . وقال : هر الفتح الأول ؛ ويقال بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة إحدى وعشرين . قال القضاعى عن الليث : أقام عمرو بالإسكندرية فى حصارها وفتحها ستة أشهر ، ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا فى ذى القعدة^(٣) . ولم يرد فى هذا القول ذكر لسنة عشرين ، وأهمية ذلك عظيمة لأنه يبين أن القضاعى لم يقل « فى ذى القعدة سنة عشرين » .

ويبين أيضا أن أصل هذا الكلام يرجع الى الليث بن سعد والكندى . ولم يتقل عنهما بترتيبه الأصيل وإنما نقل مجزأ ، يشوبه النقص والزيادة ؛ وكان فى الأصل حديثين لو فهما على حقيقتهما لزال منهما أثر التناقض . الحديث الأول للكندى قال : لما حاز المسلمون الحصن بما فيه ، أجمع عمرو على المسير الى الإسكندرية فسار اليها فى ربيع الأول سنة عشرين — وهنا ذكر حديث الفسطاط واليمامة ؛ ثم قال : وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة ، وهو الفتح الأول . ثم قال ويقال :

(٢) الانتصار ج ٤ ص ٢ .

(١) راجع حسن المحاضرة ج ١ ص ٧٢ .

(٣) الخطط للمقرئى ج ١ ص ١٦٥ .

بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين ، ثم سار عمرو الى أنطابلس ، وهي
برقة فافتتحها ^(١) .

والذي يفهم من هذا الحديث أن الكندي يقول : إن السير الى
الإسكندرية كان في ربيع الأول سنة عشرين ، وان عمرا قبل فتحها حاصرها
ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة ، وهو الفتح الأول ؛ وان هناك قولاً يذكر
فيه أن عمرا افتتحها في سنة إحدى وعشرين ثم سار الى أنطابلس وافتتحها .
الحديث الثاني ذكره القضاعي ونصه ، قال الليث : أقام عمرو بالإسكندرية
في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى القسطنطينية فاتخذها داراً
في ذى القعدة ^(٢) . وبقية الخبر يفهم من قول الليث في موضع آخر : مات
هرقل في سنة عشرين ^(٣) . وكان حصار الإسكندرية بعد موت هرقل تسعة
أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك . | وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة
إحدى وعشرين ^(٤) .

وهو يدل على أن عبارة " في ذى القعدة سنة عشرين " من الحشو
الزائد . ويبعد أن يكون من قول القضاعي ، لأن ابن دقماق والمقريبي
والسيوطي نقلوا عنه قوله : ولما رجع عمرو من الإسكندرية ونزل موضع
القسطنطينية انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو
على الخطط معاوية بن حديج وآخرين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل
في سنة إحدى وعشرين ^(٥) .

(١) كتاب ولاية مصر ص ٩ . (٢) الخطط للمقريزي ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) الكتاب السابق ج ١ ص ١٦٤ . (٤) الكتاب السابق ج ١ ص ١٦٥ .

(٥) الانتصار ج ٤ ص ٣ ؛ الخطط للمقريزي ج ٢ ص ٢٩٧ ، السيوطي ج ١ ص ٧٢

والتي بعدها .

نفي الخلاف بين المراجع الكبرى العربية :

على هذا الوجه يتبين أن تأكيد الدكتور بتلر بوجود خلاف عظيم بين المراجع العربية الكبرى لا أساس له من الصحة . وأن الخلط الذي نسب وقوعه الى الرواة والمؤرخين وليد عمله . ولم ينشأ عن التضليل الذي اتهم به كتاب العرب أجمعين ؛ وزعم أنه أوجب حيرة المؤرخين المحدثين .

ومن الخطأ أن يتوهم شخص أنه من السهل هدم أقوال وتواريخ أجمع كبار المؤرخين على أنها وصلت اليهم بالتواتر وأنهم تحدثوا بها كما سمعوها ، ثم الاعتماد على أقوال لا يعرف شيء عن روايتها ، معدومة الإسناد غير متوافرة فيها شروط النقل الصحيح ؛ كما عمد اليه الدكتور بتلر في تفنيد الروايات المأثورة المتواترة عن تواريخ الفتح والظعن في روايتها ، وبينهم أئمة معروفون بعلو الإسناد وقوة النقد كالليث بن سعد ، ثم التبشير بأن نورا جديدا لم يسبق للناس عهد به أشرق من كتاب حنا النقيوسى .^(٢)

كتاب حنا النقيوسى :

وإذا تأملت فيما جمعه الدكتور بتلر عن حنا النقيوسى ، تجد ما يتعلق منه بأخبار فتح مصر محصور في الكلمات الآتية من قوله :

(١) " نجد أن ديوان حنا النقيوسى عمدتنا الأعظم يبدأ هنا بوصف حركات العرب ، مع أنه لا يذكر شيئا قبل ذلك عن أول غزو العرب . ومما يؤسف له أن ذلك الجزء الذى أغفله يقع فيه تاريخ حكم هرقل كله ،

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٧٠ و ٤٧١ (الملحق الرابع) .

(٢) فتح العرب لمصر ص ٤٧١

من أول توليته الى هذه النقطة ، وأنه لمن أعظم الخسائر أن تضيع كل الصحائف التي فيها وصف حروب الفرس والاحتلال الفارسي لمصر وسنى الاضطهاد الأعظم العشر ، وأن ما بقي بعد ذلك مختلط مشوه الترتيب . ومن المؤكد أن بعض فصول الكتاب نقلت من موضعها ، وأن بعض الجمل قد نقلت من مواضعها في بعض الفصول ، وأن التكرار والحذف في بعض المواضع يزيد الحيرة والارتباك^(١) .

(٢) ” قد وقع نقل وتشويه في عبارة الفصل الثاني والستين من كتاب حنا فجعله غير ممكن الفهم^(٢) .“

(٣) ” عنوان الفصل الخامس والستين من ديوان حنا هو « كيف استولى المسلمون على مصر في السنة الرابعة عشرة من الدورة القمرية » . ولكن لم يرد وصف للاستيلاء في ذلك الفصل . وهذا مثل من مائة مثل مما يدل على نقص الكتاب وتغيير مواضع أخباره^(٣) .“

(٤) ” هذه القصة « وقعة سمنود » ليست خالية من الشك فقد جاءت في كتاب حنا النقيوسى في الفصل الرابع عشر بعد المائة وهو مضطرب كل الاضطراب ... فالحقيقة أن ذكر الحوادث في هذا الفصل والفصول التي بعده من كتاب حنا مضطرب كل الاضطراب ، مقلوب رأسا على عقب ويكاد يكون إرجاع أخبارها الى ترتيب صحيح أمرا مستحيلا^(٤) .“

(٥) لا نجد مثلا أوضح في دلالاته على خلط كتاب العرب من وصفهم نهاية هذا الاجتماع (يقصد ما انتهى اليه أمر المفاوضات بين عبادة والمقوقس

(١) فتح العرب لمصر ص ١٩٤ (١) (٢) فتح العرب لمصر ص ٢٠٠

(٣) فتح العرب لمصر ص ٢٠٥ (١) (٤) فتح العرب لمصر ص ٢٣٤

وموقف هذا الأخير وأصحابه من جهة الصالح) . ونحن مضطرون للاعتماد عليهم وحدهم لأن كتاب حنا لا يرد فيه شيء عن ذلك^(١) .

وإذا كان ما صرح به هذا هو حاله ، فما الذى بقى من كتاب جعله عمدته الأعظم لمحاجة مؤرخى العرب به وإبطال رواياتهم ، وكيف نعلل أقواله ونعتبرها حقائق تاريخية ؟ وهى لا تخرج عن استنتاجات وظنون وأوهام حوّلت الى قصة خيالية ، أغفل فيها ذكر المصادر والأقوال المستمدة منها حتى تعذر تمييز المتقول عن حنا النقيوسى أوساويرس وغيرهما .

وقد جرى فى تحرير هذه القصة على طريقة النقل المحرف التى اتبعها فى إيراد روايات مؤرخى العرب ، بغاءت مشوّهة ممسوخة ، رغم المجهود الذى بذل فى سبكها . وقد وقع فيها من الخطأ والخلط ما هو أبلغ مما حاول أن ينسبه الى أكابر الرواة والمؤرخين فنرى فيها المرقب قائدا والراهب أميرا وهكذا . ومن الظواهر التى تنبئ عن الأسلوب الذى كتب به هذا الكتاب أن ما كان من الأخبار فيه إنصاف للسلف كذب ، وما خالف ذلك عزز . ولن نجد لوصف مادون فيه بأنه صحيح بالنظر الى الألفاظ التى انتقاه مؤلفه وكررها فيه ، وهى المفتريات والمسوخ والتضليل .

والكى يقف القارئ على قيمة كتاب حنا النقيوسى ، ننقل عن الدكتور بتل قوله عنه وعن مؤلفه ، تكملةً لملاحظاته التى بيناها عن هذا الكتاب وهو بالنص الآتى :

حنا النقيوسى أسقف قبضى كتب فى مصر فى أواخر القرن السابع ، ولعله ولد حوالى زمن الفتح ، وكتابه عبارة عن مؤلف فى تاريخ العالم . وقد

(١) فتح العرب لمصر ص ٢٢٧ (١) .

كتب جزء منه في الأصل باللغة القبطية وجزء آخر باليونانية . ويظهر أنه قد نقل الى العربية في زمن متقدم جدا . وعلى أساس تلك النسخة العربية وجدت ترجمة اتيوپية ، وهى النسخة الوحيدة الباقية من ديوان حنا وقد ترجمها زوتنبرج وحررها . وأخبار هذا الكتاب ذات قيمة عظيمة اذا كان نصها واضحاً غير غامض ، ولم يتطرق اليه الفساد ، ولكن ذلك الكتاب لا يذكر به شئ لسوء الحظ ما بين تولية هرقل وبلوغ العرب حصن بابليون ، وعلى ذلك فكل مدة الفتح الفارسى وعودة مصر الى الروم قد ضاعت منه ، وكذلك قد اختلطت أخبار آخر مدة الفتح العربى اختلاطاً عظيماً ، اذ هى مقلوبة رأساً على عقب لا يستطيع إقامتها ولا يكاد النقد يعيد اليها سياقها . على أنه قد ثبتت منه بعض حقائق من الأهميات الكبرى ، ولا بد لنا من اعتبارها معالم ثابتة لا تدافع ولا يختلف فى صحتها ، مع أنها تخالف ما جاء فى الأخبار العربية المتأخرة عنها ؛ فهى على ذلك أسس متينة لمن أراد أن يبحث فى تاريخ هذا العصر . والحق أنه لم يكن فى الإمكان أن يكتب تاريخ الفتح العربى لمصر ، لولا أن عثرت البعثة البريطانية الى بلاد الحبشة على نسخة مخطوطة من كتاب حنا . وانا لنرجو أن يعثر يوماً ما على نسخة قبطية أو عربية من كتاب حنا النقيوسى تكون سابقة للنسخة الأتيوپية التى وجدت . ولقد وجد الدكتور (شفر) فى متحف برلين قطعة من ست صفحات مكتوبة بلغة الصعيد وهى كما قال المستر (كروم) تتفق اتفاقاً يسترعى النظر مع ما جاء فى ديوان حنا . وقد ترجم (زوتنبرج) كتاب حنا ونشره نشرة فيها عيوب فى بعض نواحي الترجمة وفى حسابان التواريخ ، ولا يزال أهل البحث على شوق فى انتظار ظهور الترجمة الانجليزية التى اضطلع بها الدكتور (شارلز) ^(١) .

(١) فتح العرب لمصر مقدمة المؤلف ص ٢٥

ونحن نتمنى أيضا العثور على نسخة أصلية من كتاب حنا النقيوسى تكون سابقة للنسخة الأتيوية .

والى أن يتحقق هذا الأمل نحتفظ بالأولية للروايات العربية ، وان كانت لا تزيد على عشرات الصحائف ، بعد أن ظهر لنا أن ما جاء به الدكتور بتلر رغم الإطالة والإفاضة فى أكثر من خمسمائة صفحة لم يغير منها شيئا ، وانها مازالت راجحة على تأكيدات التى تلاشت عند النقد والتحجيص ، بفضل حرص العرب على الصدق فى الرواية والتمييز بين الصحيح والخبيث ونقد الرجال .

المقوقس - قيرس

بحث الدكتور بتلر أيضا عن هو الشخص الذى عرف عند العرب بالمقوقس وما اسمه وجنسه وعمله ؟ وقال : ان مؤرخى العرب كانوا من أول الأمر فى حيرة عظيمة ودهشة بالنظر اليه ؛ وأنه لم يكن عندهم صورة واضحة عن لفظ المقوقس ؛ ولم يتفقوا على الاسم الذى كان يسمى به وان من الباحثين من جعله روميا وجمع بينه وبين قيرس كشخص واحد ، ومنهم من فرق بين الاثنين وقال : ان كلا منهما كان له عمل مستقل ومنهم من جعله قبطيا ؛ وان أمهات الكتب الشرقية ليست دقيقة ، وان مؤرخى العرب يخلطون بين الأشخاص ، ولم يميزوا بين قيرس وبنيامين وغير ذلك . وقد خصص لهذا البحث ، الملحق الثالث من كتابه «فتح العرب لمصر» ص ٤٤٤ - ٤٦٤ ؛ واستعرض فيه ما وقف عليه من الروايات العربية وغيرها ، وما ترتب على هذه الروايات من نتائج وآراء . وانتهى الى القول بأن جميع من بحثوا فى ذلك لا يمكن وصف أقوالهم بخير من أنها جزئية وغير تامة ، وأن المقوقس هو قيرس البطرك الأمبراطورى والحاكم الأعلى بمصر .

مراجعة أقوال كبار المؤرخين عن المقوقس :

وقد رأيت أن أراجع ما نقله الدكتور بتلر عن مؤرخي العرب وأن أردته إلى حقيقته ، وأضرم إليه ما لم يذكره مع بيان مدى تقديره لأقوالهم ، وما تيسر لي من استقصاء وتصحيح لما استدركه عليهم أو نسبه إليهم مع المحافظة على ترتيبه .

حنا الأسقف القبطي لمدينة نقيوس : كان موجودا في سنة ٧٠ - ٥٧١ (٦٩٠ م) . ذكر في كتابه تحريض البطرك الخلقيدوني قيرس لهرقل على أتباع مذهب السنة ووقائع كثيرة رأى الدكتور بتلر أنها تدل على أن هذا البطرك هو الذي اضطهد القبط وأنه كان الحاكم ببلاد مصر .

محمد بن إسحاق : لم يذكره الدكتور بتلر والذي تخالف منه كتاب فتوح مصر ، وهو من المغازي . وقد ذكر فيه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس .

الواقدي : قال الدكتور بتلر : إنه يقول المقوقس بن راعيل وأن هذا الاسم من الأسماء العجيبة الخيالية التي ترد في قصص العرب قبل التاريخ لتسمية الملوك والسحرة ومن إليهم^(٢) .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن كتاب فتوح مصر المنسوب إليه ، هو كتاب ابن إسحاق .

ابن هشام (المتوفى في سنة ٢١٨ هجرية = ٨٣٣ م) : ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

(١) كذا ورد في ترجمة كتاب فتح العرب ؛ ويريد بلفظ السنة «مذهب اليعاقبة» .

(٢) فتح العرب لمصر ص ٤٥٢ (٣) وقيل سنة ٢١٣ هجرية .

ابن سعد : (توفى في سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٥ م) ؛ ذكر المقوقس
عظيم القبط .

ابن عبد الحكم : لم يذكره الدكتور بتلر في استعراضه بالمحقق الثالث
عن شخصية المقوقس مع أن رواياته هي المرجع الأصلي الذي نقل عنه كبار
المؤرخين أخبار الفتح . وقد ذكر أن هرقل وجه المقوقس أميرا على مصر ،
وجعل اليه حربها وجباية خراجها فنزل الإسكندرية^(١) . وأورد كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ؛ وقد خوطب فيه بلقب «عظيم القبط» .
وذكر المقوقس أيضا في مواضع أخرى لقب فيها ملك الإسكندرية ،
وصاحب الإسكندرية . وذكر أسقفا للقبط بالإسكندرية يقال له :
«أبوميامين» .

وقد لاحظت في الروايات المنقولة عن ابن عبد الحكم ، في الخطط
للمقرئى ، وكتابى حسن المحاضرة للسيوطى ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى
بردى ، وفي النسختين المطبوعتين منه بالمعهد العلمى الفرنسى في سنة ١٩١٤ ،
وفي ليدن في سنة ١٩٢٠ ، اختلافا يتفاوت في أهميته بالنظر الى ترتيب
الأحاديث وما يتخللها من النقص والزيادة في بعض مواضع . فقد ذكر
في بعضها المقوقس والأعرج ، منفردين دون ذكر أبيهما . وفي البعض
ذكرا معهما ، فنقرأ فى المقرئى والنجوم الزاهرة : المقوقس بن قرقب .
وفي النجوم : الأعرج جريح بن مينا . ولا نجد ذلك فى فتوح مصر مثلا .
ومن البديهى أن هذا الاختلاف يرجع الى تعدد أقوال الرواة ، وطريقة
النقل عنهم بالسماع والاملاء . وقد ذكرنا قول ابن عبد الحكم عن رواته :

وبعضهم يزيد على بعض في الحديث^(١) كما نوهنا عن التحريف الذى يقع من عمل النساخين .

ابن قتيبة الدينورى ذكر المقوقس ملك الإسكندرية .

البلاذرى : ذكر المقوقس صاحب مصر . وروى أن المقوقس اعتزل أهل الإسكندرية حين نقضوا . وروى أيضا : أنه قد كان مات قبل هذه الغزاة^(٢) .

الطبرى : ذكر أبا مریم جاثليق مصر وأبا مريام الأسقف كبعوثين من قبل المقوقس وأرطبون وصاحب الإسكندرية ، والمقوقس عظيم القبط . ونسب اليه بتلر أنه جعل المقوقس أمير القبط وقائد الحصن وأنه هو ومن اتبعه كابن الأثير جعلوا بنيامين قائدا حريبا تحت حكم المقوقس وهى ادعاءات غير صحيحة ويكفى لدحضها مراجعة أقوال الطبرى .

وقال الدكتور بتلر : " لفظ جاثليق لا معنى له إلا بطريق وان أول من ذكره من مراجعه الطبرى ، فقد جعلته معلوماته الفارسية يذكر ذلك اللفظ على أنه اسم كبير أساقفة مذاهب النسطوريين والأرمن ؛ ويكثر ذكره فى كتب سبيوس وسواه ؛ ويعرفه (Du Cange) حق المعرفة ؛ والحقيقة أن الطبرى نفسه يفسر ذلك اللفظ بأنه كبير أساقفة النصارى ؛ ولكنه يقول بعد ذلك عبارة محيرة وهى أن اسمه كان ابن مریم " .

وهى حيرة غريبة لأن الطبرى لم يقل ابن مریم . وأغرب من ذلك أن يقول الدكتور بتلر : " ان كتاب العرب كانوا يعرفون أن اسم مریم اسم يجله

(١) راجع أيضا معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٧

(٢) فتوح البلدان ج ص ٢٢٣

النصارى إجلالا عظيما ؛ فأخطأوا في لفظ « ابا » فظنوا أنه اللفظ العربي « أبو » في حين ان نزع الجزء الأول من بنيامين وهو « بن » وخلط باللفظ العربي « ابن » ونشأ من ذلك الخلط أسماء عجيبية زادها تحريفًا خطأ النساخ فذهبوا الى تسمية الأسقف باسم « أبو مریم » و « ابن مریم » ونستطيع الآن أن نستبعد اسم ابو مریم ، ونحن واثقون من أن ذلك الاسم لم يكن . وكذلك « أسماء » أبو مریم و « ابن مریم » و « أبو ميامين » وأن نجعل مكان هذه الصور الغريبة اسم « بنيامين » الذي كان كبير أساقفة القبط في الإسكندرية ^(١) .

على أن هذا الشرح الطويل يبطله أن أبا مریم الراهب الذي أتعب الدكتور بتلر كل هذا التعب كان موجودا كما سبق لنا قوله ، منقولاً عن الطبري نفسه ، ثم أسلم وأصبح من النقباء وعرف باسم عبد الله بن عبد الرحمن ؛ فلم يكن ابن مریم ولا بنيامين ولا مارينوس ^(٢) .

سعید ابن بطریق أو (اوتيكيوس Eutychius) (٨٧٦ - ٩٣٩ م) ^(٣) :

قال : وبعد هرب جورج صار قيرس بطریق الإسكندرية ، وكان مارونيا على مذهب هرقل . وقال في موضع آخر : وكان العامل على الخراج

(١) فتوح العرب لمصر ص ٤٥٠ ، ٤٥١

(٢) مما تخيله بتلر ان اسم أبي مریم قد يكون محرفاً عن مارينوس او مار يانوس ، وهو اسم فائدة أرسله هرقل لمساعدة قيرس . قال ذلك في رسالته The Treaty of Misr in Tabari راجع فتح العرب لمصر ص ٤٥١ وما كتبه حضرة الأستاذ معربه في بطلان حجة بتلر في تجريح مؤرخي العرب .

(٣) ورد في فهرس محتويات دار الكتب المصرية أنه توفي في يوم الاثنين سلخ شهر رجب

بمصر المقوقس من قبل هرقل الملك . ثم قال : وكان يعقوبيا (أى قبطيا) يكره
الروم ؛ ولكنه كان يخشى أن يظهر عقيدته اليعقوبية خيفة أن يقتله الروم .^(١)
قال بتلر : ولم يذكر أن قيرس هو المقوقس لأنه كان مجهل هذا الأمر .^(٢)
وقال : ان المقوقس كان حيا في وقت ثورة منوبيل ؛ ولم يذكر للمقوقس اسما .^(٣)

الكندى : أورد النص الآتى :

”وأمر الحصن المندقور الذى يقال له الأيرج (بياض بالاصل وعلى
ما أظن ، كان يملأه لفظ « واليا ») . عليه من قبل المقوقس بن قرقب
اليونانى ، والمقوقس اذ ذاك فى طاعة هرقل “ .

الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين المعروف بابن المقفع
(أوائل القرن العاشر الميلادى) : ذكر قيرس حاكما و”بطريقا“ ، و”هرقل
والمقوقس يحكمان مصر“ ، و”حكم هرقل وولاية المقوقس“ ، و”الحاكم
الكافر الذى كان بطريقا وحاكما بالإسكندرية“ . وروى عن بنيامين بطرك
القبط ، قوله : ”عند ما طردنى المقوقس“ .

القاضى أبو الفضل عياض اليعصبى السبتي (سنة ٤٧٦ —

٥٥٤٤ = ١٠٨٣ — ١١٤٩ م) :

ذكر المقوقس ، صاحب مصر ، فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى .^(٤)

ابن الأثير (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ — ١٢٣٢ م) .

قال بتلر : إنه يذكر أبا مريم وأبا مريام ؛ وإن الأول كان جاثليق
متفيس وخطأ هذا اللقب ، والثانى أسقفا . وأن المقوقس كان يقود الجيش

(١) فتح العرب لمصر ص ٥١٨ (٢) الكتاب السابق ص ٥١٩

(٣) الكتاب السابق ص ٥١٩ (٤) ج ١ ص ٣٠٣ و ٣٠٤ (طبع الآستانة) .

بنفسه في واقعة عين شمس ويقول : إن المقوقس كان حاكم الإسكندرية في وقت الحصار ثم صالح عمرا ، ولما انتقض الروم بالإسكندرية كان على قيد الحياة .

وقال أيضا : ان ابن الأثير مضطرب في ترتيب الحوادث في أول مدة الفتح . وقد شط في تلخيص كلام ابن الأثير ، مع أنه لم يأت بغير ما ذكره من كان قبله ، كابن عبد الحكم والطبري .

أبو صالح الأرمني (القرن الثاني عشر الميلادي) :

قال بتلر : انه يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس حاكم الإسكندرية في السنة السادسة من الهجرة ؛ وإن هرقل بعد عودة مصر الى الروم استعمل عليها جريخ بن مينا المقوقس ؛ ويذكر ديرا بالصعيد اختفى فيه بنيامين في عهد الامبراطور الروماني هرقل الخلقيدوني ، بينما كان جريخ بن مينا المقوقس حاكما على مصر ، حتى تمت السنوات العشر : وقد كان هاربا منها كما أنذره الملك .

ويقول أبو صالح : ان تلك السنوات العشر هي التي قاسى فيها المؤمنون (القبط) الاضطهاد . وروى عن كتاب الجناح أن أسقف الروم في مصر والإسكندرية كان اسمه قيرس .

ياقوت :

قال بتلر : انه يعقد الأمور تعقيدا أشد ، فهو يذكر أن حصن بابليون كان حاكمه المندوقور الذي اسمه الأعيرج نائبا عن المقوقس بن قرقب اليوناني الذي كان يقيم في الإسكندرية ؛ وأن اسم الأعيرج جاء على ما يظهر أولا

(١) فيه . ولا أعلم أين هو التعقيد ولماذا يكون أشد مما قاله سواه؟ وهو لم يأت
بجديد وما قاله سبقه به الكندي . وقد دفعنا عن ياقوت ما نسبته إليه بتلر
من أنه كان يسمى جريج مرة ابن مينا وتارة ابن قرقب اليوناني ، بالتمييز بين
هذين الاسمين والبرهنة على قصده أن كلا منهما كان المسمى به شخص غير
الآخر ، في كلامنا عن أبي المحاسن (٢) .

أبو الفدا : ذكر إرسال حاطب بن أبي بلتعة الى صاحب مصر وهو
(المقوقس) جريج بن متى .

المكيين (المتوفى حوالى سنة ١٢٠٥ ليلاد) : ذكر المقوقس كعامل
لهرقل على مصر ، وأنه هو وعظاء القبط صالحوا عمرا . وقال الدكتور بتلر :
إنه لم يكتب غير سطرين اثنين عن المقوقس يعنى بذلك ما ذكرناه .

ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٦ هـ = ١٣٣٢-١٤٠٣ م) : زعم بتلر
أنه يجعل المقوقس قبطيا ، ولم أجده فيما حدث به عن الفتح (٣) ، ولا في خبر
إرسال الرسل الى الملوك من النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ، وربما يكون قوله
مبنيًا على وصف المقوقس بعظيم القبط في كتاب النبي عليه الصلاة
والسلام .

ابن دقماق (٧٥٠-٨٠٩ هـ = ١٣٤٩-١٤٠٧ م) : قال بالرواية
عن ابن عبد الحكم : وجه هرقل ملك الروم المقوقس أميرا على مصر ،
وجعل اليه حربها وجبايةخراجها فنزل الإسكندرية . وذكر في رواية

(١) ص ٤٤٨ و ٤٤٩ (٢) راجع ما أتى من كلامنا عن أبي المحاسن .

(٣) كتاب العبرج ٢ (البقية) ص ١١٤ و ١١٥ (٤) كتاب العبرج ٢ (البقية) ص ٣٦

المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر^(١) . ولم يذكر بتلر إلا أن ابن دقماق قال : المقوقس الرومي عامل هرقل .

المقريزي : ينقل عن ابن عبد الحكم وغيره ، فذكر شحنة الروم المتولى على مصر ، وقال : ان المقوقس كان يجهز على عمرو الجيوش ، وهذا يتفق مع ابن دقماق في قوله : جعل هرقل إليه حربها ، وذكر الأعيرج واليا على الحصن ، وانه كان تحت يد المقوقس ، وذكر أبو ميامين يأمر القبط بتلقي عمرو ، والمقوقس وانه ابن قرقت اليوناني . وقال : قيل إن المقوقس في انتقاض الروم (واقعة منويل)^(٢) لم يكن تحرك ولا نكث . وذكر قيرس وقال : إن هرقل أقامه بطركا للإسكندرية لما قدم مصر ، ولم يقل انه المقوقس .

وقال بتلر : إن المقريزي يتفق مع ياقوت في ذكر الأعيرج وفي أن المقوقس ابن قرقب أو قرقت وكان يونانيا ، وأقول : ويتفق مع ياقوت وابن عبد الحكم والكندي في ذكر الأعيرج أو الأعيرج . وقال : إن المقريزي أخطأ فذكر قيرس بالفاء بدل قيرس بالقاف . وليس هناك خطأ وقع من المقريزي ، وإنما هو تحريف في النقل .

وأورد المقريزي خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، وقد لقب فيه «عظيم القبط» . وهو بالنص الذي أورده القسطلاني في «المواهب اللدنية»^(٣) .

أبو المحاسن : نفى ما نسب اليه من الخلط في اسم المقوقس واسم أبيه — بيان عن التحريف الذي أصبح به لفظ مرقب اسما لأبي المقوقس وجده :

(١) الانتصار ج ٥ ص ١١٨ و ١١٩

(٢) ج ١ ص ١٦٧

(٣) ج ١ ص ٢٩٢

أورد روايات ابن عبد الحكم عن الفتح ، فذكر الأعيرج والمقوقس في فقرتين من كتابه ؛ قال في الفقرة الأولى : ” وكان على القصر رجل من الروم يقال له الأعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس ، واسمه جريج بن مينا . وقال في الفقرة الثانية : ” ثم أحاط بالحصن وأميره يومئذ المندوقور الذي يقال له الأعيرج من قبل المقوقس وهو ابن قرقب اليوناني ، وكان المقوقس ينزل الإسكندرية “ .

ويظهر من هاتين الفقرتين أن المؤلف ذكر في الفقرة الأولى وإلى القصر بلقبه وهو الأعيرج ثم بين اسمه واسم أبيه جريج بن مينا . ولما ذكر ذكره في الفقرة الثانية وقال : ” المندوقور “ لم يكن بحاجة لأن يذكر اسمه واسم أبيه واكتفى بأن قال : الذي يقال له الأعيرج ؛ ثم ذكر المقوقس مع اسم أبيه وجنسيته ومكان نزوله . وهذا التوجيه هو الذي يقبله العقل . ويصحح قول بتلر : إن أبا المحاسن كان يسميه تارة ابن مينا وتارة ابن قرقب مينا وتارة ابن قرقب ، وهو تزيف لقول أبي المحاسن ^(١) .

هذا هو التأويل الظاهر للنصوص عن جريج بن مينا وابن قرقب ، ولكن بإمعان النظر فيها نهتدى إلى أمر آخر ، وهو أن الروايات الأصلية لم يذكر فيها ” ابن قرقب “ كاسم لأبي المقوقس .

ولفظ قرقب يصادفنا لأول مرة في حديث البيات الذي أورده الطبري ؛ وقد جاء محرفاً على هذه الصورة ” فرقب “ في قوله : ” فلم يفجأ عمرا إلا البيات من فرقب . وقد نهينا إلى أنه تحريف لكلمة مرقب .

(١) وفي السيرة النبوية نص صريح بأن جريج بن مينا غير المقوقس ؛ وهو بهذا اللفظ : « وكان المهدي له المقوقس هو المشهور . وفي كلام بعضهم أن المهدي له جريج بن مينا القبطي الذي كان على مصر من قبل هرقل . إنسان العيون ج ٣ ص ٢٧٦ .

وكان تاريخ ولاية مصر للكهندي ، على ما أعلم ، أول مؤلف سمي فيه في المتن ، أبو المقوقس "قرقب" . ويرجع ذلك ولا شك الى النقل عن الطبرى بلا انتباه الى ما وقع فيه من التحريف ، فان كلمة فرقب أصبحت بفضل النساخ علما ، ولو وقف التحريف عند "فرقب" لظن أن المقصود آخر غير المقوقس كما وقع للدكتور بتلر . ولكن التحريف تعدى كلمة فرقب وشمل "من" وتكون منهما "ابن قرقب" .

ولم يكن في سياق الكلام من هو أقرب من المقوقس ليفهم أنه هو الذي عنى بهذا الاسم ، لأن المقوقس هو الذي كان نازلا في الحصن لتجهيز الجيوش وصد عمرو ، وهو الذي بعث أبا مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل البيعات لمنع البلاد في حديث البيات للطبرى .

وأقدم ما عرف من هذا التحريف مكتوبا بالكامل ، هو ماورد باحدى الحواشى بهامش النسخة الخطية التي طبع منها كتاب «فتوح مصر» لابن عبد الحكم بليدن . المحفوظة بالمتحف البريطاني كما ذكرناه في حينه ، ونصه :
"ان المقوقس اسمه جريح بن مينا بن قرقت" . وتدل هذه العبارة بأسلوبها ، أنها كتبت كميان تكميل للنص الوارد في المتن مجتزا عن ذكر أبي المقوقس .

وترجع تلك النسخة الخطية الى القرن السادس ، كما هو مبين في مقدمة الناشر الانكليزية المصدرة بها طبعة ليدن .

وعندما وضع الكهندي كتاب الولاية ، لخص خبر مسير عمرو بن العاص من أقوال رواة ابن عبد الحكم ، فقال : ثم أت (عمرو) الى الحصن فنزل عليه

(١) راجع ص ٣٠ (٢) من كتابنا هذا .

فخاصره، وأمير الحصن يومئذ، المندقور الذي يقال له الأعرج ... عليه من قبل المقوقس بن قرقب اليونانى .

وقوله "ابن قرقب اليونانى" غير موجود فى فتوح مصر بالمتن من كتاب ابن عبد الحكم، مما يفهم منه أنه إضافة قد تكون من الكندى، ويرجح على ما أعتقد أنها من الناسخ لكتابه عن مصدر آخر غير ابن عبد الحكم، وفى وقت متأخر عن وقوع التحريف فى عبارة الطبرى .

وقد وقع هذا التحريف من عهد بعيد بدليل الحاشية التى على هامش النسخة المطبوع منها كتاب ابن عبد الحكم الذى جُمع فيها بين جريح بن مينا وابن قرقب^(١). وقد تكون هى الأصل الذى سرى منه التحريف لكتاب الكندى بعمل الناسخ أيضا . لأن النسخة الأصلية التى طبع منها هذا الكتاب المحفوظة بالمتحف البريطانى أيضا ومكتوب عليها أنها أكلت بدمشق فى سنة ٥٦٢٤ (١٢٢٧ م)^(٢)، أعنى بعد نحو ثلاثة قرون من وفاة المؤلف، متأخرة عن تلك النسخة الخلفة من كتاب فتوح مصر .

وقد أدّى بنا هذا البحث أيضا الى أن ورود اسم جريح بن مينا سواء كان للمقوقس أو للأعرج، لا يخرج عن كونه أيضا زيادة أضيفت فى عهد متأخر لرواية ابن عبد الحكم . وهذا الاسم غير وارد فى فتوح مصر بالمتن؛ ولم يذكره الكندى فى نقله عنه . ويؤيد ذلك ورود هذا الاسم ضمن الحاشية بذيل الصفحة ٦٤ من فتوح مصر، والمتبادر أنه لم يسبق به أبو صالح فى الكتب العربية لأنه هو الذى انفرد بقوله : إن هرقل بعد عودة مصر الى الروم

(١) كما جاء فى التعليق الوارد فى ذيل الصفحة رقم ٦٤ (٩) و(١٠) من الكتاب المذكور .

(٢) كتاب ولاية مصر، المقدمة الإنجليزية ص ٤٧

استعمل عليها جريج بن مينا المقوقس . ومن ذكر هذا الاسم بعده لا بد من أن يكون ناقلا عنه . وإذن لا يكون المصدر من الخلط في الروايات العربية . ولا محل إذنب لما شغل به الدكتور بتلر نفسه في مناقشة الدكتور ستانلي لين بول عن جريج بن مينا ، لأن الروايات العربية لم يرد فيها أنه المقوقس أو قيرس أو الحاكم الأعلى بمصر الذي تلقى كتاب النبي عليه الصلاة والسلام .

وقال أن أبا المحاسن يجعل بنيامين القبطي أسقف الإسكندرية ؛ والحقيقة أنه سماه "أبو ميامين" ؛ ولم يختلف في ذلك عن المقرئ لأن الاثنين يرويان عن ابن عبد الحكم .

السيوطي :

ذكر أقوال ابن عبد الحكم التي نقلها أبو المحاسن عن الأعرج والمقوقس وأبو ميامين ، وبعضها من تلخيص القضاء لخبر فتح مصر .

وقد ورد في آخر كتاب «در الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» أن ابن منده وأبا نعيم ذكرا المقوقس في كتابيهما في الصحابة وابن قانع في معجم الصحابة . وأورده الذهبي في التجريد ، وقال : ولا مدخل له في الصحابة وما زال نصرانيا واسمه جريج^(١) كما تقدم .

ابن إياس (المتوفى سنة ٩٣٠ هجرية تقريبا = ١٥٢٣ - ٢٤ م) : من المتأخرين وكذا على عزم أن تتجاوز عن ذكره ولكن استرعى نظرنا فيه قوله في فقرتين ؛ جاء في الأولى مانصه : واستمر المقوقس قائما بملك مصر

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٧

بحو إحدى وثلاثين سنة ، حتى افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه الديار المصرية فى سنة عشرين من الهجرة النبوية ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه .

وفى الفقرة الثانية ما نصه : وكان اسمه جريج بن ميناهى (وهو يعنى المقوقس) وقد أدرك نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت سنة ست من الهجرة بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة^(١) .

وقد ذكر الأستاذ فثيت النص الأول فى بيان الألقاب التى وردت عن العرب للمقوقس .

مما تقدم يتبين أن ما توهمه بتلواتهم به مؤرخى العرب لم يكن بالقدر الذى اعتقده وأن الأشخاص الثلاثة : المقوقس وأبو مريرم والأعيرج على عكس ما ذهب اليه ثابت وجودهم وقد ذكروا باعتبار أن كلا منهم شخص مستقل عن الآخرين :

أما الأعيرج :

فلم يكن ياقوت هو الذى نقل عنه أبو المحاسن والسيوطى ذكر الأعيرج والأعرج لأن المصدر الأصلى ابن عبد الحكم والكندى ، وهذا الأخير روى عن كبار الثقات كالليث وابن عفير ، وقد نقل عنه أيضا المقرئى . ولا عبرة بقول ستانلى لين پول أن أمير الحصن كان يسمى جريج بن ميناهى وابن قرقب لأنه خطأ فى النقل من نوع ما وقع فيه بتلواته نفسه ، والأعرج والأعيرج ، كما هو ظاهر بالبداهة ، من الكنى التى يطلقها العرب . ولا يبعد أن إحدى الكنيتين كانت تناسب الشخص كأن يكون أعرج ، ولا يمكن

(١) ابن إياس ج ١ ص ٢٠

أن يكون تحريفا جريه النقل كما زعم بتلر الذي قال أيضا: انه قد يكون شخصا آخر غير جورج الحاكم للإقليم الذي ذكره حنا النقيوسى^(١). ولا علاقة لهذا القول ببحثنا ، لأن رواية العرب لم يقولوا ان الأعيان هو جورج حاكم الإقليم المذكور . وهو قول مبني على الظن والتخمين وأساسه المشابهة بين اسم حاكم الإقليم ووالي الحصن .

وفما يتعلق بأبي مريم : قد اعترض بتلر على وصفه بأنه جاثليق مصر وأنه انضم الى جيش عمرو بن العاص ، وقال : إن جاثليق لا معنى له إلا بطرك وهو اعتراض في غير محله ، لأن الطبرى وغيره ممن ذكروا خبر أبي مريم يعتبرونه راهبا لا بطركا . والجاثليق كما ذكره صاحب « القاموس المحيط » يعنى به رئيس للنصارى في بلاد الإسلام ، ويكون تحت يد البطريق ثم المطران تحت يده ، ثم الأسقف يكون في كل بلد تحت يد المطران ، ثم القسيس ثم الشماس . ولو فطن بتلر الى ذلك لكفى نفسه مؤونة التسليم بوجود بطريق ثالث غير قيرس وبنيامين ، رغم جهاده الطويل في نقض أقوال مؤرخى العرب من كل وجه ، ليثبت أن المقوقس وقيرس شخص واحد ، وأن جيش المقوقس لم يكن فيه رهبان من القبط .

وقد حاول بتلر أن يقيم الدليل على أن أبا مريم وبنيامين البطرك شخص واحد ليعود الى نقي وجوده ، بحجة أن بنيامين كان مختلفيا ولم يشترك في الوقائع ؛ وقد استند الى أنه من السهل تحريف « ابن بنيامين » الى « أبي ميامين » ثم الى « أبي مريم » وقد بينا فيما تقدم أن هناك تحريفا

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٥٠

في اسم بنيامين حوّله الى « أبو ميامين » أما تحريف « أبي بنيامين » الى « أبي مريم » فغير ممكن لبعدهما بين الاسمين كتابة ولفظا .

ومن المؤكد أن الطبرى لم يخطر بباله أن يجعل أبا مريم قائدا حربيا . وإنما ذكره مع أبي مريام كراهيين ولم يسمه ابن مريم كما يزعم بتلر . ويقول : انه يلاحظ على الخبر الذى أورده الطبرى عن أبي مريم وأبي مريام أن الطبرى بينما هو يقول فى رواية ان عمرا عندما جاءه الزبير ممدّا قابله أبو مريم وأبو مريام وقاتلاه ، إذا به يقول فى رواية أخرى ان عمرا والمقوقس التقيا فى عين شمس والتحم جيشاهما فى القتال^(١) . وهى ملاحظة قائمة على سبب واه ، لأن الرواية الأولى ذكر فيها خبر مقابلة أبي مريم وأبي مريام لعمرو ومفاجأة المسلمين بالبيات لما أبى أرطوبون اجابة عمرو والزبير الى ما عرضاه عقب اجتماع الاثنين ببابلون . والرواية الثانية ذكر فيها مع الايجاز نزول عمرو والزبير بعين شمس (وقد قلنا ان المراد بها ببليون) ورفض القوم لما عرض عليهم ، ووقوع القتال بين الطرفين قبل إنتهاء مدة الهدنة التى حصل عليها الراهبان ، وهى خمسة أيام ، ثم ذكر ما انتهى اليه الأمر من ارتقاء الزبير سور الحصن وحصول الصلح . ولو تنبه الدكتور بتلر الى ذلك وفهم قول الطبرى على حقيقته ؛ لكفى نفسه هذه الملاحظة أيضا ، لأن التناقض معدوم بين الروایتين .

البرهنة على أن المقوقس غير قيرس بطرك الإسكندرية :
وقد أجمع مؤرّخو العرب على أن المقوقس كانت له ولاية فى الإسكندرية
فاذا دعى بالأمر أو الملك أو الحاكم أو الشحنة أو المتولى على مصر ، فإن كل

(١) فتح العرب لمصر ص ٥٠٥

ذلك جائز لأنه كان في نظر العرب « عظيم القوم » ، وقد روى ابن دقاق أن هرقل وجهه أميرا على مصر ، وجعل اليه حربها وجباية خراجها^(١) ، ولم يقل لا هو ولا غيره ممن روى فتوح مصر وأخبارها ان هذا المقوقس كان بطركا أو كانت له شخصية دينية ، وقد أدرك بتلر فساد شطر من حجته ، فحاول العدول عنها فقال : ” واذا يجوز لنا أن نقول ان مؤرخي العرب لم يقصدوا بنيامين بن سموه « أبا مريم » أو « أبو مريام » بل كانوا يقصدون قائدا حربيا ، وقال : ويجوز أن يكون هذا الاسم محرفا عن اسم قائد أرسله هرقل لمساعدة قيرس ، وهو « ماريوس » أو « ماريانوس »^(٢) ؛ ولم يسلم بصحة الرواية العربية . وقد أثبت حضرة الأستاذ محمد فريد أبو حديد معزب كتاب الدكتور بتلر هذا التراجع وعلق عليه بقوله : ” وبذلك تبطل حجة المؤلف في تجريح مؤرخي العرب وحمل قولهم هنا على الخلط“^(٣) .

ومن مزاعم الدكتور بتلر أن مؤرخي العرب جميعا لم يذكروا اسما للمقوقس حتى جاء أبو صالح في عام ١٢٠٠ للميلاد ، وياقوت الذي كان في عصره ، فسماه الأول جريح بن مينا والثاني جريح بن قرقب اليوناني ، وذهب الى أن هذا الاختلاف قد يكون مصدره وجود روايتين مختلفتين أو مصدرين للخبر منفصلين^(٤) . والحقيقة أن أبا صالح هو وحده الذي سمي المقوقس أميرا الحصن جريح بن مينا ، وأما ياقوت فلم يذكر له اسما . وقد ذكر أبو المحاسن المقوقس ابن قرقب وجريح بن مينا ، في « النجوم الزاهرة » ، في إحدى رواياته عن ابن عبد الحكم ، وقد بينا كيف تعذر على بتلر فهم عبارة أبي المحاسن على حقيقتها ،

(١) عن ابن عبد الحكم ؛ الانتصار ج ٥ ص ١١٩ (٢) فتح العرب لمصر ص ٤٥١ (١) .

(٣) فتح العرب لمصر ص ٤٥١ (١) . (٤) فتح العرب لمصر ص ٤٥٢

وكيف أدت به الحيرة لأن يبحث الموضوع من نواح أخرى ، فعمد الى البلاذرى والطبرى فلم يجد فى الأول شيئا يستعين به ، ووجد الثانى على زعمه يجعل المقوقس أميرا للقبط ، وينسب اليه المفاوضة على الصلح والتسليم داخل حصن بابلون ، وأراد أن يفند ذلك فقال : ان المقوقس لم يكن فى الحصن عند فتحه ، ولم يكن قبليا . ثم لاحظ أن البلاذرى يقول : ان المقوقس كان حاكم الإسكندرية ، مع أن سعيد ابن البطريق يقول : انه كان مراقب الأموال من قبل هرقل ، فدال بذلك على أنه لم يقف على قول ابن عبد الحكيم : ان « هرقل » جعل اليه حربها وجباية خراجها .

بعد ذلك يقول : انه لم يستطع أن يجد حلا للغز المقوقس إلا فى نسخة خطية من كتاب ساويرس الأشموني . وذكر أقوالا لساويرس ، وبنيامين على زعم أنها تفيد أن قيرس هو المقوقس ، وأن ساويرس يذهب الى القول بذلك ؛ وهى الواردة فى الفقرات الآتية :

الفقرة الأولى : "استعمل هرقل قيرس بعد استعادة مصر من الفرس وجعل له ولاية الدين والحكم فى الإسكندرية" . ساويرس .

الفقرة الثانية : عشر سنين كان هرقل وقيرس يحكان فيها مصر . بنيامين .

الفقرة الثالثة : يذكر ساويرس قيرس ويقول : "الحاكم الكافر الذى كان حاكما وبطريقا للإسكندرية ؛ مدة حكم الروم" .

الفقرة الرابعة : يذكر ساويرس هررب بنيامين عند قدوم قيرس لأن ملكا حذره وأن بنيامين قال : ان المقوقس طردنى وشردنى .

وقد علق على ذلك بقوله : فليس ثمة بقية من الشك في أن ساويرس
يذهب الى أن المقوقس هو قيرس ويفرق بينه وبين بنيامين .

ومن المعلوم أن مؤرخى العرب لم يقولوا مطلقا ان المقوقس هو بنيامين
وانه اشترك مع عمرو أى اشترك ، ولكن هو الذى يزعم ذلك وفي الوقت
نفسه ينفي زعمه بقوله : ان ما ذكره الطبرى ومن اتبعه كابن الأثير عن
بنيامين فانه قول سخيف ، فقد جعلوه قائدا حربيا تحت حكم المقوقس .
وقد سعى الطبرى الى جعل خبره مقبولا لا تناقض فيه ، فجعل المقوقس
أميرا للقبط ، وأنه لا يدرك علة ما يعزوه مؤرخو العرب الى بنيامين من
الاشترك في الأمور عند الفتح^(١) ، وهى حيرة أخرى أوقع فيها نفسه لأن أولئك
المؤرخين لم يقولوا إن بنيامين اشترك في أمور الفتح وإنما قالوا : انه قبيل
قدوم المسلمين الى الفرما أو عز بنيامين الى القبط بتلق عمرو كما سلف . وهو
أمر مستدرك سواء كان بنيامين وقتئذ مقيما بالإسكندرية أو بالصعيد .
ولم يرو في الروايات العربية أنه قضى مدة اختفائه في الصعيد .

ومن الغريب أن ينسب الى مؤرخى العرب أمورا لم يفكروا فيها ثم
يتراجع عنها ، وقد استدرك عليه الأستاذ المحترم فريد أبو حديد غير مرة .

ولكى يقدر القارئ مبلغ المجهود الذى تكلفه ثم رجع عنه أن يطالع على
كتابه ، فىرى العجب العجاب فى طريقة استنتاجه من ص ٥٠٩ — ٥٢٠

وقد حاول أن يؤيد قوله من جهة أخرى بأن حنا التقيوسى الذى كان
معاصرا للفتح ذكر "الاضطهاد" الذى شهره هرقل فى بلاد مصر جميعا على

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٥١

أتباع مذهب السنة^(١) (القبط) . وذلك بتحرير بطريق الخلقيدوني^(٢) (قيرس) وأن تاريخ القبط مملوء بأقوال من هذا القبيل .

وذكر بعض وثائق قبطية وأخرى عربية قليلة العدد لها علاقة بذلك .
(الأولى) تاريخ حياة شنودة عن أصل قبطي نشره أميلينو، وكتب في القرن السابع وفيه الخبر الآتي على صورة نبوءة : "ثم يظهر المسيح الدجال ويمثل بين يدي ملك الروم فيجمع له ولاية الدين والدنيا وسيجيء الى مصر ويناصب فيها كبير الأساقفة بالإسكندرية العداء، ويهرب منه هذا الى أرض تيمان" . وقال : وهذا بغير شك ووصف لقيرس^(٣) .

(الثانية) قطعة من وثيقة أخرى في المكتبة البودلية. Mss. Copt. Clar. Press نشرها أميلينو تحت عنوان « ترجمة ، حياة صمويل القلموني »^(٤) ، ذكر فيها شخص زار الدير باسم البطريق الدعي ، وأن هذا البطريق في رده على تأنيب صمويل قال له : " ... ألا تؤدي لي ما ينبغي عليك أن تؤدّيه لعظيم رجال الدين وكبير جباة المال في أرض مصر"^(٥) . وفي سياق الكلام يقول كاتب الترجمة : "ولم يعد (أى البطريق) للدير بعد ذلك الى يومنا هذا" .
وعلق بتل على هذا بقوله : وهذا يدل على أن النسخة الأصلية المخطوطة قد كتبت قبل موت قيوس في سنة ٦٤٢ ، ولكون صمويل مات في سنة ٦٣٩ ، بعد أن تنبأ بقدوم العرب بقلمون في سنة ٦٣٩ ، فتكون كتابتها سابقة على الفتح .

(١) يردها حضرة المعرب مذهب اليعاقبة . (٢) فتح العرب لمصر ص ٤٥٤

(٣) فتح العرب لمصر ص ٤٥٤ (٤) فتح العرب لمصر ص ٤٥٤

(٥) فتح العرب لمصر ص ١٦٤ و ١٦٥ و ٤٥٤ و ٤٥٥

وفى نظره أن فى ذلك اتفاقا وثيقا مع ما جاء عن عمل قيرس فى كتاب ساويرس وما قاله عن المقوقس ، سعيد بن البطريق والمكين وابن دقماق والمقرزى . وأن فى هذه الوثيقة اسم الكاوخوس (المقوقس) فى الصورة الأصلية القبطية ، وأنه يطلق على شخص لا شك فى أنه هو قيرس بعينه .

(الثالثة) التقويم القبطى ورد فيه : قاسى بنيامين شدة عظيمة على يد المقوقس فهرب الى الصعيد حيث قضى مدة عشر سنوات كاملة ؛ وكان المقوقس رئيس مذهب خلقيدونية ، وقد استعمل واليا وبطريقا على مصر . قال بتلر : ويتفق التقويم الاثيوپى مع هذا اتفاقا تاما ، وقد نقله (Preira) بتمامه وفيه هذه الكلمات : والمقوقس أى (الحاكم والبطريق فى الإسكندرية وكل أرض مصر) وان النسخة الخطية من هذا التقويم يلوح أنها مؤرخة فى القرن الخامس عشر ، ولكنها مع ذلك ترجع الى أصل قديم جدا .

(الرابعة) كتاب منسوخ باليد فى باريس : منسوخات عربية رقم ١٥٠ — صفحات ٢٠ — ٣١ فيه قصة عن (الأباصموبيل القلمونى) ذكر فيها المقوقس الفاجر ، وقد سماه على وجه التعمين (كبيرس المقوقس) وهو تحريف (كبيرس المقوقس) كما لاحظته الأستاذ الكبير جاستون فييت ، والنسخة منقولة من أصل قبطى .

هذه هى الأدلة التى يستند اليها فى زعمه أن قيرس والمقوقس شخص واحد أى أن المقوقس كان بطركا روميا ، ولكننى أرى أنها لا توصل بتلر الى حل اللغز الذى تحير فيه الى ما يتفق مع مقصوده وذلك للأسباب الآتية :
أولا : ان ما ذكره حنا النقيوسى وهو أقرب من كتبوا الى تاريخ الفتح فى نظره ، هو قوله : الاضطهاد الذى شهره هرقل فى بلاد مصر جميعها

على أتباع مذهب السنة (القبط) ، وذلك بتحريض البطريق الخلقيدوني (قيرس) ؛ وهو قول لا يتعدى الى غير ذكر اضطهاد قيرس للقبط ولا اعتراض عليه ، وإنما المتبادر أن هذا التحريض وقع خلال المدة المنحصرة بين قدوم هرقل الى مصر وبين سنة الفتح .

ثانيا : ان الفقرات التي اعتمد عليها من كتاب ساويرس بعضها نص فيه حقيقة على أن هرقل جعل لقيرس ولاية الدين والحكم في الإسكندرية بل وفي مصر ، ولكن هذا النص جاء في سياق وقائع سابقة على زمن الفتح وتدور حول نشر المذهب الملكي ، ولا تشير الى أن المقوقس الذي فاوضه عمرو هو قيرس المذكور فيها ؛ وبعضها منقول عن قصة الملك الذي حذر بنيامين أو النبوة . وليس القصد من قولنا أن نناقش في موضوع هذه النبوة وإنما نلاحظ أن بنيامين قال : ” ان المقوقس طردني وشردني “ وهو القول الوحيد الذي انفرد فيه بذكر اسم المقوقس بين تلك الأدلة . ولا نراه كافيا لأنه من السهل أن يقال ان ساويرس الأشمونيني الذي وضع كتابه في القرن العاشر بعد الفتح بنحو ثلاثة قرون ونصف ، قد كان ولا شك ناقلا للخبر تحت تأثير سماع النبوة ، ومن أفضى بها اليه ، جرى على لسانه اسم المقوقس بدلا من قيرس في ذلك العهد الذي كانت فيه الشهرة للمقوقس لا لقيرس . والدليل على ذلك أنه يذكر قيرس في أقواله الأخرى ، حتى في المنسوب منها الى بنيامين نفسه الذي أورد عنه ساويرس قوله : ” عشر سنين كان هرقل وقيرس يحكمان فيها مصر “ .

ومع ذلك فإن قول بنيامين : ” ان المقوقس طردني وشردني “ لا يحتم أن قيرس هو الذي طرده وشرده . ولا يفيد أن المقوقس وقيرس شخص

واحد : بل يفهم منه — وهو في نظرى التفسير الأصوب — ان المقوقس عند قدوم قيرس اضطهد بنيامين وشرده بصفته الحاكم المتولى من قبل هرقل . ولا تفوتنا ملاحظة أخرى وهى أن كل ما كتب عن قيرس لم ترد فيه كلمة واحدة كانت صبغتها غير دينية . واذا ذكرنا قصة البطريق الذى زار الدير، وطالب صمويل بان يؤدي له ما ينبغى عليه أن يؤديه لعظيم رجال الدين وكبير جباة المال فى أرض مصر ، لا يمكن صرف هذه المطالبة إلا الى ما يجمع من الأديرة والكنائس . وكيف تكون جباة الأموال التى من نوع الضرائب من اختصاص البطرك ، وهو بحكم مركزه أعظم رجال الدين فى البلد . وفى الواقع ، القول نفسه ينقض بعضه بعضا ، لأننا لا نفهم ما الذى كان يضطر البطرك لذكر جباية المال والتهديد بها فى تعزير صمويل العابد فى وقت كان النزاع فيه قائما على العقيدة لا على جباة المال .

لا يكفى أن يقال : ان ساويرس كتب تاريخا مستندا الى وثائق بعضها قبطى وبعضها غير قبطى كانت محفوظة فى مكتبة دير مقار وفى دير نهيا ، وفى مجموعات أخرى عند أفراد الناس . وقد اعترف الدكتور بتلر بأن تاريخه : "لايخلو من أخبار دقيقة وأخرى مستحيلة" ولا عبرة بقوله : " انه ليس من العدل فى شىء أن نفعل كل الأخبار التى يوردها المؤرخون القبط بحجة أنهم لا يوردون أكثر منها" . وقوله : "ان حوادث التاريخ قد تجيء فى الوثائق عرضا بغير قصد" . وذلك لأن ما نحن بصددده لم يكتب فى عهد قيرس والمقوقس وإنما كتب بعد ثلاثة قرون ونصف من عصر همادون إسناده الى مصادر يوثق بها ، وعلى أسلوب مجرّد من الدقة ، لانراه فى أخبار رواة العرب التى عمد الى نقضها بهذه الطريقة الغريبة ، وهى لا تخلو من الغلو كما يظهر فى قوله الآتى :

”انا لا نعلم مؤرخا واحدا من المؤرخين العرب ، يمكن أن يظهر أن تاريخه يعدل كتاب ساويرس في أنه قائم على سلسلة غير منقطعة من الأخبار المدونة التي كتب أكثرها كتاب عاشوا في عصرها ، فإن المؤرخين العرب يروون أخبارا عتة من العصور القديمة ، ولكنهم قلما ينقلون عن الوثائق الأصلية نصوصها أو يسندون أخبارهم اليها ؛ ومعنى هذا القول أن التاريخ القبطى قائم على أساس أقرب الى العلم وأتمن في الدلالة ، ألا وهو أساس الوثائق المخطوطة“^(١) .

وينسى أنه في الوقت نفسه يقول عن هذا الكتاب : ”حقا أنه لا يمكن في بعض الأحوال أن نعرف الكاتب الحقيقي لخبر من أخبار ذلك الديوان ، وسبب ذلك أن التراجم والوثائق الأخرى التي أدخلت فيه قد كتبها كتاب مختلفون في مدة حياة البطارقة المتعاقبين أو بعد موتهم بقليل“^(٢) .

فكيف تكون اذن الأخبار التي ترجع الى مصادر من هذا القبيل محل ثقة وتكون كتب التاريخ العربية لا تعدل كتابا حشرت فيه أقوال لا يعلم من هو حاشرها . ولكن الدكتور بتلرله العذر لأنه على ما يظهر لم يبدأ بالبحث عن الطريقة التي كان الرواة يروون بها أخبارهم ويميزون بين الخيث منها والطيب ؛ حتى وصلت اليها سليمة لا يتعدى الاختلاف فيما بينها تحريف لفظ أو اسم أو تاريخ أو سقوط عبارة مما يسهل تداركه بفضل تعدد الرواة — والتشديد في المحافظة على النصوص بالرواية المسندة والتدوين لا بالاستبداد والتشيع لفكرة طارئة أو ميل ، كما فعل في كتابة تاريخ الفتح

(١) فتح العرب لمصر ص ٥١٥

(٢) فتح العرب لمصر ص ٥١٤

بالتجائه الى الظنون والتأويل والتقديم والتأخير . فتغيير المعنى في الأقوال
وتحويل أسماء أشخاص الى أشخاص ، وأسماء أماكن الى أشخاص توضع لهم
أسماء ويشركون في الوقائع والحوادث التاريخية كما مر علينا . حتى جاء كتابه
هذا على أسلوب لا يفهم منه ما هو الأصل الذى نقل عنه وما الذى جاء به
الاستنتاج .

ولقد كان الدكتور ستانلى لين بول محقاً لما أعرب عن ترجمته فى قبول
تلك النصوص التى اعتبرها بتلر أدلة^(١) وقال :

” ... فاذا ذهبنا الى أن ترجمة هذه النصوص صحيحة دقيقة (يريد
كتاب ساويرس) ، وتقويم حياة القديسين وحياة (صمويل القلمونى) ، وإذا
قلنا ان هذه النسخ المخطوطة وأكثرها متأخر العهد ، منقولة نقلاً صحيحاً عن
الوثائق الأصلية الأولى التى يعتمد عليها . وليس لى أن أبدى فى هذا الأمر
رأياً ، اذا سلمنا بذلك كله خرجنا على أن هذه النصوص مجتمعة تدل على أن
قيرس والمقوقس كانا فى نظر هؤلاء الكتاب شخصاً واحداً . وهذا رأى
لا يكاد ينازع فيه أحد ، غير أن لدينا سؤالاً واحداً وهو : هل كان هؤلاء
ممن يعتمد على أقوالهم ؟

وقال : وإنا اذا لم يكن لدينا غير هذه النصوص القبطية الاثيوبية ،
لكان من المحتمل أن نقول : ”إن البرهان قائم على أن المقوقس هو قيرس ،
ولكننا اذا نظرنا الى سلسلة كتب المؤرخين من العرب ... واذا رأينا أن هذه
السلسلة لا يوجد فى أى منها أقل إشارة الى أن المقوقس هو قيرس . اذا رأينا

(١) فتح العرب لمصر ص ٥٠٠ و ٥٠١

ذلك لم يسعنا إلا أن نرى دليلهم قاطعا ولو أنه دليل سلبي ، إذ كيف لا يذكر واحد من هؤلاء المؤرخين أن المقوقس كان قسيسا بله رئيس أساقفة ... ” .

وقد أجب على ذلك الدكتور بتلر ، فقال : ان الدليل السلبي المتخذ من سكوت مؤرخي العرب عن بيان معنى المقوقس له قيمة كبرى في البرهان على أنهم لا يملكون إلا الشك والخلط ، وأنهم في ذكركم لأخباره يبدون أكبر الاضطراب والتناقض . وخالف ستانلي لين پول في قول جاء فيه : « ان مؤرخي العرب يذكرون أن المقوقس صالح العرب ، وأن ذلك يمكن تفسيره بأن المقوقس كان حاكما تابعا قام بمصالحة العرب وأن قبرس البطريق والحاكم الأعلى أقتر ما قام به تابعه وبعث بذلك الى الامبراطور » .

أقول : ومن الغريب أن يؤخذ الدكتور بتلر رواة العرب ومؤرخيهم ويتحدثهم ، لأنهم لم يبينوا معنى « المقوقس » ولا يوجه هذه المأخذة لأصحاب تلك الوثائق الأصلية التي ذكرها أولئك الكتاب الذين كتبوا حياة البطارقة ، فان العرب لم يقولوا وحدهم « المقوقس » بل كان هذا اللقب متداولاً عند أهل مصر وقتئذ ، بدليل وروده في قول بنيامين بطرك اليعاقبة : ” ان المقوقس طردني وشردني “ . كما جاء في كتاب ساويرس .

ولقد أطل في رده على الأستاذ ستانلي واتهم العرب بالشك والخلط ، ناسيا أن تفسيره هو نفسه للنصوص الأصلية لا يمكن وصفه بخير من أنه محاولات عقيمة لتوجيه هذه النصوص نحو الغرض الذي يبتغيه ، وقد ذهب في ذلك الى مدى بعيد ، مع أن الحقيقة لم يكن من المتعذر ادراكها ، إذا توفر الإخلاص واعتدل البحث .

إن وجود قيرس بطركا بالإسكندرية يعطيه السلطة التامة على الأمور الدينية في البلاد كلها، ويجعله متحكما في أموال الكنائس والديور، ووجود المقوقس معه حكما من قبل ملك الروم في آن واحد، جائز ولا يتعذر، لأن تاريخ البطارقة لم يخل من مثل ذلك: فقد روى المقريزي في الباب الذى خصصه في خططه تحت عنوان: « ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية »، وهو من أظرف ما كتب في الموضوع مع الإيجاز والبعد عن الحشو ما نصه: إن ملك الروم كتب الى متولى الإسكندرية أن يعرض على بطرك اليعاقبة تاوداسيوس أمانة المجمع الخلقيدونى، فان لم يقبلها أخرجه. فعرض عليه ذلك فلم يقبله، فأخرجه وأقام بعده بولص التنيسى فلم يقبله أهل الإسكندرية^(١).

ولما جاء عمرو الى مصر كان مثل هذا المتولى موجودا، وقد ذكرنا فيما تقدم نقلا عن المقريزي أن الحصن المعروف بقصر الشمع، كان ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الإسكندرية، وقيم فيه ما شاء ثم يعود الى دار الإمارة ومنزل الملك فى الإسكندرية، وهو ما كان يجريه كما تقدم، المقوقس لا قيرس الذى لم يقل أحد من مؤرخى العرب ان ولاية الحرب كانت له، كما أنهم لم يقولوا عن المقوقس انه كان بطركا. وقد قال الدكتور بتلر إن المقوقس، لم يكن من القبط؛ ولم يكن فى الحصن عند فتحه؛ وإنما كان به عند ابتداء الحصار^(٢). وهو على أى حال لإقرار صريح بما ورد عن وجوده بالحصن لتجهيز الجيوش ضد عمرو.

(١) الخطط ج ٢ ص ٤٩٠ (٢) فتح العرب لمصر الملاحق الثالث ص ٥٥٣

(٣) فتح العرب لمصر ص ٢١٩

وهذا الرأي الذى أبديه ، وهو قصر اختصاص بطرك الإسكندرية على كل ما له علاقة بالكنيسة من الشؤون الدينية وأموال الكنائس والأديرة ، والتميز بينه وبين اختصاص المتولى من قبل القياصرة هو الحل الوحيد ؛ بل هو الأمر الذى كان واقعا . وهل يعقل أنه عند زحف المسلمين على البلاد ، ووجودها فى تلك الظروف الحرجة الدقيقة التى كانت تهددها ويعلم بخطورتها هرقل نفسه ، وقد حاربه المسلمون فى الشام واضطروه الى مغادرتها ، أن يترك ولاية الحرب لأحد رجال الدين الذى كانت أوقاته كلها تشغلها الخصومات المذهبية ؛ وقد فهمنا من قول بتلر أن هرقل أراد حمل الناس على ما أراد " من توحيد المذاهب فى الديانة المسيحية " بالشدة والضغط ، بقاء بقيرس ليحمل القبط بعسفه واضطهاده على الخروج من مذهبهم جبرا واضطرارا .

ويبعد جدا أن من تكون هذه مأموريته ، يعهد اليه بولاية الحرب ، مع أنه لم تكن له سابقة فى مثل هذا العمل كما يدل عليه قول بتلر نفسه : ان هرقل نقل قيرس من ولاية الدين فى فاسيس ببلاد القوقاز^(١) .

ويستند بتلر الى أن جمع السلطة العليا فى أمور الدين والدنيا معا فى شخص واحد لم يكن بدعة جديدة . وذكر على سبيل المثال حادثة وقعت فى القرن السادس ، وهى أن چستينيان (يوسطيانوس) الامبراطور عرض على تيودوسيوس (تاوادسيوس) أن يكون بطريق الإسكندرية وحاكم مصر معا ، اذا هو قبل كتاب ليو ومذهبه الدينى^(٢) .

(١) فتح العرب لمصر ، الملحق الثالث ص ٤٦٢

(٢) فتح العرب لمصر ، الملحق السابع ص ٥١٠

ولكن هذا الدليل أيضا ينقصه النص على أن ولاية تيودوسيوس تشمل قيادة الحرب والشحنة، على أنه هو نفسه أورد عن نيقفوروس خبرا يؤيد ما قلناه من أن الأباطرة كانوا يولون بجانب البطرک من يقوم بأعمال الشحنة والحرب ونصه : ” أن نيقفوروس يذكر أن هرقل بعث الى الإسكندرية ماريانوس وهو قائد حربي ، ليشارك مع قيرس بطرك الإسكندرية في الاستقرار على خطة يسيران عليها مع العرب “ ومن البديهي أن قوله يشترك ، لا يفيد اشترك قيرس في قيادة الحرب ؛ لأن هذا الاشتراك في نظري لا يتعدى ما قام به أبو مريام وزميله بجانب أرطوبون بعد وقعة أم دنين كما تقدم . ويؤيده قول نيقفوروس : إن هرقل أمر ماريانوس أن يشترك مع قيرس في الاحتيال في أمر العرب خاصة . ولا محل لتفسير بتلر أن هذا الأمر ينص على أن قيرس كان له أمر الدنيا ^(١) .

على أن كل هذا لم يرد فيه ما ينفي قول مؤرخي العرب (رواية يزيد ابن أبي حبيب) أنه لما انتقض الروم في وقعة منويل الخصى ” لم يكن المقوقس تحرك ولا نكت “ ، يعني أنه لم يشترك في وقائع الإسكندرية ، ولم يكن هو الحاكم ولا المصالح .

ومن غريب التخريج ما نقلته السيدة المحترمة مدام ديشونشير في كتابها « مصر الإسلامية » ، عن الدكتور بتلر ، وهو أن لفظ المقوقس الغامض قد يكون معناه القوقازي ^(٢) .

(١) فتح العرب لمصر ص ٥١٦ و ٥١٧

(٢) ص ١٣ طبع باريس سنة ١٩٢٦

ويقرب منه قول المرحوم الأستاذ الإسكندري في « تاريخ مصر »^(١) :
وفي المقریزی أنه یسمى المقوقس بن قرط ، ولعله محرف عن سیروس لأن
حرف C ینطق به فی العربية ق كثيرا ، ویلاحظ أن المقریزی ذکر قرقت
بالتاء لا بالطاء . ویغلب علی الظن أن قول الإسكندري منقول عن أصل
أفرنکی . وقد ورد هذا اللفظ أيضا بالطاء فی البحر الزانر^(٢) . وورد فیه أن
حاکم مصر فی وقت فتح مصر من قبل الروم ، كان یوحنا بن قرط الیونانی ،
وهو من الکتب الحديثة وقد تسرب الیه التحریف فی النقل أو الترجمة .

(١) بهامشه ص ١٧٧ ج ١ ، الطبعة الأولى .

(٢) ملك هرقل Héraclius من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ م . (دائرة المعارف الكبرى

الفرنسية المجلد ١٩ ص ١١٣٣) .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقين

عدم الاتفاق على النص :

ذكره محمد بن إسحاق في فتوح مصر، وأورده بنص مختلف عما ذكره بعد ذلك ابن عبد الحكم في فتوح مصر، والقسطلاني في المواهب اللدنية، والمقریزی في المواعظ والاعتبار، ولم يخاطب فيه المقوقس بلقب «عظيم القبط» كما أثبتته هؤلاء، وإنما لقب بصاحب مصر والإسكندرية .

والنص الذي أورده ابن عبد الحكم والقسطلاني والمقریزی للكتاب هو نفسه الذي كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر .^(١)

ولا يوجد بين كتبه عليه الصلاة والسلام الى الملوك كتابان غيرهما بلفظ واحد . ويلاحظ أن لفظ «عظيم» الذي لقب به المقوقس في هذين الكتابين كتب به أيضا عليه السلام لغيره ؛ فقد كتب به الى كسرى وقيصر . وقال القسطلاني : لم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم ، لأنه معزول بحكم الإسلام ولم يخله من الإكرام لمصلحة التأليف .

(١) كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة ست من الهجرة (٦٢٨ م)

بعد أن رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ؛ الخطط للمقریزی ج ١ ص ٢٩ ؛ القسطلاني ج ١

قال : وكان سنة ست «اتفاقا» ، ص ٢٩٠

وفي النص الذي أورده القسطلاني هذه العبارة : "فإن توليت فعليك إثم القبط" . ولم ترد في ابن عبد الحكم والمقرئزي والسيوطي ، ويقابلها في كتاب قيصر : "فإن توليت فعليك إثم الأريسيين" .

الجزم بأن ارسال كتاب الى المقوقس صحيح :

ولاحظ الدكتور بتلر أن أملينو يذهب إلى أن خبر بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى المقوقس كتابا ، في عام سنة ٦ هجرية (٦٢٧ م) ، غير حقيقي . واستدرك على ذلك بقوله : "فليس ثمت ما يبرر تكذيب خبر بعث النبي للرسول الى مصر ، إذ أنه خبر قد قام عليه من الدليل ما قام على أي خبر مصدق من أخبار تاريخ الإسلام"^(١) .

وعلق حضرة الأستاذ محمد فريد أبو حديد معتربا كتاب الدكتور بتلر على ذلك بقوله : "لسنا ندري مقدار هذه الحجمة من الصدق ، مع ما يزعم (الدكتور بتلر) من وجود كتاب بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى «عظيم القبط» ، وفيه يسمى بلفظ «المقوقس» إذ لم يتعرض المؤلف لذكر نص هذا الكتاب ، ثم قال : "وقد راسلنا المؤلف في هذا الأمر وعرضنا عليه أن النبي أرسل رسوله الى حاكم مصر في ذلك الوقت ، وهو «جورج» ولقبه بذلك اللقب ، ولم نجد منه رفضا لذلك الرأي . والظاهر على ذلك أن المقوقس كان لقباً يطلق على كل من يحكم مصر من قبل الروم"^(٢) .

أما من جهة قول الدكتور بتلر : إنه لا يوجد ما يبرر تكذيب ارسال الكتاب الى المقوقس فهو في محله ، بحكم أن مكاتبتة عليه السلام الى الملوك

(١) فتح العرب لمصر ص ٤٥٩ (٢) فتح العرب لمصر ص ٤٥٩ (١) و(١)

وغيرهم داعيا الى الله عز وجل أمر مقطوع بصحته ؛ فإن هذه الكتب وإن لم تذكر كلها بنصها في الصحيحين ، فقد ذكر فيهما ما أرسل الى كسرى وقيصر ^(١) . وروى أن كتاب قيصر قرئ بحضور أبي سفيان ونفر من قريش :
« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم .
سلام على من أتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم
تسلم ، وأسلم ^(٢) ، يؤتكَ الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ،
ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا
نُشركَ به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا
أشهدوا بأننا مسلمون » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل هذا
الكتاب الى قيصر مع دحية بن خليفة الكلبي ^(٣) .

(١) في صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٧٧ ، ان ما ثبت في الصحيحين "من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم" ، وقد أوردنا في المتن النص الوارد في البخارى طبع الميمنية بمصر ج ٢ ص ١٠٠ .
وقد ورد فيه أيضا في ص ٥ وفي صبح الأعشى « بدعاية » بدلا من « بدعاية » .

(٢) في صبح الأعشى للقلقشندى ج ٦ ص ٣٧٧ : « أسلم » غير مسبوقة بواو . وفي الفصل الذى أورد فيه صاحب الشفاء ، جوامع الكلم والحكم المناثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لا يوازي ولا يبارى بلاغة ذكر منها قوله : « أسلم تسلم وأسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين » .
(ج ١ ص ٦٠ طبع الأستانة سنة ١٢٩٠) .

(٣) المواهب ج ١ ص ٢٩٠ ، وقد أشار الدكتور بتلر الى ذلك والى مقتل الرسول الذى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في موقعة . والتبس الأمر على حضرة الأستاذ معرب كتابه فيما يتعلق بهذا الرسول ، فقال : لا يمكن أن يكون المقصود هو « دحية الكلبي » فانه عاد الى النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن أدى رسالته الى قيصر . ولكن لعله يقصد أنه أغار عليه قوم وهو في الطريق فسلبوا ما معه ، وقد يكونون قتلوا أحدا ممن كان في صحبته .

والصحيح في ذلك أن رسول النبي صلى الله عليه وسلم الذى أشار اليه الدكتور بتلر ، هو الحارث ابن عمير الأزدى . وكان النبي عليه الصلاة والسلام أرسله بكتاب الى ملك بصرى فى جمادى الأولى سنة ثمان ، فلما نزل موقعة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني قتلته . قال القسطلاني ولم يقتل =

وذكر في غير الصحيحين ما بعث من هذه الكتب ، بعضها بنصه
وبعضها اكتفى بالإشارة إليه .

وإذا كان الدكتور بتسلم لم يأت بنص كتاب المقوقس ، فقد يكون
استغنى عنه لشهرته وتداوله في كثير من كتب الحديث والتاريخ والسير .
أما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى حاكم مصر ، في ذلك
الوقت ؛ وهو « جورج » فإن هذا الاسم لم ينص عليه . لا في الكتاب
نفسه ولا في الروايات الأصلية المدونة عنه . وكل ما وقفت عليه أن
الذهبي بمناسبة ذكر المقوقس في كتاب ابن منده وأبي نعيم في الصحابة ،
قال عنه في التجريد : لا مدخل له في الصحابة ، فإزال نصرانيا واسمه جريج^(١) .
كما أن الحلبي في « سيرة الأمين المأمون » المعروفة « بالسيرة الحلبية » قال :
والمقوقس لقب ، وهو لغة ، المطول للبناء واسمه « جريج بن مينا^(٢) » ، وهي
أقوال متأخرة ، وقد يكون أصلها قول ابى صالح . وقد بينا في كلامنا عن
أبى المحاسن رأينا في اسم « جريج بن مينا » ولا داعي لذكره هنا .

وإذا كان هناك ما ينتقد بسبب الغموض الذي كان محيطا بهذا الاسم
فأنه لا يتعدى عدم الدقة في النقل والنسخ .

= لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره . فتح العرب لمصر ص ١٢٧ و ١٢٨ والمواهب
اللدنية ج ١ ص ١٨٧) .

قال القسطلاني : مودة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لأكثر الرواة ، وبه جزم المبرد ؛ وجزم ثعلب
والجوهرى وابن فارس بالهمز . وحكى غيرهم الوجهين . وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق .

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٧ (٢) وعند العامة الى وقتنا تطلق كلمة
المقوقس بلفظ (المثوآز) على الشيء اذا علا ولم يكن ثابتا ؛ فيقال للبيت اذا علا وتعرض للسقوط ،
أنه مثوآز . (٣) ثالث ص ٢٧٥

وقد أغفل ابن هشام؛ في السيرة ، في كلامه عن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، ذكر نصه ؛ وهو الذى جمع السيرة النبوية من المغازى والسيرة لابن اسحاق وهذبها وخلصها . ولم يدونه ابن سعد في طبقاته . وكذلك فعل الطبرى في تاريخه ، مع أنه ذكر كتاب المقوقس في مواضع^(١) ، فروى عن محمد بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى المقوقس في ذى الحجة سنة ست ، ثلاثة نفر مصطحين حاطب بن أبى بلتعة . وذكر عن ابن اسحاق ، المقوقس مع لقب صاحب الإسكندرية ، وأنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار منهن مارية أم ابنه ابراهيم . ولم يذكر نص الكتاب في الروايتين .

وينظر بفكرى أن هذا الإغفال قد يكون مقصودا لاختلاف النص عند ابن اسحاق عن غيره .

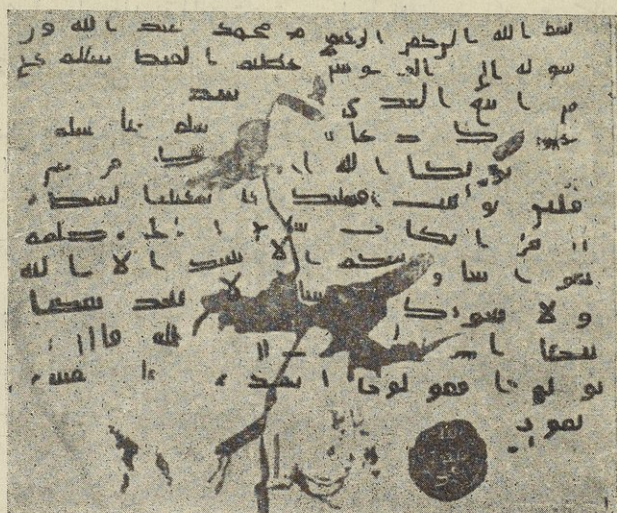
الكلام على المخطوط الذى عثر عليه وقيل انه الكتاب الشريف :

منذ عدة سنين أهدى الى حضرة الأستاذ محمد بك على سعودى صورة فتوغرافية من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس من رسمه ، مطبوعة طبعا جميلا على ورق مصقول ؛ وبجانها نص الكتاب ، مرقوم بقلم نسخ بديع . وقد وردت بها جملة . ” فإن توليت فعليك إثم كل القبط “ ، وفيها كلمة ” كل “ زائدة عما في جميع النصوص التى وقفت عليها ، وكلمة وأسلم الثانية الواردة فى النص المثبت فى فتوح مصر لابن عبد الحكم ، كما سيأتى ، ناقصة .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥ و ٩١

وكانت عندي من قبل صورة أخرى فتوغرافية من هذا الكتاب نفسه
أهديت إلى في بعض زياراتي للإسكندرية من رسم المغفور له الأستاذ الكبير
سليمان زهدى افندى وقد كتب عليها ما يأتي :

صورة الكتاب الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم محتوما بخاتمه الشريف
إلى المقوقس عظيم القبط بمصر ، مع حاطب بن أبي بلتعة ، في السنة السابعة
من الهجرة ؛ وفي سنة ١٢٧٥ عثر أحد الفرنسيين على نفس الكتاب
في كتب قبطية اشتراها من بعض رهبان القبط بدير بلدة إخميم بجهة صعيد
مصر ، فتوجه به إلى السلطان عبد المجيد خان فأمر بحفظه بدار الآثار النبوية
بالآستانة ، وفيه آثار القدم كما هو مشاهد . ونقل هذا محمد على سعودى
بالتوغرافية سنة ١٣١٦ من صورة منقولة عن الأصل ، وحررنا غيرها بقلم
محمد طاهر الأزميرى ، لما كان فيه من التغير ، سنة ١٣٢٨ .



١٤ صفر سنة ١٣٢٨

فتوغرافية سليمان زهدى بالإسكندرية

ومن المقابلة تبين أن النص واحد في الصورتين ، ولوجود الأصل
بدار الآثار النبوية بالآستانة ، اكتفيت بالاعتماد على المدون فيهما ، وهو النص
القائمة عليه الشكوك . وفي الملاحظات التي ذكرتها ما يكفي للنظر الى هذا
الكتاب بحيرة وتردد مع تغلب الشك .

محاضرة عن المخطوط الذي عثر عليه — أقوال بعض العلماء
والمستشرقين عنه — الشبهات الدالة على بطلانه :

وفي أثناء كتابة ما تقدم زارني الأستاذ الفاضل محمد شريف حافظ
سكرتير لجنة حفظ الآثار العربية ، وأطعن على نص محاضرة باللغة الإنجليزية
للأستاذ محمد حميد الله من حيدر آباد ، ألقاها بكلية سان جون بأكسفورد
في ظهر يوم ١١ مايو سنة ١٩٣٩ ، عن بعض كتابات عربية منقوشة على
الحجر يجبل سلع بالمدينة المنورة ، ترجع الى أوائل سني الهجرة . وكانت زيارته
لمدينة في فبراير من تلك السنة . وقد ذكر في هذه المحاضرة ضمنا كتابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس والمنذر بن ساوى ، فقال عن الكتاب
الأول^(١) : إن أصل الكتاب كما هو معروف عثر عليه بطريق الصدفة في دير
على مقربة من إنجيم بالوجه القبلي بمصر ، والذي وجدته بارتيليمية المستشرق^(٢)
الفرنسي ، وحكاية ذلك : أنه وجد في الدير مخطوطا غلافه يتكون من أوراق
ملصقة الواحدة على الأخرى بجانبى قطعة من الجلد ، وتشتمل الأوراق على

(١) نشر الأستاذ محمد حميد الله مع هذه المحاضرة صورتين متوغرافيتين من كتاب المقوقس ،
الأولى من رسم نقل من الأصل المحفوظ بالآستانة نشر بالجريدة الآسيوية في سنة ١٨٥٤
وهو غير متقن ، والأخرى من تصوير حضرة محمد علي بك سعودى كالنسخة التي تفضل
باهداها الى . (٢) Barthélemy .

عدة مكاتبات باللغة القبطية ، فدفعه الفضول لأن يفصل الأوراق بعضها عن بعض فوجد مرقوما على الجلد الذي بوسطها كتابة عربية قرئت فيما بعد واتضح انها كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

وقد ذكر المرحوم حفنى بك ناصف ، هذا الخبر الذى أورده الدكتور محمد حميد الله ، فى كتابه تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية مع زيادة طفيفه ، جاء فيها ان الباحثين لما عثروا على الكتابين المرسلين الى المقوقس والمنذر ابن ساوى ، أخذوا صورتيهما بالتصوير الشمسى وطبعوهما : وأنهما محفوظتان فى الأستانة وثينا ، فى الأولى كتاب المقوقس ، بدار الآثار النبوية ، وفى الثانية كتاب المنذر ، وأن العثور عليهما كان فى زمن المرحوم سعيد باشا والى مصر ، وسمع السلطان عبد الحميد بحديث كتاب المقوقس فاستقدم العالم الذى اكتشفه وعرضت النسخة على العلماء ، فقررروا أنها بعينها كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس فاشتراها منه بمال عظيم^(١) .

وقال الأستاذ محمد حميد الله : وفى دائرة المعارف الإسلامية فى ترجمة المقوقس كشف مطول ذكر فيه واضعه أسماء العلماء الذين فحصوا هذه الكتابة ثم قرروا عدم صحتها .

قال المحاضر : وأعترف أنى شعرت بخيبة أمل لما راجعت أقوالهم .
(أولا) بيكر (Becker) له سطر واحد فى مقدمة ما كتبه^(٢) ، قال فيه :
يحتمل أن هذا المخطوط صفحة من مذكرة عن بعض الأحاديث^(٣) ، والمتبادر

(١) راجع نهاية الأرب ج ١٠ ص ٨١ (١)

(٢) Papyrus Schott Reinhardt (I, 3, n. 3).

(٣) Traditionszettel.

أنه قال ذلك ، ولم يرحق صورة فتوغرافية من الكتابة الأصلية ، لأن مفكرات الأحاديث لم تجر العادة بأن تبصم بختم في آخرها .

(ثانيا) أملينو ، لم يأت بما يستند اليه في ملاحظته التي أوردتها عن هذا الكتاب بأكثر من قوله : وليس في وسعي أن أقول إن هذا المخطوط له أي قيمة تاريخية ، لأنني أنظر اليه بعين الريية ؛ ومن الدور المهم الذي قام به المقوقس يفهم لماذا وضعت له هذه الأسطورة ، ولم يذكر سببا آخر .

(ثالثا) كراباتشك^(٢) ، وعد أن يضع نبذة خاصة في الموضوع ، ولكنه فيما أعلم لم يتمكن من ذلك ، وكل ما كتبه رغم هذا الوعد أن هذا المخطوط مكتوب بقلم لا يرجع في القدم الى عهد الهجرة .

(رابعا) جورجي زيدان ، جرأ أن ينكر في سنة ١٩٠٤^(٣) خبر نشر الخطاب في الجريدة الأسيوية في سنة ١٨٥٤ ، ولا أدري إذا كان كتب شيئا آخر عن هذا الموضوع بعد ما أكد له البروفسور مارجوليوت الخبر بخطاب .

(خامسا) كياتاني ، لم يذكر شيئا عن خبر المخطوط ، ولكنه استنكر أن يبعث أحد البطاركة جارين مسيحيين لعربي لا يدين بالمسيحية (يريد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام)^(٤) . وأخذ يغط بكلام مهم عن صعوبة الاهتداء الى معرفة شخصية المقوقس .

(١) . Amélineau (J. A., 1888, II, p. 392.)

Beiträge zur Geschichte der Mazjaditen, Leipzig 1874, (٢)

p. 34-35. (٣) الهلال بالقاهرة سنة ١٩٠٤

(٤) . Annali dell' Islam, anno 6.

(سادسا) الأستاذ جاستون فييت ، ذكر في تعليقه على ما ورد في خطط المقریزی عن هذا الكتاب اعتراضين :

(الأول) إن كتاب المقوقس ، فيما خلا عنوان المرسل اليه ، ينطبق كلمة فكلمة على نص الكتابين اللذين زعم بأنهما أرسلتا من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي وهرقل .

(الثاني) إن هذا الكتاب رغم ما هو معروف عن بيعه الى السلطان عبد المجيد الأول ، يوجد خطاب مماثل له عند أحد أعيان القاهرة .

ولم يزد شيئا على ذلك فيما يتعلق بهذا الخطاب الأخير .
ثم قال الأستاذ محمد حميد الله : أما عن الاعتراض الأول ، وهو اتحاد النص في الكتب الثلاثة أليس في وسعي أن أقول : إن هذه الكتب حررت في يوم واحد وأرسلت الى الملوك وكلهم مسيحيون ووجهت فيها اليهم الدعوة الى الإسلام بنص واحد ؛ وليس من الممتنع حتى في مكاتبات القرن العشرين ، إرسال كتب متشابهة النص على هذه الصورة .

(سابعاً) نولدك^(١) ، قال : لا يوجد ما يدعو الى الشك في هذا الكتاب الوارد نصه في كثير من الكتب المعدودة من أحسن المراجع العربية .

قال ذلك في الطبعة الأولى من (1860, Geschichte des Quran, p, 140) ؛ ولكن في الطبعة الثانية^(٢) منه ، اعترض عليه شمالي Schwally بثلاثة أمور :

(١) Noldeke .

(٢) سنة ١٨٦٠ (ص ١٩٠ رقم ٣) .

الأمر الأول: أن الختم بالطينة Tonsiegel هو الذي كان متداولاً في ذلك العهد. أما الختم بالحبر فلم يكن معروفاً.

ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذا القول. وقد جرت العادة أن يستعمل الختم بالطينة في الغلافات لا في ختم الكتب من الداخل. وقد ذكر ابن عساکر أن النبي صلى الله عليه وسلم ختم بالطينة مرة واحدة لأن ختمه لم يكن معه في معاهدة الأكيذر، (كما أورده ابن حجر في الإصابة، انظر: وهب بن الأكيذر) وهذا هو النص الوحيد، ومع ذلك أخشى أن يكون وروده بهذا النص عن تحريف وقع من الناشر في قراءة النسخة الأصلية من كتاب ابن حجر؛ لأن الخبر نفسه وارد في كتز العمال^(١)، عن ابن عساکر أيضاً وتقرأ «ختمه بظفره» (وهي عادة قديمة كانت متبعة عند الأمم السامية، خصوصاً في الحيرة مهد الأكيذر) لا «ختمه بطينة» كما هو وارد في الطبقات المطبوعة لابن حجر، والشبه متوفر بين اللفظين كتابةً. ونجد فيما بعد في جغرافيا ابن رسته ص ١٩٢، وفي لطائف المعارف للشعالي من رواية الكفائي، أن أول من استعمل ختماً بالطينة بين المسلمين أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. يضاف إلى ذلك أن ما ذكره ابن حجر وارد في الطبقات لابن سعد، وفي المغازي^(٢) للواقدي؛ وفي الكفائيين ختمه بظفره.

(١) رقم ٥٦٦٠ و ٥٦٦١ و ٥٧٠٤

(٢) ذكره Meissner, Babylonien und Assyrien, I, 179. وكذلك

Krückmann, Ch. Edwards وغيرهم.

(٣) المجلد الثاني ج ١ ص ١٢٠

(٤) النسخة الخطية بالمتحف البريطاني ص ٢٣١، حرف أ (a).

قال الأستاذ محمد حميد الله : وما يؤسف له أن مختصر تاريخ دمشق^(١)
لابن عساكر المشتمل على معاهدة الأكيكر ، لم يذكر فيه الختم بالمزة^(٢) .
(١) (المجلد الأول ص ١١٥) .

(٢) ورد في الحديث الشريف : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى بعض العجم ، فقبل له : يا رسول الله انهم لا يقرءون كتابا غير مختوم ، فأمر أن يتخذ له خاتم ، فاتخذ له خاتم من فضة نختم به ؛ وكتب الى من أراد أن يكتب له من الأعاجم ، ونقش عليه مجد رسول الله ثلاثة أسطر وكان الخاتم في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قبضه الله تعالى ؛ ثم تختم به أبو بكر رضي الله عنه حتى قبض ، ثم تختم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى قتل ، ثم تختم به عثمان رضي الله عنه ، فبينما هو ذات يوم على برأريس من بشار المدينة اذ عث بالخاتم فسقط من يده ، فزح كل ما كان في البئر من الماء فلم يوجد ، فلها يأس منه أمر أن يصاغ له خاتم مثله وينقش عليه «مجد رسول الله» ففعل ذلك وتختم به . قال القلقشندي هكذا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب» وبعضه في الصحيح . وقال القلقشندي أيضا : وقد اختلف في أول من اتخذ الخاتم ، فروى محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة» بسنده الى ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر يلبسون خواتم ولا يطبعون كتابا ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انك تكتب البنا بأشياء ليست لها طوابع ، فاتخذ عند ذلك عمر طابعا يطبع به ونختم الكتاب ، ولم يكن قبل يخرم ، قال ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الختم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الختم . وذكر الطبري في تاريخه أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان في خلافته .

وقال : ومن كلام عمر رضي الله عنه : " طينة خير من طنة " يعني أن ختم الكتاب بطينة خير من طنة تقع في الكتاب بالنظر فيه أوزيادة أو نقص . والطنة التهمة . ومن كلام غيره : " اختم سلم " ؛ ومن كلام غيره : " إن طينت وإلا وقعت " ؛ يعني إن طينت الكتاب وإلا وقعت في المحذور . ويقال أن في ختم الكتاب تعظيما للكتوب اليه ... ولم تزل كتب العرب منشورة حتى كتب عمرو بن هند الصحيفة الى المنهل ، فقرأها ولم يوصلها . فحتمت العرب الكتب من حينئذ .
صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٥٢ - ٣٥٥

والمبتدأ أن ختم الكتب كان ممكنا باستعمال المادة التي يكتب بها . وفي التاريخ القديم أن الختم في مصر وفي غيرها من بلاد المشرق عامة كان متداولاً منذ القدم في المخابرات التجارية والسياسية حتى لا تسرب مضمونها . قيل ويرجع ذلك الى بعض أوهاام دينية . وعلى توابيت الموتى صور للعبودتين ايزيس ونفتيس تطبعان الأرض بخاتم . وقد ذكر ذلك في دائرة المعارف الفرنسية ج ٨ ص ٦٦٥ ؛ ولكن العلماء الاخصائيين في التاريخ القديم ينكرون تأويل ذلك بالختم على الأرض لأنه لا معنى له وأنه من الرموز التي لم ينه البحث في أمرها . وما زالت بصمة الخاتم من العهد القديم تستعمل كإمضاء عند الذين يكتبون وعند الأميين .

الأمر الثاني : أن الكتاب إذا كان رسمياً يجب أن يدون فيه اسم كاتبه وحامله .

وهنا ردّ الأستاذ محمد حميد الله على ذلك بقوله مداعبا : إني أخشى أن (شثالي) ، وهو يقول ذلك ، كان يفكر في أنظمة القرن العشرين أو على الأقل في وزارة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية ، أما وزارة الخارجية العربية في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، فالمعروف أنه حتى بعد مضي ست سنوات من هجرته عليه السلام إلى المدينة ، ولأول مرة في تاريخ العرب كانت المساعدة التي طلبت من هذه الوزارة ، إرسال خطاب إلى ملك أجنبي ، وقد دعا الأمر إلى شيء غير قابل من الأخذ والرد ، إلى أن رأى النبي عليه الصلاة والسلام لزوم عمل ختم له نقش عليه اسمه .

الأمر الثالث : من المحتمل أن الكتب في تلك الأيام لم تكن تكتب بالقلم الكوفي ، كما هو وارد في الكتاب الأصلي المزعوم .

قال الأستاذ محمد حميد الله : ولست بحاجة لتضييع الوقت في مناقشة قول كهذا ؛ فإثله غير واثق منه .

وقال : وفي الواقع إن هذا الكتاب يحتاج لأن يفحصه اخصائيون قبل البت في أمره نهائياً .

أما فيما يتعلق بالكتاب الثاني المرسل إلى المنذر بن ساوى ، أمير البحرين الفارسي ، فلا يوجد غير مذكرة قصيرة لفليسشر^(١) (Fleischer) ، وقد وصفها (شثالي) بأنها تنفي صحة الكتاب بالمترة .

(١) المباشر لطبع ZDMG التي أدمجها فيما بعد في Kleinere Schriften .

والمعلوم عن هذا الكتاب ، أن فليسشر وصله خطاب من المالحق للسفارة الألمانية بالآستانة يقول فيه : إن بعض الإيطاليين أحضر إليه من دمشق مخطوطا معروضا للبيع وأرسل مع الخطاب صورة فتوغرافية من المخطوط الأصيل منقولة بالرسم . وقد نشرها فليسشر مع تعليق عليه بدأه بقوله :^(١) يظهر أن الايطالى صاحب المخطوط أراد أن يتحقق إذا كانت الفرخة التى أنتجت البيضة الذهب لمن باع خطاب المقوقس ، ما زالت على قيد الحياة؟ وما قاله بعد ذلك يتلخص فيما يأتى :

(١) ان المعروف عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه أرسل كتابا الى المنذر لم يتخلف نصه فى أى كتاب من كتب التاريخ .

(٢) ان بضعة سطور من أول الكتاب تشتمل على اسم المرسل والمرسل إليه واضحة مقروءة ، وما بقى بعد ذلك ما هو إلا سطور تقليد لكتابة عربية .

(٣) ان الشطر الأخير به بعض كلمات عربية يمكن قراءتها ، وإنما بها غلطات ظاهرة لا يمكن نسبتها إلى كاتب عربى .
وعلق الأستاذ حميد الله على ذلك بقوله :

(أولا) إن القول بأن نص الكتاب غير وارد فى المصادر العربية يرجع الى نقص فى البحث ، لأن السهيلي وأبن طولون والقلقشندى وأبن القيم الجوزى وآخرين ذكروا النص بالكامل . وقد أورده من المتقدمين ابن سعد ، ولدينا مصادر عديدة يتفق ما هو مدون فيها مع نص الكتاب الأصيل الموجود .

(١) فى Z.D.M.G.

(ثانياً) الاعتراض الثاني يكفيننا أن نتركه على جانب لأن مجرد التمعن فيه قليلاً يمكننا من تلاوته كلمة كلمة إلى الآخر، وما قيل عنه أنه تقليد مظهره كتابة عربية لا معنى له، ما دام في الإمكان قراءة جمل فصيحة منه؛ وهو دليل على أن ما بقي بعد هذه الجمل لا يتعذر قراءته وقد قرئ .

وبعد أن بين الأستاذ حميد الله الخطأ الظاهر في التهجئة ودلل على أنه يرجع إلى عدم إجادة رسم الحروف، تكلم عن هذه الحروف حرفاً حرفاً وذكر قول فليسشر فيها، ثم قال : وإني أكرر أن ما قمت به من النقد يجب ألا يؤخذ كدليل، على أني أعتقد صحة الكتاب، لأنني لم أقصد إلا أنه يدعو إلى استئناف البحث في أمره، فإن ما كتب عنه لم يتحزّر لأن من شكوك خطيرة؛ وليس من العسير توضيح النقط التي تناولها الاعتراض فيما كتب عن ذلك .

مما تقدم تبين أهمية هذه المحاضرة النفيسة التي عنى بها الأستاذ محمد حميد الله . وقد اكتفينا بأن نقلنا عنها ما له علاقة ببحثنا .

وقد استرعى نظري في هذا البيان عدّة أمور :

منها : نسب عند ذكر كتاب النجاشي إلى جناب الأستاذ جاستون فييت أنه يقول : إن هذا الكتاب يتفق في نصه مع كتابي النبي عليه الصلاة والسلام إلى قيصر والمقوقس . وهو عين ما قلناه، إلا فيما يتعلق بكتاب النجاشي . ولما راجعت أقوال الأستاذ جاستون فييت ، رأيت في تعليقاته بكتاب المواعظ والاعتبار (الخطط) للقرنيزي ، طبع المعهد العلمي الفرنسي^(١) يقول : إن نص خطاب المقوقس الوارد في هذا الكتاب مطابق تماماً لنص

كتاب هرقل ، ثم عاد فقال : إنه وإن قال أولاً ان الكتب التي أرسلت من النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك كانت كلها بنص واحد ، فإنه اطلع بعد ذلك على « ديوان الانشاء » فوجد أن الكتب التي أرسلت إلى هرقل والمقوقس وكسرى والنجاشي يختلف بعضها عن بعض في نصه اختلافا تاما ، وأورد الفقرة الخاصة بذلك للدلالة ، وهي : ” وكتب إلى المقوقس بمصر على يد حاطب بن أبي بلتعة اللخمي : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس بمصر ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولا ، وأنزل عليّ كتابا قرآنا مبينا ، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس في ملتي ، فإن أنت أطعت سعدت وإن أنت أبيت شقيت والسلام “ . وهو نص مأخوذ في الأصل عن ابن اسحاق مخالف للردون في المخطوط الذي عثر عليه وسنأتي به كاملا .

والمتبادر أن الأستاذ محمد حميد الله لم يقرأ ما كتبه الأستاذ فقيت كله ، لأنه ذكر حضرة الأستاذ محمد علي سعودي بك وقال : إن الأصل قد يكون موجودا عنده . وحقيقة الأمر أنه لا يوجد خطاب آخر كالذي وجدته بارتليميه ، وإنما الموجود عند حضرة محمد علي سعودي بك صورة منقولة عن الأصل المحفوظ بالآستانة ، كما روى الأستاذ محمد حميد الله حكايته في محاضراته .

ويغلب على ظني أن الأستاذ فقيت لما كتب تعليقاته ، كان مسافرا ولم يكن عالما بأن الأصل بالآستانة .

وقد بينا فيما تقدم ان اتفاق النص بين كتبه عليه الصلاة والسلام الى الملوك، من واقع الروايات الموجودة، هو فقط في كتابي قيصر والمقوقس؛ وقد وقفنا على نص كتاب هرقل كما ورد في صحيح البخارى .

وقد دونه الطبرى في تاريخ الأمم والملوك بالنص الآتى :

”بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، أَسَلِمَ تَسَلَّمَ ، وَأَسَلِمَ يُؤْتِكُ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَتَوَلَّ فَإِنَّهُمُ الْإِكَارِينَ عَلَيْكَ“^(١) يعنى تَحَمَّأَ لَهُ .

وورد بنص آخر ، قال عنه القلقشندى : وذكر أبو عبيد في « كتاب

الأموال » : أن كتابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل كان فيه :

”من محمد رسول الله الى صاحب الروم ، إني أدعوك الى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، وإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية فإن الله تعالى يقول : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . وإلا فلا تتحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية“ ؛ قال : وأراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحرث .

ثم قال القلقشندى : ” وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب

اليه : « من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم“^(٢) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ح ٣ ص ٨٧

(٢) ج ٦ ص ٣٧٧ وقال القلقشندى ، إن الذى كتب اليه : « قيصر ، وقيل نائبه

بالشام » ؛ ج ٦ ص ٣٧٦

أما كتابه صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، فلم يذكر في الصحيحين
نصه . وهو فيما ذكر ابن عبد الحكم :

” من محمد رسول الله الى المَقْوَقْسِ عظيم القبط ، سلامٌ على من أتبع
الهدى . أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلمْ تَسَلِّمْ ، وأسَلِّمْ يُؤْتِكَ اللهُ
أجرَك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون “ .

وقد نقلناه عن صحيح الأعمش للقلقشندي بلفظه منقولاً عن ابن عبد الحكم^(١) ،
ولكن النسخة المطبوعة بليدن من فتوح مصر لابن عبد الحكم ، لا يحتوى
فيها كتاب النبي عليه السلام الى المقوقس على عبارة ، ” فإن توليت فعليك
إثم القبط “ .

وإذا أثبتنا هذه العبارة باعتبار أنها أصلية ، يكون النص واحداً في كتابي
قيصر والمقوقس ، ويقابل لفظ « القبط » في كتاب المقوقس^(٢) كلمة
« الأريسيين » في كتاب قيصر .

أما كتاب النجاشي ، فهو فيما ذكره ابن إسحاق ونقله القلقشندي : ” من
محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة ، إني أحمد اليك الله الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم البتول ، الطيبة الحصينة ،
حملته من رُوحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك الى الله وحده
لا شريك له ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فيني رسول الله ،

(١) ج ٦ ص ٣٧٨

(٢) الكلام هنا عن كتاب المقوقس المدون نصه في المخطوط لا المنقول عن ابن إسحاق .

وإني أدعوك وحنودك إلى الله عز وجل . وقد بلغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصحي ، وقد بعثت اليكمُ ابن عمي جعفرًا ومعه نفرٌ من المسلمين ، والسلام على من أتبع الهدى^(١) .

وهو نص واضح يخالف ما جاء في كتابي قيصر والمقوقس ولا يتفق معهما كما زعم في القول المنسوب للأستاذ جاستون ثييت ، بل يخالف أيضا النص الذي أورده أبو عبيد في « كتاب الأموال » .

قال القسطلاني في المواهب^(٢) : وهذا النجاشي هو أحمة الذي هاجر إليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة ، وكتب إليه ... مع عمرو بن أمية الضمري سنة ست من الهجرة فأمن به ... وتوفي في رجب سنة تسع ، ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة .

وأما النجاشي الذي ولى بعده وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، فكان كافرا ولم يعرف إسلامه ولا اسمه . وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما . وفي صحيح مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي وليس بالذي صلى عليه .

وقد ذكر ابن اسحاق أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن فيه :

” من محمد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولا وأنزل علي قرآنا ، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس في ملتي ،

(٢) ج ١ ص ٢٩٢

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٧٩

وقد دعوتك الى الإقرار بوحدانيته ، فإن فعلت سعدت وإن أبيت شقيت والسلام .“

ونقل الواقدي هذا النص عن ابن إسحاق ، وقد أورده القلقشندي في صبح الأعشى ، وقال : ذكره الواقدي ^(١) .

على هذا الوجه انتهى الأمر الى أن تكّابى هرقل والمقوقس وحدهما وردا بنص واحد . وهذا لا يؤثر في اعتراض الأستاذ جاستون قيث المبنى على اتحاد النصوص ، لأنه رغم ما أبداه حضرة الدكتور محمد حميد الله ، مازال هذا الاعتراض في نظري قائما يقويه الشك المترتب على رواية نص مغاير لكل من تكّابى هرقل والمقوقس ، ثم سكوت البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة رجال الحديث وأصحاب السير المتقدمين عن إثبات نص كتاب المقوقس .

ولا يكفي الاستناد الى احتمال أن الكتابين حررا في وقت واحد وإمكان إرسال عدّة كتب بنص واحد . ومهما يكن لهذه الاعتبارات من الوجاهة نجد ما يحول دون قبولها ، وهو تقدم ابن إسحاق بالنص الذى أورده . وقد نشره القلقشندي مع النص الذى ذكره ابن عبد الحكم .

ومن ذلك عبارة : ”وإن توليت فعليك إثم القبط“ ، فقد وردت في بعض الروايات وأغفلت في البعض الآخر ثم ظهرت في المخطوط الذى وجد بالدير ، وقد زيد فيها لفظ ”كل“ ، فصارت ”وإن توليت فعليك إثم كل القبط“ على أن كتاب هرقل الموجود فيه هذه العبارة مع كلمة الأريسيين بدلا من القبط لم يرد فيه لفظ ”كل“ .

كذلك الختم المبصوم به كتابه عليه الصلاة والسلام، الى المنذر بن ساوى كما هو ظاهر في الصورة الفتوغرافية المدقونة في المحاضرة يختلف خطه اختلافا ظاهرا عن الختم الموقع به على كتابه الى المقوقس .

تعليقات أوردها جناب الأستاذ فبييت على المقوقس ومارية :
وقد ذكر الأستاذ جاستون فبييت في تعليقاته أن المقوقس الذى وصله كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قد يكون شخصا آخر غير المقوقس الذى ورد ذكره في حديث فتح مصر، وأن القول بأن الاثنين شخص واحد يعترضه إشكال ظاهر . ثم قال : إن ابن إياس يقول عن مصدر لم نقف عليه : واستمر المقوقس قائما بملك مصر نحو إحدى وثلاثين سنة حتى افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه الديار المصرية وانتهى في سنة عشرين من الهجرة النبوية (٦٤٠ م) . وإن هذه المدة ترجع به إلى سنة ٦٠٩ ميلادية، فيكون هو الذى وصله كتاب النبي عليه الصلاة والسلام وعمل معاهدة الصلح مع عمرو بن العاص .
قال : وهناك ثلاثة آراء أبدت بصدد ذلك .

الرأى الأول، لمسيو كازانوقا^(٣) : ” إن المقوقس هو بنيامين البطرك، وهو الثامن والثلاثون من البطاركة اليعاقبة (٦٢٢ — ٦٦١ م) وإنه في وقت الفتح استغل سلامة نية العرب وأوهمهم أنه المقوقس “ .
الرأى الثانى، للدكتور بتلر^(٤) : ” إن المقوقس هو قيرس البطرك الملكانى . وبما أن قيرس أقيم بطركا في سنة ٦٣٠ ، فلا يكون هو المقوقس الذى وصله الكتاب النبوى في سنة ٦٢٨ “ .

(١) الخطط بولاق ج ١ ص ٢٨٩ (٢) ص ٢٠

(٣) Description de l'Égypte, M.I.F. III, p. 114, n. 2.

(٤) The arab conquest of Egypt, appendix C.

الرأى الثالث، لمسيو أميلينو^(١) : ”إن المقوقس شخص آخر غير قيرس الذى انتزع مكانه، وغير بنيامين الذى ناله اضطهاده“ .

وقال الأستاذ فييت : ”إن مسيو كازانوفا جمع فى كلمته كل ما ورد من أسماء المقوقس، وإنه يكتفى بأن يذكر منها الألقاب التى أطلقتها عليه مؤرخو العرب“ . ولما كانت لا تخرج عما أوردناه فى البيانات المتقدمة فقد تجاوزنا عنها .

وقال إن ابن إياس يقول : إن المقوقس أحد ملوك القبط^(٢) . وفى فتوح البهنسا قيل : إنه ”كان يدفع الجزية لقبصر ملك الروم“ وفى الكندى^(٣) : ”كان فى طاعة هرقل“^(٤) . وفى تاريخ ”البربر“^(٥) : كان حاكم الإسكندرية وبرقة ومصر، وكان هرقل يأخذ منه الجزية“ . وان فانسلب Vansleb ذكره ثلاث^(٦) مرات باسم حنا (جان) المقرقس والمقوقس والمكوكس وأنه من عظماء الأقباط وكان حاكم مصر القديمة أو وزير هرقل، وأنه فى السناكسیر القبطى^(٧) الذى ذكره أميلينو، رئيس المذهب الخلقيدونى وكان وزيرا وبطركا على مصر، وفى الوشقتين اللتين نشرهما أميلينو أن Kaukhios (المقوقس) كان بطركا على مصر . وفى تاريخ بطاركة الإسكندرية لساويرس الأشمونينى^(٩) :

(١) Fragments Coptes. 7. A. 1888, II, p. 406.

(٢) ج ١ ص ٢٩؛ مروج الذهب ج ٢ ص ٤١٢

(٣) ص ١٤٤ (٤) تاريخ الولاية ص ٨

(٥) ج ١ ص ٢٠٨. De Slane, Histoire des Berbères I, p. 208.

(٦) Relation d'Égypte, p. 66, 127, 287.

(٧) J. A. 1888, II, p. 406.

(٨) J. A. 1888, II, p. 363-378.

(٩) Fasc. IV de la Patrol. or., p. 489.

أقام هرقل قيرس حاكما وبطركا ، وبعد هروب بنيامين انتقلت السلطة اليه .

وقال : ان هذا النص يقرب من قول ابن دقماق عن ابن عبد الحكم ؛ وجه هرقل ملك الروم المقوقس أميرا على مصر ، وجعل اليه حربها وجباية خراجها ، فنزل الإسكندرية ^(١) .

وانتقل الأستاذ فبيت الى القول : اننا اذا راعينا هذه النصوص ووجه خاص النص الذي أورده ساويرس الأشمونيني ، نجد أن ألقاب المقوقس كلها لا يمكن تطبيقها إلا على قيرس البطرك ، لا على بنيامين الذي كان فارا من المقوقس . وفي الوثيقة القبطية الأولى ، يقول القديس أبا صمويل ^(٢) وهو يخاطب الكاوخيوس : ” ان البر في طاعة الله وطاعة وليه البطريق بنيامين وليس في طاعتك والدخول في مذهبك الشيطاني “ . وفي المقرزي : ” لما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر ، توجه الى موضع القسطاط ، فكان يجهز على عمرو الجيوش ، وكان أول موضع قوتل فيه الفرما . فانتته الروم قتالا شديدا نحووا من شهر ثم فتح الله عليه . وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين ، فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو ^(٣) وقد تقدم هذا الخبر .

وذكر الأستاذ فبيت فقرة للسيوطي ^(٤) من ترجمة بيلين ، جاء فيها أن المغيرة (ابن شعبة) قدم على المقوقس وعلى أسقف من القبط يسمى أبو ميامين

(١) ج ٥ ص ١١٩ . (٢) ص ٣٦٨ ، راجع أيضا فتح العرب لمصر ص ١٦٥ .
(٣) الخطط ج ١ ص ٢٨٩ . (٤) J. A. 1854. II, p. 517.

وعلق على ذلك بأن النسخ الأخرى المطبوعة من السيوطي والنسختين الخطيتين الموجودتين بالقاهرة لم يرد فيها اسم الأسقف^(١) .^(٢)

ثم قال ؛ وبين الشخصين (يعنى الذى وصله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخ الذى عمل المعاهدة مع عمرو) : بعد فتح بابلون ، كان الثانى ولا شك هو الذى قام بالدور التاريخى الأهم ؛ المقطوع به وهو الواقع . وكان اعتماد بيلين على نسخة خطية محفوظة بمكتبته ، ويغلب على الظن أن هذا الشخص هو الذى كان يعرف عند العرب بالمقوقس ، ولما تكرر ذكر المقوقس فيما بعد فى الروايات غلب على الاسم الذى كان يعرف به حتى نسى ، وكان من السهل أن يعتبره مؤرخو المسلمين عنوان وظيفه ، وصاروا يلقبون به من كان فى نظرهم الحاكم على مصر فى أول القرن السابع الميلادى .

وقد ذكره ابن الزيات فى الكواكب كأحد الرؤساء ، فقال "اننا وصلنا الى مصر ومنتظرون ما تأمرنا به فى مقوقسها وفى فتحها" ، وقد جاء ذلك على وجه أوضح فى القاموس ، وفى تاج العروس ونصه : المقوقس لقب من ملكهما (مصر والإسكندرية) : فكان فى نظر مؤلفيهما يعادل ملك مصر .

ونقل كوسين دى پرسيفال (Caussin de Perceval)^(٤) من تاريخ الخميس : "كان حاكم مصر القبطى جريخ بن متى المعروف عند مؤرخى العرب بالمقوقس ، وهو لقب حاكم الإسكندرية كما أن قيصر لقب ملوك الروم" .

(٢) راجع السيوطى ج ١ ص ٦٢

(٣) ص ٨

(٥) فى الأصل جريخ بالحاء المهملة .

(١) راجع ص ٤٣ تاريخ نمرة ٨٢ و ٨٤

باب « كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٤) Essai, III, p. 192.

وفي ديوان الإنشاء^(١) : " كان كل من ولى مصر يسمى المقوقس وأن المقوقس الذى كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم يسمى جرير بن ميناء بن قرقب من القبط من ذرية حام بن نوح " .

قال الأستاذ فقيت : ولم يكن إذن مستغربا أن يطلق هذا اللقب فيما بعد على من وصله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن العلاقات بين مجد ومصر تحوم حولها شكوك كثيرة . فلقد كان من اللازم أن يجعل للفتح الإسلامى صبغة شرعية ، فلما رفض المقوقس حاكم البلد أن يعتنق الإسلام أصبح الجهاد مشروعاً ، ولم يأت اكتشاف بارتيليميه فى سنة ١٨٥٠ لخطاب النبي عليه السلام بشيء جديد يترتب عليه أى تعديل فى هذا القول ، لأن الظاهر على هذا الكتاب أنه كتاب مزيف .

وذكرنا الأستاذ فقيت ما قاله نولدك ، وشقالى ، مع اعتراضه الذى تقدم على الكتاب ثم قال : وقد نقل الينا التاريخ الإسلامى لذلك العصر على صورة لا يمكن تصديقها مطلقاً . وفى نظره أن ما قيل بحصوله من الاتصال بين النبي ومصر اخترعه رواة الحديث من أهل مصر . وقال : ان هناك مجموعة من الأحاديث تدعو المسلمين أن يعاملوا القبط بالحسنى ، وان حديث حاطب بن أبى بلتعة من حيث التفصيل يذكره بحكايات ألف ليلة وليلة . وكذلك وصف وصول حاطب والمقوقس فى مجلس مشرف على البحر ، وإشارته اليه بالكتاب وهو بين اصبعيه وغير ذلك الى ما قاله الواقدى^(٢) . ثم قال : وبصرف النظر عن نص الكتاب وما بينه وبين ما كتب به الى

(٢) الخطط للقرينى ج ١ ص ٢٩٠

(١) Paris, 4439. f. 10 ro.

(٣) فتوح الشام ج ٢ ص ٥٩ - ٦٣

هرقل من التماثل ، يكفى النظر الى الأسلوب الغريب الذى اتبع فى محادثة المقوقس وحاطب ومقارنتها بمحادثة هرقل وأبى سفيان . وفيهما يتبين الغرض من هذه الأحاديث : وهو اعتراف هرقل والمقوقس بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ، وقول هرقل ان محمدا مذكور فى التوراة والإنجيل .

ثم قال : وفى وصف هدية المقوقس وهى البغلة والحمار والعسل والثياب ومارية وأختها أو أختها من دقة الوصف ما يثير الالهام ؛ فقد عنى فيه حتى بذكر اسم البغلة والحمار .

ولا يبعد أن مارية القبطية أم إبراهيم لم يكن لها وجود ، وإبراهيم لم يعش طويلا ، والمدة القصيرة التى عاشها اتخذت وسيلة لتأليف القبط ؛ وكذلك مارية . وقد دأب رجال الحديث من المسلمين على إظهار محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم محتفظا بتقاليد أنبياء بنى إسرائيل ؛ وروى حديث جاء فيه : صاهر الى القبط من الأنبياء ثلاثة : إبراهيم ويوسف ورسول الله عليهم الصلاة والسلام .^(٢)

ثم قال : وفى نظرى وهو شئ طبيعى ، أنه لم يكن هناك شخص يسمى المقوقس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا الشخص لم يوجد إلا فى عهد الفتح ؛ فهو إذن قبرس البطريرك وقد اتفق عليه الجميع .^(٣) ولا معنى إذن للبحث عن الشخص الذى يذكره العرب بقولهم المقوقس ، فى عصر النبي عليه السلام ، ويعده بعضهم من الصحابة . وقد اضطر مسيو كازانوفا ،^(٤)

(١) راجع البخارى ج ١ ص ٥٥ ، وج ٢ ص ٩٩ و ١٠٠ .

(٢) السيوطى ج ١ ص ٦ .

(٣) راجع كازانوفا ، p. 116, n. 5. Description de l'Égypte .

(٤) الكتاب السابق : ص ١٤ رقم ٢ .

في الجدول الذي وضعه بأسماء المقوقس العربية، أن يقرّر أن جريج قد يكون اسم البطرك المملكاني الذي خلفه قيرس . وهذا ينقض القول بأن المقوقس هو بنيامين؛ ومع ذلك فإن بنيامين كان يكتب دائما أبو ميامين ^(١) .

وأشار الأستاذ ثيبت الى الأقوال التي أثارها لفظ « المقوقس » من حيث معناه . ونكتفي بأن نوجه النظر الى ما ورد عن ذلك في كتاب فتح العرب لمصر للدكتور بتلر بالملحق الثالث ، والى ما كتبه الأستاذ ثيبت في تعليقاته التي نحن بصدد ^(٢) .

وذكر بعد ذلك الأستاذ ثيبت أقارب المقوقس الذين وردوا في الروايات العربية وهم الهاموك من أخواله ، وكان على دمياط لما قدم المسلمون الى أرض مصر ، وقد ذكره الواقدي باسم الهاميراك ، وقتل ابنه في الحرب واستأن هو للمسلمين ، ولحق ابنه شطا بالمسلمين ومعه عدّة من أصحابه ، وقد أسلم وخرج الى البرلس ^(٤) والدميرة ^(٥) وأشمووم ^(٦) طنّاح ، فحشد أهل تلك النواحي وقدم بهم مددا للمسلمين وسار بهم لفتح تنيس ^(٧) ، وقاتل حتى قتل . ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط .

- (١) راجع على الخصوص ، الخطة للقرنيزي ج ١ ص ٢٨٩
- (٢) راجع الأمر الفرنسي بالحاشية ص ١٢٢ من المواعظ والاعتبار طبع المعهد العلمي الفرنسي
- (٣) القرنيزي ج ١ ص ٢١٣ و ٢٢٦ ، وابن أبياس ج ١ ص ٢٣
- (٤) البرلس ثغر قديم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط تنسب اليها بحيرة البرلس الواقعة في شمال الدلتا بمصر ومكانها اليوم بلدة البرج إحدى قرى مركز بيلبا بمديرية الغربية .
- (٥) الدميره هي التي تعرف باسم دميره إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية .
- (٦) أشمووم طنّاح هي التي تعرف باسم أشمون الرمان إحدى قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية .
- (٧) تنيس هي إحدى المدن الصناعية القديمة الشهيرة بالمتسوجات وقد اندثرت ومكانها اليوم تل تنيس الواقع في جزيرة صغيرة بحيرة المنزلة وعلى بعد تسعة كيلو مترات في الجنوب الغربي لمدينة بورسعيد .

وقال الواقدي : كان للهاميرك اثنا عشر ولداً أكبرهم يسمى هزبر^(١) .
وذكر في كتاب « الدر المكنوز » الذي ترجمه المرحوم أحمد كمال باشا
إلى اللغة العربية ، أخ للمقوقس كان ملكاً بمصر واسمه أندراوس^(٢) . ومن المشهور
عند العوام أن المقوقس كانت له ابنة دفنت بالقرافة اسمها « لولية بنت
المقوقس » .

وقد ذكرها الأستاذ فان برشم في مذكراته^(٣) ، ووصف الأستاذ كريبول
البقية الباقية من القبر المعروف بهذا الاسم ، وهو بسفح المقطم تحت جامع
الجيشي فقال : انها كاسمها تستهوى النظر^(٤) .

وذكر الأستاذ قييت أرسطوليس بن المقوقس الذي قال ابن اسحاق :
(في الأصل الواقدي) انه قتل أباه . وذكروا له الآخر بولس^(٥) ، وما قاله
ابن الزيات عن قبر ابن أخي المقوقس الذي أسلم ، وكان مهندساً وبني جامع
عمرو . وذكروا أيضاً ما روى في ابن عبد الحكم^(٦) ، عن امرأة المقوقس وأنها
حولت بعض ضواحي الإسكندرية الى بحيرة ، وكانت كروما ، لأن سكانها
أبوا أن يدفعوا لها الخراج نقداً ، وكان من عادتهم أن يدفعوه نحرًا وما حكي
عن أرمانيوس ابنته التي كانت مخطوبة لقسطنطين بن هرقل ، وأسرت
في بلبس ثم أعيدت لأبيها^(٨) .

(١) فتوح مصر ص ١٢٦ (٢) ص ١٦١ ؛ المتن ص ١٢٢ .

(٣) Van Berchem, Notes d'Archéologie Arabe, J. A. 1891, I. p. 486, note.

(٤) A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt to A. D. 1517, p. 58 et 59.

(٥) ص ١٢٣ في الواقدي (٦) الكواكب ص ١٤٣

(٧) Paris, 1687, p. 10. (٨) الخطط ج ١ ص ١٨٣ ؛ الواقدي

وذكر قول ابن دقاق في الانتصار في بيانه عن الخطط بمصر القديمة :
كوم المقوقس وحمام المقوقس ، كما ذكر دار المقوقز الواردة في كتاب « الدر
المكنوز » للرحوم أحمد كمال باشا .

ملاحظة المؤلف على تعليقات الأستاذ فثيت :

هنا ينتهي بنا البحث الى أن جناب الأستاذ جاستون فثيت يرى أن
الشخص الذي وصله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو غير المقوقس
الذي كان موجودا في وقت الفتح .

وقد فهمت من بيانه أن الألقاب التي جمعها الأستاذ كازانوقا من
الروايات العربية وغيرها ، كانت في مقدمة ما بنى عليه هذا الرأي ، لأنه لم
يكن موجودا وقتئذ من يمكن تطبيقها عليه سوى قيرس البطرك المملكاني ،
وهو لم يتول بطركيته إلا في سنة ٦٣٠ م . وقد تبدو هذه الحجّة وجيهة ؛
ولكن اذا دققنا النظر نجدها تستلزم أن يكون بينها من أقوال العرب ما يدل
على أن المقوقس كان بطركا حتى يقال انه قيرس .

وقد أجمعت النصوص على أن ولاية المقوقس كانت مالية حربية ليس
إلا ، فهي إذن بعيدة عن كل صبغة دينية . ولا يكفي الظن والتخمين لمنح
شخص صفة لم تكن له . ومن الغريب أن يذكر قيرس البطرك أيضا ولا
يقرن باسمه لقب المقوقس . وقد كان هذا يكفي على ما أظن للتفريق بين
شخص المقوقس وبين قيرس ، ويغني عن الشرح والتأويل الواردين في كتاب
الدكتور بتلر ، خصوصا وقد وردت في أقوال الرواة من مؤرخي العرب هذه
النصوص الصريحة :

- (١) وأقيم بعده البطرك على اليعاقبة بنيامين، فعمر الدير الذي يقال له دير أبو بشاي ودير سيدة أبو بشاي، وهما في وادي هيب^(١).
- (٢) ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر، وأقام قيرس بطرك الإسكندرية وكان منانيا.
- (٣) وجه هرقل المقوقس أميرا على مصر، وجعل إليه حربها وجبانة خراجها فنزل الإسكندرية^(٣).
- (٤) ليس فيه (موضع القسطاط) من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع والمعلقة، ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر، من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الإسكندرية^(٤) و يقيم فيه ما شاء، ثم يعود الى دار الإمارة ومنزل الملك من الإسكندرية.
- (٥) فأقام هناك المقوقس، وصار يجهز على عمر والجيش^(٥).
- (٦) فلقبهم هنالك أبو مريم جائلق مصر ومعه الأسقف في أهل البيعات. بعثه المقوقس لمنع بلادهم.
- وهذه النصوص رغم تنوع الظروف التي تربطها، متصلة اتصالا وثيقا بالوقائع، منسجمة بها انسجاما تاما، لا تطلب شرحا يؤديه التكلف في تفسير الوثائق وانتحال الأسباب، خالية من التردد الذي يثير الشكوك.

(١) الخطط للقرنيزي ج ٢ ص ٤٩١ وأما وادي هيب فهو الذي يعرف اليوم باسم وادي النطرون الواقع في الصحراء القبلة الغربية ٤ بمديرية البحيرة. وتجر بالقرب منه الطريق الصحراوي الموصلة من القاهرة الى الإسكندرية. وأقرب محطة على السكة الحديدية لهذا الوادي هي محطة الخطاطبة بمركز كوم حمادة بمديرية البحيرة.

(٢) الخطط للقرنيزي ص ٤٩١

(٣) ابن عبد الحكم (ليدن) ص ٤٦

(٤) الخطط للقرنيزي ج ١ ص ٢٨٦

(٥) ابن عبد الحكم (ليدن) ص ١٥٨

(٦) الطبري ج ٤ ص ٢٤٨

وقد أبدينا رأينا في كثير من الآراء والمجج التي أثبتت بجانب ذلك فيما تقدم من هذه البحوث، ونرجو أن نكون وفينا القول حقه .

بقى علينا أن نبدي رأينا في قول الأستاذ مسيو جاستون فييت ، انه لم يكن هناك من يسمى المقوقس في أيام النبي عليه الصلاة والسلام ، وان المقوقس لم يوجد إلا في عهد الفتح ، وان مارية القبطية لم يكن لها وجود لأن اتصال النبي بالمقوقس مشكوك فيه . فنقول :

أما وقد ظهر بطلان القول بأن المقوقس هو قيرس رغم إجماع من يهرهم الدكتور بتلر بأقواله ، فلننظر في روايتين :

الرواية الأولى للبلاذرى ^(١) ، جاء فيها : ان المقوقس قد كان مات قبل غزاة الإسكندرية لما انتقض الروم في عهد قسطنطين . وفي هذا القول لم يذكر اسم قائله ، والمتبادر انه محمد بن اسحاق لأنه قال : إن أرسطوليس ابن المقوقس قتل أباه في رمضان سنة ١٩ هجرية ، وأقام نفسه بدله وأخفى الأمر عن العامة . وقد نقل عنه المرحوم محمد مختار باشا اللواء هذا الخبر وأورده في توقيعات سنة ١٩ هجرية ^(٢) .

والرواية الثانية للبلاذرى أيضا ، قيل فيها : ان المقوقس بقى الى ذلك الوقت (يعنى وقت انتقاض الروم) واعتزل أهل الإسكندرية حين انتقضوا ، فأقتره عمرو ومن معه على أمرهم الأول ^(٣) .

وقال يزيد بن حبيب : ” ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث “ ^(٤) .

والرواية الثانية في رأينا هي الراجحة لسببين :

-
- | | |
|--------------------|---------------------------------|
| (١) البلاذرى ص ٢٢٣ | (٢) آب التوقيعات الإلهامية ص ١١ |
| (٣) البلاذرى ص ٢٢٣ | (٤) الخطط للقريري ج ١ ص ١٦٧ |

(الأول) ان جميع الرواة كانوا يذكرون مقوقسا واحدا، ولا يشيرون الى ما زعم عن موته الى آخر الفتح .

(الثانى) توفر الثقة فى روايات البلاذرى وسواها عن كتب المغازى وهذا كاف .

أما نفى وجود مارية القبطية وخبر اتصال النبي عليه الصلاة والسلام بالمقوقس ، فسببه وان لم يبين صريحا فى هذه التعليقات ، فإنه يرجع على ما يظهر الى تعارضه مع القول بأن المقوقس هو قيرس . لأن قيرس أقيم بطركا بمصر فى سنة ٦٣١ ميلادية ، بعد إرسال الكتاب الى المقوقس بعدة سنين ، ومن ثم وجب نفي الأمرين معا .

لكن لو فرض قيام الدليل — من أقوال الرواة والمؤرخين — على أن قيرس هو المقوقس ، فإن ذلك ما كان يترتب عليه نفي وجود مارية ، وإنكار الحقيقة الثابتة فى كتب الحديث والسير والتاريخ .

لا يكفى القول بأن التاريخ الإسلامى عن ذلك العهد نقل إلينا على شكل لا يمكن تصديقه كلية . ومن غير شك أن المقصود بذلك العهد ، عهد النبي عليه الصلاة والسلام قبل غيره ؛ وهو ما لا يمكن التسليم به لأن التاريخ المرتبط بعهد صلى الله عليه وسلم قائم على ما حفظ من آثاره ، وأقوال الصحابة ونقل عنهم بالدقة والأمانة ؛ وان لم يدون بالكتابة . قال الحافظ بن حجر^(١) فى المقدمة : ولم تكن « الآثار » فى عصر الصحابة و كبار تابعيهم مدونة ولا مرتبة لأمرين ؛ أحدهما : انهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا

(١) جلال الدين السيوطى ، شرح الموطأ ج ١ ص ٥

عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم ، خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .
والثاني : سعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون
الكتابة ، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار ، وتبويب الأخبار
لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض
ومنكرى الأقدار .

وقال الهروي : لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث وإنما
كانوا يؤدونها لفظاً يأخذونها حفظاً ، إلا كتاب الصدقات والشيء اليسير
الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء ، حتى خيف عليه الدروس وأسرع
في العلماء الموت ، فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الخزيمي
فيما كتب إليه : أن أنظر ما كان من سنة أو حديث عمر فاكتبه .

وروى مالك والبخاري في كتابيهما مثل ذلك ^(١) .

وقد بذلت في ذلك جهود عظيمة ، ووضعت المدونات الصحيحة
تحميط بها كل الضمانات الى أقصى ما يتصوره العقل ، ويقال : إن أول
ما صنف في الإسلام كتاب ابن جريح في الآثار وتبعه غيره . ثم وضع الإمام
مالك كتاب الموطأ .

وقد قال : إنه ألفه في أربعين سنة ، ثم كتاب البخاري فمسلم فالترمذي
وما تلا ذلك كما هو مشهور .

ومن ثم يتبين أن ما يرجع الى هذه المدونات لا يمكن أن يقاس به غيره
ولا المناقشة فيه إلا مع الاحتياط الشديد .

(١) جلال الدين السيوطي ، شرح الموطأ ج ١ ص ٥

وما كان من قبيل السير والمغازي ، يجب التدقيق في النقل عنه ولو اشتهر؛ خشية من عدم توفر العدالة أحيانا في وضعها وفي النقل عنها؛ وبينها ما هو في أكثر مصادر غير موثوق به ، كمغازي الواقدي . وقد تقدم قول الشافعي فيها وحسب العالم أن يعلم ما تضمنته التصانيف التي من هذا القبيل من الروايات ، ويقف عليها ولا يتخذها أساسا للبحث إلا اذا اتفقت عليها العلماء و كبار المؤرخين ودرجوها في تصانيفهم . ومن المؤلفات التي من هذا النوع مغازي محمد بن اسحاق . قالوا : وكان يأخذ من أهل الكتاب . وكتب الواقدي وموسى بن عقبة « المغازي » . وقد قال الشافعي في الأول : كتب الواقدي كذب . وقال في الثاني : ليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة ^(١) .

وقد مر علينا من تعليقات الأستاذ قبيت ، قوله : إن علاقات النبي صلى الله عليه وسلم بمصر ، ظاهر عليها أن المحدثين من أهل مصر اختلقوها ، وإن هناك طائفة من الأحاديث تدعو المسلمين الى معاملة القبط بالحسنى . ولا يخفى ما في إطلاق هذا القول من شبهات لأنه لا ينطبق على الواقع ؛ فقد توجد بعض أحاديث ينطبق عليها هذا القول ، ولكن يوجد أيضا الصحيح وهو ما نوصى بالتدقيق فيه قبل الحكم عليه .

والأحاديث التي يقصدها الأستاذ قبيت على ما أظن ، هي ما أورده السيوطي وغيره في كتبهم ويكاد كلها يكون إسناده معروفا ، ثابتا صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مصر ، فكيف يكون من وضع رجال الحديث في مصر ، وهي لم تفتح إلا في عهد عمر؟ وقد ذكرها السيوطي

تحت عنوان « ذكر الأحاديث التي ورد فيها ذكر مصر » في كتابه « حسن المحاضرة ». ولا يخفى ما للسيوطي من مقام بين أعلام المحدثين وتصانيفه في علم الحديث معروفة .

ومما قاله الأستاذ قبيط : إن حديث حاطب بن أبي بلتعة من حيث التفصيل يذكر بحكايات ألف ليلة وليلة — إلى قوله : يكفى النظر إلى الأسلوب الغريب الذي اتبع في محادثة المقوقس وحاطب ومقارنة ذلك بمحادثة هرقل وأبي سفيان فيبين الغرض من هذه الأحاديث ، وهو اعتراف هرقل والمقوقس بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقول هرقل إن محمدا مذكور في التوراة والإنجيل .

أما وجه الغرابة في محادثة أبي سفيان فإني لا أدركه ، فقد طالعت هذه المحادثة مرارا ولم يخطر بفرى مطلقا أن المراد بها وبخبر المقوقس ، الدعاية بالاستناد إلى اعتراف من قيصر والمقوقس .

وكيف يعتبر قولهما اعترافا ولم يسألما ؟

وإذا كان هناك موضع ضعيف في هذه المحادثة فلا يكون في جانب أبي سفيان وإنما في جانب هرقل ، لأن محاورته تتم عن نفاق ومداهنة .

أما أبو سفيان فقد نقل ما جرى على لسان المترجم .

وقد ورد في مسند أحمد : أن هرقل كتب من تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنى مسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب ، هو على نصرانيته .^(١)

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٢٦

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد ، بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله ، نحوه ولفظه فقال : كذب عدو الله ، ليس بمسلم .^(١)

وهذا الحديث دليل قاطع على أن خبر محادثة قيصر لا يؤيد الأستاذ ثبيت بل يعارض قوله . " انه وضع للدعاية باعتراف قيصر بنبوة محمد^(٢) .

وكذلك الرد الذي أجاب به المقوقس على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم صريح في أن المقوقس لم يعترف بنبوة محمد عليه السلام ، وإنما قال : إنه كان يظن أن النبي المبشر به يخرج بالشام وهذا نصه ، كما هو وارد في رواية ابن عبد الحكم :

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وكسوة وأهديت إليك بغلة لركبها والسلام عليك .

قال القسطلاني : ولم يزد على هذا ولم يسلم^(٣) . وزاد هذا الأخير أن في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم . وذكر الواقدي أن في كتابه اليه : « باسمك اللهم ، من المقوقس الى محمد » . وما ورد بنص مغاير يظهر لي أنه هو الذي أوجد

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٢٦

(٢) ومن قبيل تعليق الأستاذ فييت ، قول الدكتور بتلر : « ان بعض مؤرخي العرب خلق من ذلك قصة منمقة سخيفة محببة بذكرها لإسلام هرقل ولم يكن شيء أبعد من ذلك الأمر عنه . وماذا عسى كان يدفعه الى تصديق ما أتى به زعيم عربي لم يعرفه ؛ وذلك في حين كان ملكا سييدا الكتاب الكثيرة التي حركتها الحرب فأصبحت ضارية صعبة المراس » (فتح العرب لمصر ، ص ١٢٨) . وهو كلام ترك للقارى تقديره .

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٣

عند الأستاذ فثبت فكرة الدعاية بنبوة محمد وقد تجاوزت عن ذكره اكتفاءً
بالإشارة الى أنه مما ورد في المغازي ^(١).

اعتراض جروهمان :

وبعد أن كتبت ما تقدم وفتت على اعتراض آخر أبداه الأستاذ . ا .
جروهمان في دائرة المعارف الإسلامية في الترجمة التي كتبها عن المقوقس ،
وقد قال فيها : أن الألقاب التي أطلقها العرب على المقوقس تعني حاكم مصر
الحقيقي ، وأنه من الصعب التسليم بوجوده في سنة ست لأن مصر وقتئذ
كانت السيادة فيها للفرس ؛ ولذلك لا يسعني إلا أن أوافق على أن خبر بعث
النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الى المقوقس ، حديث خرافة .

وهذا القول لا يحتاج لمناقشة طويلة ، لأن المعلوم عن سير الفرس الى
مصر ، من قول الدكتور بتسلر نفسه ، أنه كان في خريف سنة ٦١٦ وأنهم
فتحوا مصر والإسكندرية بين ربيع سنة ٦١٧ وآخرها ؛ وأن إخضاع مصر
جميعها كان في سنة ٦١٨ واستمر احتلال الفرس بها مدة عشر سنوات انتهت
بإخلائها في أوائل سنة ٦٢٧ . ومن ثم يكون هذا التاريخ سابقا على قيام
حاطب بن أبي بلتعة ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس
في آخر سنة ٦ هجرية ، بعد عمرة الحديبية وكانت في ذى القعدة من تلك السنة
(آخر أبريل سنة ٦٢٨ م) ؛ وقد عاد حاطب من مصر بهدية المقوقس
في سنة ٧ من الهجرة أي بين ١١ مايو سنة ٦٢٨ وأول أبريل سنة ٦٢٩ م ،
بعد أن استعادت الروم مصر من الفرس .

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٦٧

(٢) المجلد الثالث ، ص ٧٦١ — ٧٦٤

وأشار جروهمان أيضا الى الصعوبة القائمة من اغفال العرب لتلقيب المقوقس بالبطرك ، فقال : لم يكن هناك ما يدعو العرب الى ذكر وظيفته الدينية لأن عمله الادارى هو الذى كان يهمهم . ثم قال : ومع ذلك هناك ما يشير الى وظيفته الدينية ، وهو التماسه من عمرو أثناء المفاوضات على تسليم الإسكندرية أن يأمر به اذا مات فيدفن فى يحنس (كنيسة القديس يوحنا) . وهذا القول ترك تقديره للقارى .

ولم يفت جروهمان الكلام على اسم جد المقوقس ، فذكر قرقب وتفضيل كراباتشك له على قرقب . وذكر قرقوب وفرقوبيوس وقرقر الى نهاية هذا المعجم الجديد الذى يرجع الى كتاب فتح العرب فضل تدوينه .

ولنا العزاء فى ذلك " المرقب " الذى ما زال حفيده رغم المجهود العظيم الذى بذله كل أولئك العلماء الأفاضل ، الى الآن ، حائرا فى لحده مجهول الأب واللقب !

إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم :

وقد ورد فى البخارى ذكر إبراهيم بن النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ، وقيل ولد بالعالية ، ذكره الزبير بن بكار مصنف كتاب «أنساب قريش» المتوفى فى سنة ٢٥٦ ، كما ذكر فى السير النبوية الموثوق بها ^(١) .

وفى حديث أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال : " ولد لى الليلة غلام سميته باسم أبى إبراهيم " . قال الزبير بن بكار : وتنافس الأ نصار فىمن

(١) قال ابن سعد : ولدت مارية بالمدينة إبراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة فات وهو ابن ثمانية عشر شهرا . ج ٣ (القسم الأول) ص ٣

ترضع إبراهيم عليه السلام؛ فانهم أحبوا أن يفرغوا مارية له عليه الصلاة والسلام . ويؤخذ من الروايات الواردة عن ذلك أنه أعطى أولا أم بردة ثم أعطى أم سيف لإرضاعه . وتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره أبو داود ، في ربيع الأول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه . وقيل : بلغ ستة عشر شهرا وثمانية أيام ؛ وقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام^(١) . وقد روى الشيخان خبر وفاته . وذكره ابن قتيبة فقال : وكانت أمه مارية هدية المقوقس^(٢) .

وقد نقل الأستاذ قبيط في تعليقاته^(٣)، ما ذكر في بعض كتب التاريخ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ابنه إبراهيم : ”لوعاش كان نبيا وما استرق من القبط أحدا أبدا“ .

وجاء في حديث أنس بن مالك أنه قال : ”لوقبى (يعنى إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم) لكان نبيا . ولكن لم يبق لأن نبيكم آنح الأنباء“ ، أخرجه أبو عمر . قال الطبرى : وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص إبراهيم وإلا فلا يلزم أن يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه الصلاة والسلام . وقال النووى في «تهذيب الأسماء واللغات» : وإنما ماروى عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيا فباطل ، وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم . وقال القسطلانى : قال شيخنا فى كتاب «المقاصد الحسنة» ، ونحوه قول ابن عبد البر فى تمهيده : لا أدرى ما هذا ؟ فقد ولد نوح غير نبى ؛ ولو لم يلد الا نبيا ، لكان كل أحد نبيا لأنهم من ولد نوح^(٤) .

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٩

(٢) المعارف ص ٦٢

(٣) المواظ والاعتبار، طبع المعهد العلمى الفرنسى ج ١ ص ١٢٩ (١٥) .

(٤) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٦٠

مارية القبطية :

أما خبر إهداء مارية القبطية ، الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد اتفق عليه جميع من كتبوا السيرة الشريفة بالتفصيل ، ومنهم ابن قتيبة وابن سعد والطبرى وابن الأثير والقسطلانى وغيرهم .

فقال ابن سعد ، بعد أن ذكر قبول رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية المقوقس : وأخذ الجاريتين : مارية أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها سيرين ، وبغلة بيضاء لم يكن فى العرب يومئذ غيرها وهى "دُلْدَلٌ" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صَنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه" ^(١) .

ونورد هنا ملخص ما ذكره عنها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، فى المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ^(٢) ، مسندا الى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، وابن عمر وعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، قال : بعث المقوقس صاحب الإسكندرية مع حاطب بن أبى بلتعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٧ من الهجرة (٦٢٨ - ٢٩ م) ^(٣) بمارية وأختها سيرين ، وألف مثقال من ذهب وعشرين ثوبا لينا ، وبغلته دُلْدَلٌ ، وحماره عفير ويقال يعفور ، ومعهم خصى يقال له مابور ، شيخ كبير كان

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٨٦ ؛ نهاية الأرب ج ١٠ ص ٨١

(٢) بذيل تاريخ الأمم والملوك للطبرى ؛ وهو الجزء الثالث عشر ص ٨٠ و٨١

(٣) راجع تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٨٥ و١٧٩

أخا مارية^(١) . وكانت مارية من حفن^(٢) من كورة أنصنا^(٣) . وأسلمت مارية وأختها . وأقام الخصى على دينه حتى أسلم في المدينة . وكانت مارية بيضاء جميلة . وأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعالية في المال الذي يقال له «مشربة أم ابراهيم» ؛ وضرب عليها الحجاب . ووضعت هناك وقيلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبشر أبو رافع زوج سلمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم ، فوهب له عبدا . وذلك في ذى الحجة من سنة ٨ .

ووهب النبي صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت ، فولدت عبد الرحمن بن حسان . وقد روى عنها أنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضر ابراهيم ، وأنا أصبح وأختي ما ينهانا عن الصباح ؛ وغسله الفضل بن العباس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس جالسان ؛ ثم رأيت على شفير القبر ومعه العباس الى جنبه ؛ ونزل في حفرة الفضل وأسامة بن زيد . وكسفت الشمس يومئذ ، فقال الناس : كسفت لموت ابراهيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تكسف لموت أحد ولا حياته» ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجة في القبر ، فأمر بها

(١) راجع تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٢

(٢) حفن كانت من كورة أنصنا بصعيد مصر واسمها المصري القديم هينو ثم حرفه العرب الى حفن ومحلها اليوم أطلال بلدة هينو الواقعة شرق النيل بمحوض الكوم الأحمر بأراضى ناحية المطاهرة البحرية بمركز المنيا بمديرية المنيا بمصر .

(٣) كورة أنصنا - الكورة معناها القسم وهو ما يسمى الآن «المركز» في اصطلاح التقسيم الادارى في مصر . وأما أنصنا فكانت مدينة قديمة على الشاطئ الشرقى للنيل ، وقاعدة للكورة المسماة بها أنشأها الامبراطور أدر يان محل مدينة مصرية قديمة كانت تسمى Bésa وسماها باسم غلامه Antinous فعرفت باسم Antinoé ، ثم سماها العرب أنصنا وقد اندثرت ، ومكانها اليوم حوض أنصلا بأراضى ناحية الشيخ عبادة بمركز ملوى بمديرية أسيوط بمصر .

تسدد . فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أما انها لا تضر ولا تنفع ولكنها
تقر عين الحى ؛ وان العبد اذا عمل عملا أحب الله عز وجل أن يتقنه .
وكان أبو بكر ينفق على مارية حتى توفى ؛ ثم صار عمر ينفق عليها حتى
توفيت فى خلافته . وتوفيت مارية فى المحرم سنة ١٦ من الهجرة ، فرؤى
عمر يحشر الناس لشهودها ، وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع .
وقال ابن قتيبة : ” وماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ”^(١) .
وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام ، يوم ١٢ من ربيع الأول ، سنة
احدى عشرة^(٢) .

ويلاحظ هنا أن تاريخ وفاة مارية الذى أورده الطبرى فى ذيل المذيل
وهو من قول ابن عمر الواقدى يختلف عن الوارد فى تاريخ الأمم والملوك
حيث أثبتته الطبرى عن الواقدى نفسه ، فى حوادث سنة ١٧ فى المحرم .
والتاريخ الأول هو الذى يتفق مع رواية ابن قتيبة لأن نهاية الخمس سنوات
التي تلى وفاة النبي عليه الصلاة والسلام تنهى فى سنة ١٦ فىكون ما ورد
فى ذيل المذيل أصح على ما يظهر ويقرب من ذلك قول ابن عبد الحكم :
وكانت وفاة مارية فى المحرم سنة خمس عشرة^(٣) .

وفى المواهب للقسطانى : أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
مع مارية ألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لينا من قباطى مصر ، وبغلة شهباء
وهى دلدل ، وحماراً شهباً وهو عفير ؛ ويقال : يعفور ، وعسلاً من عسل
بناها ، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بالعسل ودعا فى عسل بنها بالبركة .

(١) المعارف ص ٦٢ (٢) المعارف ص ٧٢ ؛ التوفيقات الإلهامية ص ٦

(٣) فتوح مصر ، ص ٥٣

قال ابن الأثير : وبها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر ،
بارك النبي صلى الله عليه وسلم في غسلها ، والناس اليوم يفتحون الباء .
وقد قال الأستاذ قبيت : وفي وصف هدية المقوقس وهي البغلة والحمار
والعسل والثياب ومارية وأختها أو أختها من الدقة ماثير الابتسام ، فقد
عنى فيه الى حد أن ذكر اسم البغلة والحمار .
ولكن :

ألم يكن في جلال مجد رسول الله ، وما كان له في قلوب أصحابه من المحبة
والإخلاص ، ما يجعلهم لا يهملون قليلا ولا كثيرا مما عرف عنه أو كان تابعا
له إلا أحصوه ودونوه بكل دقة وعناية ، وهو ما لم يصل الى مثله غيره ،
منذ عهد آدم الى الآن .

اعتراض كياتانى والرد عليه :

بقيت كلمة أحب جلاءها ، وهي استنكار كياتانى أن يبعث أحد البطارقة
جاريين مسيحيين لعربي لا يدين بالمسيحية .
وقد يرى غير الواقفين على ما كان جاريا في ذلك الوقت ، أن هذا
الاعتراض قائم . ولكن اقتناعهم لا يبطئ إذا درسوا ما كان عليه الرقيق
في ذلك العهد ، وعلموا بأى عين كان ينظر اليهم وكيف كانوا يعاملون ، وقد
بلغ الاضطهاد الديني أشده كما مر علينا في صدر هذا المؤلف .

ومن العبث أن يعتمد على الظن والتخمين لإبطال ما ورد في كتب
الحديث الصحيحة والسير عن مارية القبطية ، بعد أن تبين نقص المعلومات
عن شخصية المقوقس وعلاقته بأهل مصر من حيث الجنسية والمذهب الديني .
وقد ثبت أنه لم يكن البطرك يعقوبى ، لأن هذا البطرك كان بنيامين الذى

عاد الى كرسى بطركيته عقب الفتح ، ولم يكن قبرس البطررك الملكى لأنه لم يتصل بالنبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يجئ مصر إلا فى سنة ٦٣١م أى بعد مدّة من وصول حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس فى سنة ٦٢٧م . وقد خوطب المقوقس فى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ «عظيم القبط» لا لأنه كان معتقاً مذهب القبط أهل مصر ، ولكن لكي تعطى (فى الخطاب صيغة الإكرام لمصلحة التأليف) ، كما بينه القسطلانى بمناسبة توجيه هذا النعت نفسه منه عليه الصلاة والسلام الى قيصر فى كتابه اليه كما تقدّم . وبحكم ولاية المقوقس على مصر من قبل هرقل ، لا يسهل التسليم بأن المقوقس كان من يعاقبة الذين تنتمى اليهم مارية القبطية . وقد استخلص أملينو فى تحقيقاته أنه كان فى أول الأمر على المذهب الملكى . ومن ثم لم تكن الحصانة المذهبية متوفرة لمارية كعامّة أهل مصر من يعاقبة . قال المقريزى : «ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميّز منهم القبطى من الحبشى من النوبى من الإسرائيلى الأصل من غيره . وكلهم يعاقبة ، فمنهم كتاب المملكة ، ومنهم التجار والباعة ، ومنهم الأساقفة والقسوس ونحوهم ، ومنهم أهل الفلاحة والزراعة ، ومنهم أهل الخدمة والمهنة . وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناختهم ، ويوجب قتل بعضهم بعضاً . ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جداً ، فإنهم فى الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها»^(١) .

ويرجع هذا العدا ، الى عهد افتراق النصارى الى يعقوبية وملكية . وقد قرأنا فيما استشهد به الدكتور بتلر ، قول ساويرس عن قبرس «الحاكم الكافر» ، أى أنه فى نظره من غير دينه .

ولافائدة إذا من التعلل بأن اليعاقبة والملكية تابعون جميعا للدين المسيحي ،
لأن وجود الاضطهاد بتلك الشدة بين المذهبين أدى الى انحلال تلك الرابطة
وقد تجلى ذلك فى معاملة البطرك بنيامين وأخيه ؛ وما وقع لهما لا يقاس به
إهداء مارية .

وهناك قصة توقعنا على مدى ما كان يذهب اليه الأكليروس فى معاملة
خصومهم فى نظر علماء القرن التاسع عشر . وقد رواها الطبيب أوتيكوس
سعيد بن بطريق وكان بطريك الإسكندرية ومن أهل فسطاط مصر ،
ونقلها عنه مارسل المؤرخ المعروف ^(١) .

وتتلخص هذه القصة فى أن عبيد الله بن المهدي ، فى ولايته على مصر ،
أهدى الى أخيه الخليفة هرون الرشيد جارية قبطية رائعة الجمال ، فلم تلبث
أن أصبحت ذات مكانة عظيمة لدى الخليفة ، ثم مرضت بغتة وعجز أطباء
القصر عن علاجها ومعرفة داءها فطلبت طبيبا من مصر لأنهم أدري بما تشكو
منه . وكتب الخليفة لأخيه ، فبعث اليه بالبطرك الملكى وكانت شهرته
فى الطب لا يدانيه فيها آخر . وكانت البطارقة وقتئذ تمارس الطب . وأعقب
وصوله شفاء المحظية وكافأه الرشيد بأن أمر بأن تعاد الى الملكية كافة الحقوق
التي جردهم منها اليعاقبة منذ توقيع المعاهدة مع عمرو بن العاص .

والذى يهمننا من هذه القصة هو تعليق مارسل عليها ، فقد ذيلها بقوله :
ومن المؤكد أن هذه القصة لو كانت صحيحة ، لما دلت إلا على إحدى طرق
التحايل التي كان يديرها بمهارة الإكليروس الذين كانت لهم الولاية فى ذلك
الوقت ، وكانوا يعتبرون جميع الوسائل حلالا ومشروعة ، حتى بإهداء محظية
للخليفة فى سبيل تعزيز سلطتهم وإذلال خصومهم .

(١) مصر منذ فتح العرب لمصر ص ٤٧

الرأى آخر للدكتور محمد حميد الله :

بعد الانتهاء من كتابة ما تقدم وطبعه ، تفضل جناب الأستاذ فبيت بأن أعارنى رسالة نشرها حضرة الدكتور محمد حميد الله عن المخبرات السياسية ، فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين^(١) . وهى رسالة قيمة لها علاقة بكتاب النبي عليه الصلاة والسلام وتعليقات الأستاذ فبيت .

وقد استرعى نظرى فيها رأى أبداه مؤلفها على اعتقاد أن المقوقس والبطرك بنيامين شخص واحد . وقد رأيت تلخيصه إتماما للفائدة . قال : من المحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث بكتابه إلى المقوقس ، كان عالما بالموقف السياسى بمصر وقتئذ ، وما كان فيها من الانشقاق المذهبى ، وحالة البطرك وخوفه من هرقل ، وافتقاره إلى عضد قوى من غير أهل البلاد يستميله وينتفع بمعاونته .

ولم يكن متظرا أن يعتنق حبر من الأخبار ديننا لا يعرف عنه شيئا ، خصوصا إذا كان ظهوره قريب العهد .

وقد أهدى هذا البطرك إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، جارتين مسيحيتين وهو لا يدرى شيئا عن الاسلام ، لأنه بحكم اعتقاده بطبيعة واحدة بالمسيح لم يكن من المتيسر له لما أعلن النبي دعوته إلى التوحيد وعدم الشرك بالله أن يفهم منها أكثر مما تضمنه كتابه ، فلم تكن الدعوة الإسلامية فى نظره إلا نزعة من الهرطقة المسيحية تدعو إلى مذهب جديد .

Documents sur la Diplomatie Musulmane à l'époque du (١) Prophète et des Khalifes Orthodoxes. Paris, 1935, p. 64-67.

هذه الصورة الجديدة من التأويل التي تخيلها الدكتور محمد حميد الله يمكن أن تكون محلا للنظر، لولا ما ورد فيها من تعليق رسالة النبي عليه السلام الى المقوقس على علمه بالحالة السياسية، وسوء حال البطرك، لأن ذلك لم يكن بأية حال سبب الدعوة التي لم يختص بها المقوقس وحده، بل شملت غيره من الملوك ككسرى وقيصر وغيرهما .

ومما يعترض التسليم بهذا الرأي أن بنيامين لم يكن هو المقوقس، فقد تقدم من أمره وحكاية اختفائه الى انتهاء عمرو من فتح مصر ما فيه البرهان التام على ذلك .

وقد تناول بحث الدكتور محمد حميد الله شخصية مارية، وسيرين؛ فقال: ان الروايات كلها أجمعت على ذكر مارية. وأما سيرين فانها وردت فيها باسم سيرين أو شيرين. وفي رواية ذكرها ابن عبد الحكم: « كان أسم أخت مارية قيسر؛ وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة. وذهب الى تفضيل الرواية الأخيرة على زعم أن سيرين من الأسماء الفارسية، وأن البطرك إذا أهدى جارية، فإنما تكون مسيحية بل قبطية. ثم قال: ويجوز أنها فارسية حجزت بمصر بعد جلاء الفرس عنها واعتنقت الدين المسيحي .

وقد أغفل في كلامه ما ورد في الروايات عن كونها أخت مارية وأن اسم أبيها شمعون^(١) مما يرجح معه أنهما من أصل إسرائيلي ممن أسروا في حروب الفرس واكتسب الجنسية القبطية بالإقامة في مصر .

ولا يخفى أن مارية وسيرين وشمعون من الأسماء المتداولة الى الآن عند الإسرائيليين ولا يوجد بين أقباط مصر من اسمه شمعون .

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٧٤

وفي سياق كلامه يذكر الدكتور محمد حميد الله الاعتراض الذي نفي به الأستاذ فثيت ارسال كتاب من النبي عليه السلام الى المقوقس ، مستشهدا بأن بطرك الاسكندرية لم يكن مرخصا بتبادل كتب من هذا القبيل .

وقد ردّ الأستاذ محمد حميد الله على ذلك بقوله : أنه لم يقف على المصادر التي يرجع اليها الأستاذ فثيت ، وأن فترة الانتقال بين جلاء الفرس عن مصر وعودة الحكم فيها الى الروم ، إذا روعي فيها مسلك البطرك بنيامين حيال البيزنطيين ، تكون كافية لتبرير مخالفة هذا البطرك لحكومته .

وأتابع الدكتور محمد حميد الله ذلك بحديث المخطوط الذي عثر عليه في دير أنجيم منقولاً عن المجلة الأسبوعية^(١) ، وهو لا يزيد عما تقدم في كلامنا عن هذا المخطوط ، وإنما جاء فيه أيضا : أن مسيو بارتليميه سمع من بعض الأقباط أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل الى المقوقس أربع نسخ من كتابه ، وأنه قول لم يرد في روايات المؤرخين . ومن رأيه أنه لم يكن هناك ما يدعو الى ذلك لأنه على فرض ضياع الكتاب من حامله ، كان من السهل تبليغ مضمونه شفهيًا . وقيل له إن الصور المزعومة حفظت منها واحدة في الكنيسة البطريركية بالقاهرة (كنيسة انبا مرقص) ، وأنه لم يتمكن من تحقيق هذا القول . وقيل له إنه موجود عندهم كتاب آخر أرسله المقوقس ردًا على كتاب النبي عليه الصلاة والسلام . وقد عقب الدكتور محمد حميد الله على ما ذكر بأن العثور على هذا المخطوط في الدير ، في تلك الظروف الخاصة ، يؤيد صحته لأنه في الواقع لا ينص على أى امتياز يستدعى تزويره .

(١) Journal Asiatique, 1854, p. 483—8 .

ومن الغريب أن يأتي استنتاج الدكتور محمد حميد الله على هذا الوجه ،
مع أن ما قيل عن النسخ الأربعة من الكتاب والرد الذي قيل أنه أرسل
الى النبي عليه السلام ، لا يدع مجالاً للشك في أن هذا المخطوط مزيف .
وهي سخافات لا تفوت الناقد البصير .

وقد يكون مصدر القول بتعدد النسخ ما جاء في تاريخ الأمم والملوك
للطبري^(١) ، في حوادث سنة ست هجرية : « وفيها بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرسل ، فبعث في ذى الحجة ستة نفر ، ثلاثة مصطحبين حاطب
ابن أبي بلتعة ... » .

الخلاصة :

نخلص مما تقدم الى أن المقوقس لم يكن بطركا ، فليس هو قيرس
ولا بنيامين وما زال اسمه مجهولا ؛ فليس هو المقوقس بن قزق ولا جريح
ابن مينا بن قزق ، ولا غير ذلك ، مما رأيناه في معجم كتاب الدكتور بتلر
ومصادره .

أما من جهة مركزه فان المأخوذ من جميع الروايات المتواترة عنه ، أنه
كان عظيما في البلاد ، من أسرة متوطنة فيها ؛ بدليل ما هو ثابت من وجود
قراية له بين أهلها ، ثم تولى شؤون مصر من قبل هرقل بحكم مركزه . ويرجح
جدا أنه كان روميا متمصرا مخلصا لمصر وأهلها ؛ وأنه هو الذي تلقى كتاب
النبي عليه الصلاة والسلام ، وعقد الصلح مع عمرو بن العاص ، ثم اعتزل
شؤون البلاد بعد المعاهدة ، وقال لعمرو : " لا تبذل للروم ما بذلت لي

(١) ج ٣ ص ٨٤

فانى قد نصحت لهم فاستغشوني ، ولا تتقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم ، وإن تأمر بي اذا مت فادفني في يحنس^(١) ، وأن لقب المقوقس كان خاصا به دون غيره ، لا أنه كان لقباً لكل من يحكم مصر . ودليله عدم وجود نصوص عند المسلمين وغيرهم تعطى سواه هذا اللقب ؛ وأنه كان موجودا عند ما نقض الروم الصلح بالإسكندرية فلم ينكث ولم يتحرك ؛ وأن حاكم الإسكندرية الذى تولى من بعده أعماله وفاوض عمرا عن فتح الإسكندرية — وليس هو قيرس — لم يلقب بالمقوقس فيما رواه الطبرى بل دعى حاكم الإسكندرية ؛ وان هذا الحاكم لم يكن روميا بدليل قوله فى مفاوضته لعمر : ” انى قد كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض الى منكم معشر العرب ، لفارس والروم “ .

(١) وقد نقل الدكتور بترل عن المقرئى (ج ١ ص ٢٩٣) بدلا من يحنس ” جسر الإسكندرية “ وهو كما يتبادر تحريف للفظ ” يحنس “ مرجعه النقل من الأصل الذى أخذ عنه المقرئى .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

الفسطاط

تخطيط المسجد، فالمدينة :

لما رجع عمرو الى بابلون بعد فتح الإسكندرية نزل بجوار الحصن، موضع فسطاطه، واتخذ في ذى القعدة سنة ٢١، دارا وسكنها المسلمون، وأصبحت القاعدة الأولى للديار المصرية، ونسبت الى عمرو فقيل: «فسطاط عمرو». واختط عمرو بهذه المدينة مسجدا ولم يكن بها غيره الى أن أنشئت العسكر. وهو الجامع الذي يقال له جامع عمرو بن العاص. وقد أفردنا له البحث الثاني من هذه السلسلة لأهميته.

وقد تداولت عن السبب في تسمية عاصمة مصر الأولى بالفسطاط رواية ظريفة، قيل: ان عمرا لما عزم على السير الى الإسكندرية أمر أن يتزع فسطاطه، فاذا فيه يمامة قد فرخت، فقال: لقد تحرمت بجوارنا. وأمر بالفسطاط فأقر كما هو. فلما قفل المسلمون من الإسكندرية، قالوا: أين نزل؟ قالوا: الفسطاط. فغلب عليه ذلك.

وأذن عمرو للقبائل أن تختط حول الجامع^(١)، فانضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع، فولى عمرو على الخطط معاوية بن حديج^(٢)، وآخرين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل^(٣).

(١) الخطط للقريري ج ١ ص ٢٨٦؛ وعبارة المقريري بهذا النص «واختطت قبائل العرب من حوله».

(٢) حديج بضم الحاء المهملة. راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من كتاب الولاة للكندي.

(٣) الخطط ج ١ ص ٢٩٧.

ومن سياق الخبر على هذا الترتيب ، يفهم أن تخطيط المسجد الجامع كان سابقا على توزيع الخطط كما حدث في الكوفة ، فقد روى الطبري أن " أول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد " وكان المسلمون يعملون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في بناء المسجدين المباركين بقبا والمدينة .

وصارت الخطة وهي كل محلة دنت منازلها تعرف بالقبيلة ، أو الجماعة التي اختطتها ، أو بصاحبها الذي أختطها .

قال ابن زولاق : " وفرق عمرو بين الروم والفرس وجعلهم في طرفي البلد ، فأسكن الروم الحمراوات ، وبهم سميت الحمر الحمراء ، وأسكن الفرس بني وائل وراشدة ولساتين بني وائل ، ولهم إلى اليوم مسجد يعرف بمسجد الفارسيين وأسكن القبط القصر ، وأسكن العرب الخطة ^(١) " .

واتخذ عمرو لنفسه دارا في شرق المسجد الجامع ، فسميت دار عمرو الكبرى وكان بين يدي بابه فضاء لموقف دواب الجند . وكان مدخله إليها من بابها القبلي في زقاق عرف بزقاق القناديل .

وقد ذكر الكندي هذا الزقاق وقال : إنما وسم بزقاق القناديل لأنه كان منازل الأشراف ، وكان على أبوابهم القناديل . وقيل : إنما قيل له زقاق القناديل لأنه كان برسمه قنديل يوحد على باب عمرو .

واتخذ عبد الله بن عمرو داره بملاصقة دار أبيه . وعرفت بدار عمرو الصغرى .

واتخذ الزبير بن العوام داره في غربي هذه الدار .

(١) كتاب فضائل مصر وأخبارها ، النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم

ولم يتخذ عمرو للإمارة داراً مخصوصة بل نزل بداره . ولم يزل كل أمير بعده ينزل بالدار التي يكون بها السكنة الى زمن معاوية . وعمرت الفسطاط وقد قصدتها الناس من كل جانب ، وكثرت فيها الدور يزاحم بعضها البعض حول الجامع ، وعلى مقربة من قصر الشمع . ومن ذلك دور كثيرة كانت موزعة في السهل من النيل في الغرب حتى عين الصيرة في الشرق ، ومن جبل يشكر في الشمال حتى الشرف في الجنوب . وكانت دورها تتخللها دور كثيرة لجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن الخطط كلها للسكنى بل كان بينها ما خصص للتعليم ، نكحة عبد الرحمن بن ماجم ، فإنها أعطيت له بأمر أمير المؤمنين عمر ، يتخذها منزلاً ليعلم الناس القرآن . وكان عبد الرحمن قد قرأ على معاذ بن جبل باليمن ، ثم انتقل الى مذهب الخوارج . وهو الذي قتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

الحمامات بالفسطاط :

وبنيت في الفسطاط حمامات . وأول حمام منها بناه عمرو بن العاص ، ورآه الروم فاستحرقوه ، وقالوا : يصلح للفار ، فصار يسمى حمام الفار . وكانت حمامات الروم ديماسات بكارا ، واسعة ، ثلاث طبقات يدخل من الأول الى الثانية ثم الى الثالثة .

ولبث المسلمون لا ينتشرون في القرى الى ما بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين . ولذلك لم يؤسسوا في القرى والديساكر مساجد .

وكانوا في كل مكان يلتزمون القصد والاعتدال في عيشتهم، لأنهم كانوا متصرفين الى الجهاد والفتح . ولقد استؤذن عمر رضي الله عنه ، عند اختطاط البصرة والكوفة في البنيان ، فقال : " افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات ، ولا تطاولوا في البناء ، والزمو السنة تلزمكم الدولة "؛ ذكر ذلك ابن خلدون وغيره ، وقالوا : وعهد عمر الى الوفد الذي استأذنه ألا يرفعوا بنيانا فوق القدر . وما قالوا : وما القدر ؟ قال : ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد .

لذلك لم يكن البنيان منيعا ولا مرتفعا ، ولا تزيد البيوت عن طبقة واحدة في الارتفاع .

ذكر أن خارجة بن حذافة ، ابنتي غرفة وكتب عنها الى عمر ، فأمر عمرا بأن يدخلها وينصب فيها سريرا ، ويقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، فان اطلع من كواها هدمها ؛ ففعل ذلك عمرو ولم يبلغ الكوى فأقرها ؛ وهي أول غرفة بنيت بالفسطاط .^(١)

وبني عثمان بن قيس السهمي دارا لضيافة الناس ، فكانت أول ما بنى من دور الضيافة بمصر .^(٢)

مدينة الجيزة - المسجد الأعظم بها :

وكان عمرو بن العاص لما نزل الفسطاط ، جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية . ولما استقر به المقام أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه ، فكروهوا ذلك وقالوا : هذا مقدم

(١) ابن دقاق ، الانتصار ، بولاق ج ٤ ص ٦

(٢) ابن دقاق ، الانتصار ، بولاق ج ٤ ص ٦

قدمناه في سبيل الله عز وجل وأقمنا به، ما كنا بالذي نرغب عنه ونحن به منذ أشهر. ولما كتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك. أمر بأن يبنى عليهم حصنا من فيء المسلمين؛ فكروا ذلك وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا. وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع عمرو بن العاص بينهم فوكت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها^(١).

وكانت الجمعة تجمع في مسجد همدان، وهو مسجد مراحق بن عامر ابن بكيل. وكان موضعه برحا، وقد عرف بالمسجد الأعظم، وكان الحصن ملاصق مسجد همدان.

وعلى عهد ابن دقماق لم يكن لذلك أثر^(٢).

تجديد الخليج:

وكان بحاشية الفسطاط خليج قديم يعرف باسم «أميس تراجانوس»^(٣) يصب في بحر القلزم، وقد مضى عليه زمن طويل مردوما، فجاء أمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بتجديده فخره عمرو؛ في سنة ٢٣، وفرغ منه في ستة أشهر. وجرت فيه السفن ووصات الى الحجاز في الشهر السابع^(٤)، وانتفع به في نقل الطعام لأهل الحرمين، وسمى «خليج أمير المؤمنين».

(١) الخطط للقريري ج ١ ص ٢٠٦

(٢) الانتصار ج ٤ ص ١٢٦ و ١٢٨

(٣) قال الأستاذ كازانوفا: يظهر أن الخليج حفر محل خليج تراجان القديم (Augusti-annis) الذي ينسب اليه إقليم أوجستي أمنيكا (Augustamnica) ويقال أن أرون (Aron) حفره منذ أوائل الفتح. راجع المجلد الأول من (Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Foustât ou Misr, p. XXVII.

(٤) ذكره الكندي في كتاب «الجند العربي»؛ راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٠٢

وقيل : ان حفره كان عام الرمادة وهي سنة ست عشرة أو ثمانية عشرة ؛ وهو قول القضاعى . وهذا القول يرجع حفره الى تاريخ سابق على فتح العرب لمصر على القول المشهور ، وهو سنة عشرين .

وقد تقدم ما قيل عن سنة الفتح من رواية سيف وغيره .

وخالف الدكتور بتلر الكندى ، فقال أن سنة ٢٣ تبدأ في نوفمبر سنة ٦٤٣ ؛ وقد مات عمر في ذى الحجة منها ، وكانت السفن المصرية تأتي وقتئذ الى بلاد العرب تحمل البضائع إليها ؛ ولا يعقل أن هذا الخليج كله يحفر ويجهز لسير السفن في أقل من سنة . وقال وقد يكون عمل في الشتاء الذى قبله ، أى سنة (٦٤٢ - ٣) . وقال ان هذا التاريخ غير محتمل فقد كان عمرو عند ذلك مشغولا في فتح پنطا بوليس الى آخر ما ذكره بذيل الصفحة رقم ٢٩٩ (١) ؛ وانتهى الى القول بأنه قد يكون تم في شتاء (٦٤٣-٤) واستعمل في فيضان سنة ٦٤٤ لأول مرة . ولكن ألم يكن في وسع عمرو أن يعهد بهذا العمل الى غيره من ذوى المعرفة من بين أصحابه عقب صدور أمر عمر إليه ويتفرغ هو وجنده لأعماله ، وهو ما كان متبعا في عصر الفتح . وقد مر علينا أن منذ مسيره الى الإسكندرية كان معه من أهل مصر من يقوم باصلاح الطرق والجسور وغيره .

أما عام الرمادة ، فقال عنه الطبرى : انه سنة ثمانى عشرة^(١) ، وروى عنه خبرا جاء فيه ، أن عمر كتب الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدّهم ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأحيوا مع أول الحيا . ثم قال : وقالوا بإسنادهم

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٢

(يعنى بإسناد من نقل عنهم) : وجاء كتاب عمرو بن العاص ، جواب كتاب عمر
في الاستغاثة : أن البحر الشامى حفر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حفرا
فصب في بحر المغرب فسده الروم والقبط فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام
بالمدينة كسعره بمصر حفرت له نهرا وبنيت له قناطر فكتب اليه عمر أن
افعل وعجل ذلك ؛ فقال له أهل مصر : نراجك زاج وأميرك راض وان تم
هذا انكسر الخراج . فكتب الى عمر فرد عليه : اعمل فيه وعجل ، أخرب
الله مصر في عمران المدينة وصلاحها ؛ فعالجه عمرو وهو بالقلازم ، فكان سعر
المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء .

وهذا الخبر ليس فيه ما يحتم أن كتاب عمر الى عمرو في الاستغاثة صدر
منه في آن واحد مع كتبه الى أمراء الأمصار في سنة ١٨ ، والمرجح أنه كان
بعد ذلك ، بحكم فصل الطبرى الخبر الى قسمين وتصدير القسم الثانى
وهو الخاص بمصر بقوله : وقالوا بإسنادهم الخ ، لأنه تعقيب لا يمكن أن
يقصد به غير تكميل الجزء الأول بخبر مرتبط به ، ولا مانع من أن يكون
وقوعه في وقت آخر ويؤيده قول الرواة في القسم الأول من الخبر بعد أن
ذكروا قدوم أبى عبيد على عمر : « وتتابع الناس » .

وما زال الخليج ينتفع به في هذا الغرض حتى زمن عمر بن عبد العزيز ،
ثم أهملته الولاة وترك ، فغاب عليه الرمل وانقطع ، وصار منتهاه الى ذنب
التمساح من ناحية بطحاء القلازم . وقيل : أن أبا جعفر المنصور أمر بسده
حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام^(١) .

وفى الطبرى : " حتى حبس عنهم البحر بعد مقتل عثمان رضى الله عنه " .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ، الكامل ج ٢ ص ٢٧٤

وذكر محمد رمزي بك في تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة ، أن
فم الخليج وقت فتح العرب لمصر كان واقعا بشارع الخليج المصرى ، فى حذاء
مدخل شارع بنى الأزرق بأرض جنينة لاظ الواقعة فى الجهة الغربية من
جامع السيدة زينب بالقاهرة ، لأن النيل فى ذلك الوقت كان يجرى
فى المكان الذى فيه اليوم شارع بنى الأزرق وما فى امتداده جنوبا الى قصر
الشمع وما فى امتداده شمالا الى قرية أم دنين ، ثم يسير الخليج قليلا الى الشرق
ثم ينعطف الى الشمال حتى نهاية المدينة ، ثم يمر فى الأراضى الزراعية الى أن
يلتقى بالترعة الإسماعيلية عند العباسية بمديرية الشرقية ، ثم يسير الخليج شرقا ثم
الى مدينة الإسماعيلية . ومنها الى السويس حيث البحر الأحمر وفى سنة ١٨٩٩
تم ردم الجزء الواقع من الخليج المصرى داخل مدينة القاهرة وحل محله
الآن شارع الخليج المصرى .

وقد أغفل فى كتب التاريخ والخطط توضيح المادة التى كانت تستعمل
فى البناء ، هل هى اللبن أو الآجر ؟ وورد بصورة مجملة ، أن المسلمين ،
لما سكنوا القرى والأمصا بنوا بالمدر واللبن .

ولم تكن بالإسكندرية خطط ، وإنما كانت أخاخذ ، من أخذ منزلا نزل
فيه هو وبنو أبيه وكان عمرو عند فتحها رأى بيوتها وبنائها مفروغا منها
وهم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها ، ولكن عمر كتب اليه
كما كتب الى غيره من أمرائه ، لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء
ببنى و بينهم شتاء ولا صيفا^(١) .

(١) الخطط للقرزى ج ١ ص ١٦٧

فكان المسلمون يسكنون هذه البيوت في رباطهم ، فاذا قفلوا سكنها
الروم وعليهم مرمتها ، لأنها كانت لغيرهم من الروم الذين غادروا البلاد
عقب الفتح .

عزل عمرو بن العاص عن مصر وعودته واليا على الإسكندرية —
واقعة منويل الخصى :

وفي ٢٦ من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية (٦٤٣ — ٦٤٤ م)؛ توفي
عمر رضى الله عنه وبايع المسلمون أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، فوفد
عليه عمرو بن العاص وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامرى
عن الصعيد؛ وكان عمر ولاء عليه قبل موته ، فامتنع عثمان وعقد لعبد الله
على مصر كلها .

وانتقضت الروم في سنة خمس وعشرين هجرية (٦٤٥ — ٦٤٦ م) ، وقد
طمعوا في مصر على عهد قسطنطين بن هرقل (قنسطان الثانى Constant)،
وقدموا في المراكب وعليهم منويل الخصى حتى أرسوا بالإسكندرية ،
وأجابهم من بها من الروم فطلب أهل مصر ، (القبط) ، من عثمان أن يرد
عمرا لمحاربة منويل لمعرفته بجرهم وطول ممارسته لها ، وكانوا يخشون أن
يعودوا تحت حكم الملكية . فرد عثمان عمرا واليا على الإسكندرية . وكان
على الإسكندرية سورها ، خلف عمرو لئن أظفره الله على الروم ليهدمه ،
وخرج اليهم فى البر والبحر ، ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت كما تقدم
ذكرة وانضم إليه من أطاعه من القبط . وأما الروم فلم يطعه منهم أحد .

وخرج الروم من الاسكندرية قاصدين عمرا ، وجعلوا ينزلون القرية
فيشربون نهورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به ، حتى بلغوا

« نقيوس » والتقى بهم عمرو فقاتلهم وهزمهم ، وطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية . وقتل منويل الخصى ، وأمعن عمرو في قتلهم في المدينة الى أن تكلموا معه في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم ^(١) .

مسجد الرحمة بالإسكندرية :

وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد سمي «مسجد الرحمة» ، لرفع عمرو السيف هناك . وقد ذكره ياقوت في كلامه على مسامى الإسكندرية فقال : إنهما عند مسجد الرحمة ^(٢) .

وهدم عمرو سور المدينة كله وجمع ما أصاب منهم ، فجاءه أهل القرى ممن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يدك . فردّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البيعة ^(٣) .

ولقد كان لهذه المعاملة وما يماثلها من الأثر في نفوس القوم ، ما هوّن عليهم الانتقال من سلطان الروم الى سلطان المسلمين . وكان فتح الإسكندرية في هذه المزة عنوة ^(٤) .

ولاية عبد الله بن سعد على مصر كلها — غزو إفريقية والأساود :
ثم جمع لعبد الله بن سعد أمر مصر كله صلاتها وخراجها ، فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين ، وبث السرايا في البلاد ففتحها سهلها وجبلها ، وقتل

(١) الخطط للقريري ص ١٦٧ و ١٦٨ . التوفيقات الإلهامية ص ١٣ ؛ فتح العرب

لمصر ص ٤٠٥ — ٤١٣ راجع ما أتى عن فنسطن الثاني . ص ٢٥٩

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٨ (٣) الخطط للقريري ج ١ ص ١٦٨

(٤) الخطط للقريري ج ١ ص ١٦٨

«الأجل» بطريقها وكان سلطانها من طرابلس الى طنجة . وضرب عبد الله فسطاطه في موضع القيروان واجتمع عظماء إفريقية وصالحوه وحسنت طاعتهم . قال الواقدي : ورجع عبد الله الى مصر ولم يول على إفريقية أحدا ، ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع .

وغزا عبد الله الأسود (جمع أسود) حتى بلغ دمقلة^(١) وهي منزلة ملك النوبة ، وكان من سببها والد يزيد بن حبيب أحد مشاهير رواة الكندي . وكانت النوبة تقضت الصلح عقب وفاة عمر رضى الله عنه ، فحصرهم عبد الله بن سعد سنة إحدى وثلاثين بمديتهم حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ، ولم تكن النوبة تعرفه . وخسف بهم كنيستهم بحجر فتهتم ذلك ، وطلب ملكهم الصلح واسمه قليد وروث . وكتب لهم عبد الله كتاب أمان وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة على شرائط ، منها : ألا يدخل أحد الفريقيين بلد الآخر إلا مجتازا غير مقيم فيه ، وأن يرد كل آبق من العبيد الى أرضه ، وأن يحفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء دمقلة ، ولا يمنع منه مصل مع كئسه^(٢) واسراجه وتكرمه .

غزوة ذى الصواري :

لما أصاب المسلمون من أهل إفريقية ، خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله منذ كان الإسلام . وقد قيل له : أتترك الإسكندرية

(١) هي القرية التي تعرف اليوم في السودان المصرى باسم « دنقله العجوز » وهي واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . وقد كانت قديما قاعدة مملكة النوبة السفلى في زمن النصرانية الى أن استقر بها المسلمون من سنة ٦٨٦ هجرية .

(٢) الخطط للقرى ج ١ ص ٢٠٠

في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى ؟ وعلم عبد الله بن سعد بقدمه في خمسمائة مركب وقيل ألف ، فخرج اليهم وعلى أهل الشام معاوية بن أبي سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد . وكانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسل المسلمون والروم وسكنت الرياح وقرب الروم سفنهم وفعل المسلمون مثلهم وربطوا بعضها مع بعض بالسلاسل واقتتلوا بالسيوف والخنابجر والنبل والنشاب والحجارة ، وقتل من الفريقين بشر كثير . ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ، وبعث الله ريحا أغرقت أصحابه ونجا هو إلى صقلية^(١) . قيل : ولما سأله عن أمره وأخبرهم صنعوا له الحمام وقتلوه . وكانت هذه الغزوة في سنة أربع وثلاثين ، وأوردها ابن الأثير في سنة إحدى وثلاثين^(٢) .

قسطنطين الثالث وابنه قنسطان الثاني :

لما مات هرقل في ١١ فبراير سنة ٦٤١ (٢٣ من صفر سنة ٢٠ هجرية) خلفه قسطنطين الثالث بالاشتراك مع أخيه من أبيه هيراقلوناس Heraclonas وأخذ هذا الأخير بمساعدة أمه الأمباطوره مارتين Martine وبتأييد البطريرك بيروس Pyrrhus ينازع أخاه قسطنطين ويتحكم في الأمور . حتى مات قسطنطين في ٢٢ من يونيه سنة ٦٤١

وقد نقل الدكتور بتلر عن حنا النقيوسي أنه مات من انفجار عرق على ما يظهر ، وعن غيره أن امرأة أبيه مارتين دبرت موته مع بيروس وقيل مع قبرس . وقال انها تهمة لا أساس لها^(٣) .

(١) هي المعروفة الآن بجزيرة سيسيليا إحدى جزائر البحر الأبيض المتوسط ، واقعة في جنوب ملكة إيطاليا وتابعة لها . (٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٦٩ — ٧١ الخطط للقرنيزي ج ١ ص ١٦٩ ستانلي ، تاريخ مصر في القرون الوسطى ص ٢٣ (٣) فتح العرب لمصر ص ٢٦٤ ورقم (٢) بذيل الصفحة .

وفي دائرة المعارف الفرنسية^(١) أنه مات مسموما بتدبير مارتين والبطرك
بيروس . وقد ذكره بتلر باسم قسطنطين الثاني . وفي دائرة المعارف قسطنطين
الثالث «فلافيوس هيراقليوس» Flavius Héraclius . وكان يسمى هرقل
الأصغر Héraclius le Jeune .

وانفرد هيراقلوناس بالحكم بعد موته ؛ ولكن الجند ثاروا عليه واضطروه
لأن يقيم في الحكم ابن أخيه قسطنطين الثالث الذين كانوا مخلصين له واسمه
فلاقيوس قنسطان ؛ وعرف باسم قنسطان الثاني Constant II . وقبل
مضى سنة على ذلك خلع مجلس الشيوخ Le Sénat هيراقلوناس متهما
باغتصاب الملك وأبعد عن بيزنطة منفيا مع أمه مارتين ، بعد أن عذب
بقطع أطرافه في شهر أغسطس سنة ٦٤٢ ميلادية ، واعتقل في دير هلك فيه
في وقت غير معلوم .

وقد ورد في ترجمته بدائرة المعارف ، أنه لم يستطع مقاومة العرب .
وكانت انتصاراتهم تنبئ بأشرف الدولة البيزنطية على الخراب . وقد ذكر
في وقعة ذى الصواري باسم قسطنطين ، وقيل أنه حضرها وجرح فيها ونجا الى
صقلية وقتل بها . وقال الأستاذ ثيبت في تعليقاته على متن الخطط للقريزي
«المواعظ والاعتبار» ج ٣ ص ١٦٥ : وفي الواقع كان الأسطول بقيادة
قنسطان الثاني بن قسطنطين^(٢) .

وكان مكروها بالقسطنطينية ؛ وذهب الى إيطاليا في سنة ٦٦٢ ونهب
رومية ثم قصد صقلية وأقام بمدينة سرقوسة Syracuse حيث قتل

(١) دائرة المعارف الفرنسية المجلد ١٢ ص ٥٨٢

(٢) Carra de Vaux, in Avertissement, p. 217 n. 2.

وهو في الجامع . ومكث في الحكم من سنة ٦٤١ - ٦٦٨ م (سنة
٢٠ - ٤٨ هجرية^(١)) .

ولاية عمرو بن العاص الثانية - ملخص ما سبقها من
حوادث - وفاته :

ولم يزل عبد الله بن سعد واليا على مصر حتى غلب محمد بن أبي حذيفة
عليها . وكان عبد الله وفد الى أمير المؤمنين عثمان حين تكلم الناس بالطعن
عليه ، وتابع ابن أبي حذيفة أهل مصر طرا الا أن يكون عصابة منهم معاوية
ابن حديج وبايعوه ، وكان أول من بايع على الطلب بدم عثمان ، وحصلت
أمور انتهت بمقتل ابن أبي حذيفة .

وكانت مصر من جيش على فأمر عليها قيس بن سعد ، ثم عزله
واستعمل عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، ثم عزله وولى مالكا الأشتر فاعتل
بالقزم^(٢) . قيل شرب شربة من عسل فمات ، فلما بلغ عمرو بن العاص قال :
” ان لله جنودا منها العسل “ .

وكان مالك ثقل على علي رضي الله عنه وأبغضه ، فلما بلغه موته قال :
للبيدین وللقم .

(١) راجع في دائرة المعارف الفرنسية : قسطنطين الثالث وهيراقلوناس ونسطان الثاني
و پروس ومارتین .

(٢) القزم مدينة مصرية قديمة ؛ ويستفاد من الحاشية التي كتبها عنها رمزي بك ص ١٥١
ج ٨ من كتاب النجوم الزاهرة ، أنها اندثرت وحلت في مكانها مدينة السويس . وهي الثغر
المصري الشهير الواقع في شمال البحر الأحمر .

وولى محمد بن أبي بكر ثمانية، فقتله معاوية بن حديج وأحرقه في جوف
حمار. وكان معاوية بعث عمرو بن العاص في جيوش إلى أهل الشام وإلى
مصر وقاتل ثم دخل بأهل الشام الفسطاط، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين.
واستقبل عمرو بن العاص بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين
وجعل إليه معاوية الصلاة والخراج جميعا، وكانت مصر جعلت له طعمة
بعد عطاء جندها والنفقة على مصالحتها.

وفي ولايته هذه عقد عمرو لعقبة بن نافع على غزو هوارة؛ ولشريك
ابن سمي على غزو لبدة وقد عادا بعد غزوهما وعمرو في مرض موته.
وتوفي عمرو في ليلة الفطر ووضع بالمصلى، وصلى عليه ابنه عبد الله
ابن عمرو، ولم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه ثم صلى العيد بالناس ابنه؛
وكان أبوه استخلفه.

وكان آخر قوله: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا
إلا مغفرتك.

رحمه الله ورضى عنه.

خاتمة

على هذا الوجه انتهى البحث الأول وقد تناول الكلام أموراً كثيرة على جانب عظيم من الأهمية، منها روايات أفسدها النقل المحترف والحشو الباطل فكشفنا عن مواقع الخطأ فيها، ورجحنا القول الصحيح كما حصل في خبر مسير عمرو الى مصر؛ ومنها ما حمل معناه على غير المراد منه إما قصداً وإما لسبب آخر، فرددناه الى أصله، فظهر مثلاً موقف القبط من البيزنطيين والمسلمين على حقيقته، وسقط الاتهام الموجه الى أهل مصر من القبط عن التواطؤ المزعوم مع العرب؛ ومنها تواريخ دوت خطأ عن سهو فأعيدت الى أصلها وجاءت مؤيدة للروايات العربية كما تقدمت في حكاية عودة بنيامين البطرك من منفاه، وصححنا خبر مساعدة القبط للمسلمين، وعينا الوقت الذي ورد أنهم ساعدوا المسلمين فيه؛ وفصلنا ما وقع بين العرب والروم من قتال، وأثبتنا وقت مجيء المدد، وحددنا موقع التحام جيشي الروم والعرب بعد الاستيلاء على أم دينين، وأنه لم يكن بمدينة عين شمس الحقيقية "المطرية"، مخالفين الدكتور بتلر فيما سماه "وقعة عين شمس"، بالاعتماد على نصوص لم يلتفت إليها، منها قول البلاذري فيما رواه عن سير عمرو من أم دينين الى بابلون: "ومضى عمرو قدماً الى القسطنطينية فزل جنان الريحان"؛ وشرحنا خبر مقابلة أبي مريم وأبي مريام لعمر بن العاص، ومفاجأة عمرو بالبيات؛ وصححنا الخطأ الذي تواتر عن المرقب وأهل البيعات، وأوردنا ما ترتب من البحوث العقيمة على اللفظ الأول؛ ووفينا الكلام على

قدر الاستطاعة عن حصار الحصن ؛ وساقنا الكلام خلال ذلك وفيما بعد الى بيانات كثيرة لطائفة من العلماء المعروفين عن بعض المواقع كعين شمس وبابلون وقصر الشمع ؛ وذكرنا المصادر التي نقلنا عنها ؛ ولم يفتنا الكلام عن المفاوضات الى أن تم الفتح ؛ ونفيينا مزاعم كثيرة وجهت بلا حق الى المسلمين ؛ وأظهرنا الخطأ في الاعتماد على بعض المكاتبات الظاهر بطلانها ؛ وتكلمنا عن عدل أمير المؤمنين عمر بالنظر الى أهل الذمة ، ولم يكن رضى الله بحاجة الى ذلك ، وهو القائل فيما أوصى به للخليفة من بعده ، كما جاء في صحيح البخارى : ” وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكفوا إلا طاقتهم “ .

قال السندي في حاشيته : ” قوله بذمة الله وذمة رسول الله “ أى بأهل الذمة ^(١) .

وأبطلنا ما قيل من أن المقوقس إنما صالح عمرا لما فتح الإسكندرية ، وفصلنا خبر فتح الإسكندرية بالرجوع الى المصادر العربية وغيرها ؛ وبجئنا في تواريخ فتح مصر والإسكندرية ، مؤيدين ما جاء عنها في الروايات العربية ، كاشفين ما وقع في غيرها من غلط وتحريف في التأويل . وللبهنة على صحة الروايات العربية وضالة الخلاف بينها ، استعرضنا أقوال كبار المؤرخين ، وصححنا في سياق الكلام ما ورد من خطأ في النقل ؛ ثم تكلمنا عن المقوقس وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليه وعمما جر إليه البحث الخاص بهما ، الى أن وقفنا عند النتيجة التي دونها في الخلاصة .

(١) البخارى ج ٢ ص ١٨٤ بالمتن والهامش .

وقد وقف القارئ على ما جر اليه التساهل في نقل أقوال الرواة وعدم العناية بتحريرها من الحشو والتحريف ، حتى صرنا ونحن ننظر الى الحقائق محولة عن مجراها الأصيل ، تهددنا بوادر الشك والاستخفاف بأعمال السلف الصالح وأخبارهم .

وقد أصبح الكثيرون منا يجهرون بعدم كفاية أسلوب الكتابة القديم ونقص الشروح والتأويل ، ويتهاقنون على كل رأى جديد يأتهم مغايرا في ثوبه القشيب ، ولا يفكرون في أن البحوث العلمية لا يكفي أن نتلقاها كما تجيء الينا؛ وإنما يعوزها التحزى والتدقيق ، وأن هذه البحوث لها تطور ، وأن ما يكتب اليوم وإن ظهر لصاحبه أنه الصحيح قد يستأنف تأويله في غد . يعرض هذا للمؤرخ الباحث في الاستنتاج الذى يصل اليه ، وقد يتعمد ذلك ويتغير كلما فكر وفكر غيره .

اتهى المرحوم الدكتور بتلر من كتابه "فتح العرب لمصر" فى سنة ١٩٠٢م وتداولت بين العلماء أفكاره ، فرأيناهم يذكرونها إذا تناولوا الموضوع ؛ ولكنهم لا يجمعون عن التعديل فيها والتصحيح كلما لزم ذلك متدبرين مفكرين ، كما وقع مثلا فى كتاب "النظام الحربى فى مصر" تأليف المرحوم الأستاذ جان ماسپرو ، وما ورد من مخالفة لنظرية الدكتور بتلر عن المقوقس وقيرس ، فى الفصل الخاص بالمقوقس من دائرة المعارف الإسلامية الإنكليزية .

وقد ترجم حضرة الأستاذ المحترم محمد فريد أبو حديد كتابه "فتح العرب لمصر" من بضع سنين ؛ وصارت له حظوة منذ ظهوره فى دور العلم ، وكنا نأمل أن يتدبر من يعينهم أمره وقد اتخذوه مرجعا يعتمدون عليه حتى قبل ترجمته ، بالرجوع الى الروايات الأصلية ومقارنتها بما وصل اليه المؤلف

في التأويل لا الاكتفاء بجمال الأسلوب الذي أودعه مؤلفه في كتابه، وقد تبين أنه تناول البحث في شخصية الرواة، وبينهم أئمة معروفون، وفي أهم حوادث التاريخ الإسلامي فيما يتعاق بمصر وغير ذلك .

ولا يظن القارئ إنى أنكر أهمية كتاب الدكتور بتلر وغيره من البحوث الطريفة التي ذكرتها في سياق كلامي وناقشتها، لأنها هي ولا شك الأصل الذي تفرع عنه هذا البحث، وما هو في الحقيقة إلا تطور جديد في فهم وقائع الفتح التي لها من المكانة العظيمة في تاريخ مصر ما يلزمنا باستمرار دراستها والبحث فيها، وألا تقتصر على ما قيل فيها منذ نحو ٣٩ سنة .

وقد كان من الواجب خصوصاً وقد جاءت نتيجة بحثي مغايرة لبعض البحوث المفيدة التي تقدمتني أن أرجع الى جناب الأستاذ الكبير جاستون فثيت للاستئناس برأيه في الموضوع الذي كتبت فيه، فعرضته عليه فقال :

” توفي المرحوم الدكتور بتلر منذ زمن طويل، وقد مضى على ظهور كتابه ”فتح العرب لمصر“ نحو أربعين سنة، وأصبح علماء أوروبا الآن لا يشتغلون بالبحث في آرائه“ .

وهو عين ما كنت أشعر به، لما وجدت الواقع بيننا يجري على أخذ هذه الآراء قضية مسالمة .

وفي حديث مع جناب الأستاذ فثيت قال: ”إذا ذكر لي الليث بن سعد أراني مرتاحاً لأقواله، أما ابن لهيعة فلا“ .

وهو قول خبير يتطلع الى الحقيقة، عارف بما يلزم من التمييز بين الرواة والمؤرخين .

وكم سرنى قوله ، بعد أن اطلعت على هذه الكلمة التي أردت بها تسجيل رأيه : "أحب أن تضيف إلى ما تقدم : إنى لا أشك في أن المرحوم الدكتور بتلر لو كان بيننا لرأيناه يغير آراءه التي ضمنها كتابه " .

ولست أخفى ما أشعر به من الإحترام والتقدير لآراء الأستاذ ج . فييت وأعماله . وقد أمضيت زمنا طويلا على مقربة منه أهتدى فى بحوثى بأفكاره وابتكاراته ، فلجنابه مزيد الشكر على سعة صدره ، وتفضله بالاطلاع على هذا البحث ، وتلطفه بالسماح لى بالرجوع الى مكتبة دار الآثار العربية لاستيفاء ما أحتاج اليه من المعلومات .

كما أنى أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لجناب الأستاذ الكبير شارل كويتز مدير المعهد العلمى الفرنسى لآثار الشرق ، لمثل هذه المساعدة القيمة والتفضل بالاطلاع على ما كتبتة .

ومن الواجب على أن أعبر عن عظيم امتناني وشكرى لحضرة صاحب السعادة المهندس الكبير محمود أحمد باشا مدير الآثار العربية على تفضله بالسماح بنقل اللوحات والصور المحلى بها هذا الكتاب من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية . ويرجع وضعها الى سنة ١٩٠٩ ميلادية .

أما اللوحة رقم ١ فهى من تصوير جناب الأستاذ الشهير ا . كريسول ، وترجع الى ما قبل سنة ١٩٢٦ ، واللوحة رقم ٥ من تصوير حضرة حسن أفندى عبد الوهاب فى سنة ١٩٤٠

وأكرر شكرى لحضراتهم .



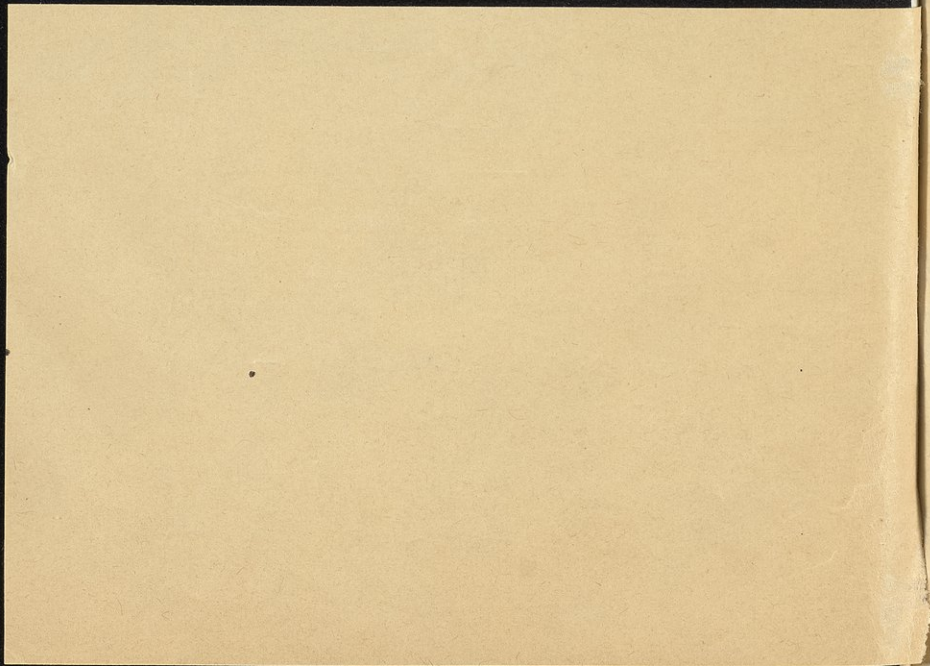
كَمَل طبع كتاب "مصر في عهد الاسلام" بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم
الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ (١٦ أبريل سنة ١٩٤١) م

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب

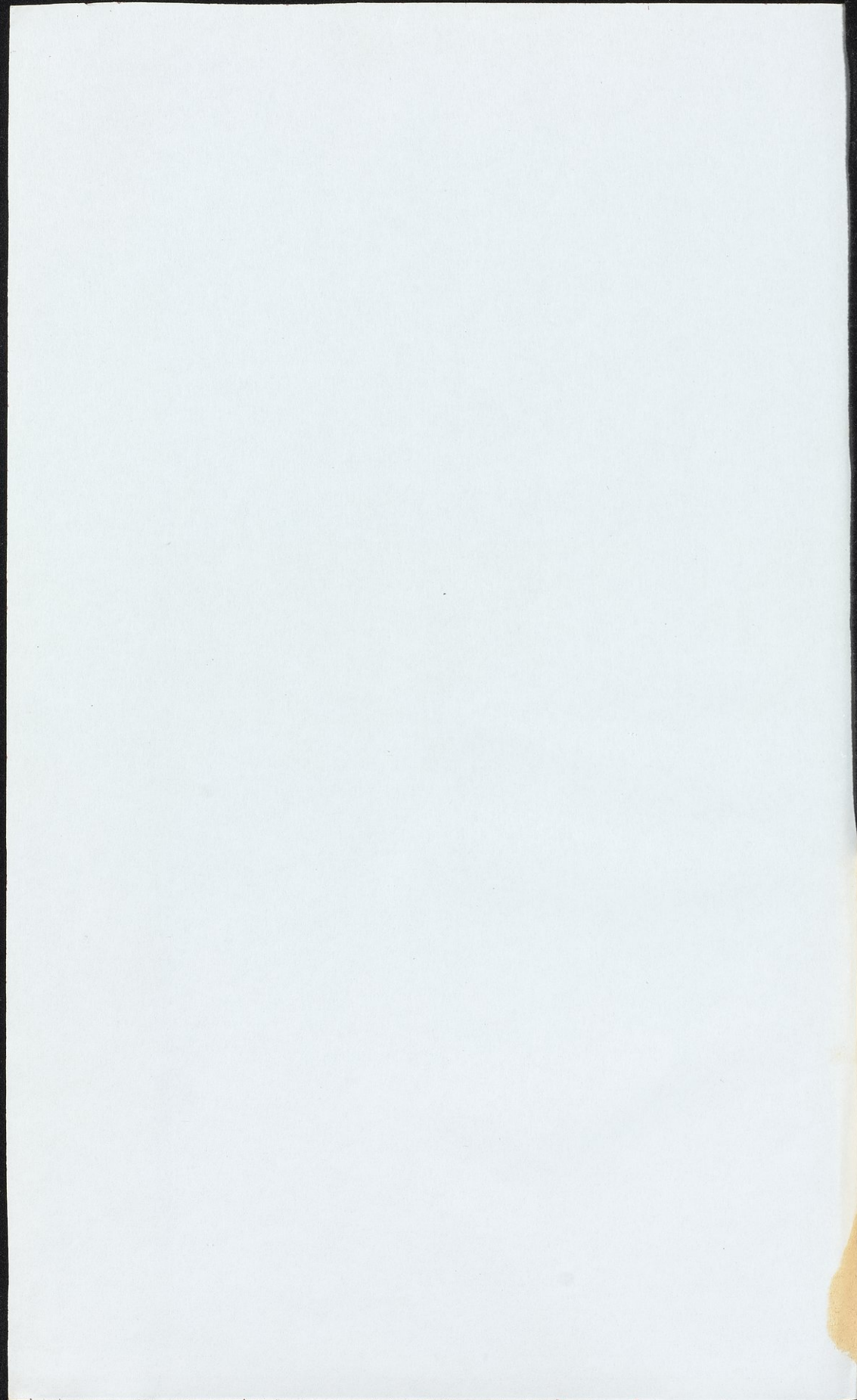
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠/١٩٤٠/١٠٠٠)



استدراك

	سطر	صفحة
ولان نجد مبررا	١٤	١٧٠
«حضرة» بدلا من «المرحوم»	١	٢٠١
ما كتب بهذه الصفحة بالهامش تحت رقم (٢) نقل	—	٢٠١
اليها سهوا ومحلله بأول هامش الصفحة التالية ٢٠٢		
تحت رقم (١) ويليه : وكتب اليه رسول الله		
يضاف بأخر السطر : عنه	٦	٢٦٨







**Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University**

NYU - BOBST



31142 04175 5953

DT95.5 .A4 1941

Mi'zr fi'